الصراط

في تفسير القرآن العظيم

٦

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد6

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

ص: 6

تتمه القسم الثالث: حتى غزوه الخندق

[تتمه الباب الثالث: ما بين بدر و أحد]

الفصل الرابع: غزوات و سرايا دفاعيه

اشاره

غزوات و سرايا:

اشاره

هناک سرايا و غزوات حصلت بين المسلمين و المشركين، و أخرى كانت بين المسلمين و اليهود. و نحن نشير هنا إلى كلا النوعين، فنقول:

أما بالنسبه لما كان بين المسلمين و غير اليهود، فنشير إلى:

غزوات لبنى سليم و غطفان:

1- يقول المؤرخون: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم غزا بنفسه بنى سليم بعد بدر بسبع ليال، و استخلف على المدينه ابن أم مكتوم، أو سباع بن عرفطه؛ فلما بلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر، أقام صلى الله عليه و آله وسلم هناک ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينه، و لم يلق كيدا، و كان يحمل لواءه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كان اللواء أبيض اللون.

و يبدو أن هذه هى نفس الغزوه التى يقال لها: (غزوه قرقره الكدر).

و سببها أنه قد بلغه صلى الله عليه و آله وسلم : أن جمعا من بنى سليم و غطفان بقرقره الكدر (و الظاهر أنهم كانوا ينوون غزو المدينه) فسار إليهم فى مائتين من أصحابه. فغنم منهم خمسمائه بعير، فخمّسها، و قسم الباقى على أصحابه. و وقع غلام اسمه يسار فى سهمه؛ فأسلم، و رآه النبى صلى الله عليه و آله وسلم يصلى، فأعتقه. و قال الواقدى: إن قرقره الكدر كانت فى المحرم سنه ثلاث (1).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 211/ 212، و راجع ص 205 و مصادر ذلک كثيره فراجع

2- و يقول الدمياطى: إن غزوه بنى سليم هى نفس غزوه بحران، حيث بلغه: أن جمعا كثيرا من بنى سليم كانوا فى بحران؛ فخرج إليهم فى ثلاثمائه من أصحابه، لست خلون من جمادى الأولى سنه ثلاث، و لم يظهر وجها للسير؛ فرجع و لم يلق كيدا (1).

غزوه السويق:

و بعد رجوعه صلى الله عليه و آله وسلم من غزوه قرقره الكدر، أى فى ذى الحجه من السنه الثانيه أو الثالثه: كانت غزوه السويق، فبعد أن أصيبت قريش فى بدر حلف أبو سفيان: أن لا يمس رأسه ماء من جنابه حتى يغزو محمدا صلى الله عليه و آله وسلم و قال:

كرّوا على يثرب و جمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل

إن يک يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء و لايمس رأسى و جلدى الغسل

حتى تبيدوا قبائل الأوس و الخزرج إن الفؤاد يشتعل فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر بيمينه؛ و ليثبت للناس: أن قريشا لا تزال قادره على التحرک، و أيضا ليشد قلوب المهزومين فى بدر.

فلما كان على بريد من المدينه (و البريد إثنا عشر ميلا) نزل هناک، فاتصل ببعض بنى النضير من اليهود، ثم أرسل بعض أصحابه إلى بعض نواحى المدينه؛ فحرقوا بعض النخل، و وجدوا رجلين فقتلوهما، و هما:

معبد بن عمرو و حليف له، ثم انصرفوا راجعين؛ فنذر الناس بهم؛ فخرج كتب السيره و التاريخ.

1- راجع فى هذه السريه: تاريخ الخميس ج 1 ص 416، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه) ج 2 ص 18، و السيره الحلبيه ج 2 ص 213، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 91، و المغازى للواقدى ج 1 ص 196/ 197.

صلی الله علیه و آله وسلم فی طلبهم لخمس خلون من ذی الحجه، و جعل أبو سفیان و أصحابه یلقون بجرب السویق (1) تخففا للهرب؛ فجعل المسلمون یأخذونه، و لم یدرکهم المسلمون، فعادوا إلی المدینه بعد خمسه أیام (2).

قال العلّامه الحسنی: (و انقلب فرار أبی سفیان علیه خزیا و عارا، بعد أن کان یظن أن غزوته هذه ترفع من شأنه، و تعید إلی قریش شیئا من مکانتها (3)).

غزوه ذی أمر:

و فی أول سنه ثلاث، أو لإثنتی عشره لیله مضت من ربیع الأول، کانت غزوه ذی أمر، و لربما تکون هی غزوه غطفان. جمع فیها دعثور بن محارب فی ذی أمر، جمعا من بنی ثعلبه بن محارب لحرب الرسول، أو لیصیبوا من أطراف المدینه، فخرج الرسول صلی الله علیه و آله وسلم إلیهم، و أصاب أصحابه صلی الله علیه و آله وسلم رجلا یقال له: جبار (أو حباب)؛ فأسلم، و دلّهم علی الطریق إلیهم؛ فسمعوا بمسیر الرسول صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فهربوا فی رؤوس الجبال (4).

و یذکر هنا: أنه أصاب الرسول صلی الله علیه و آله وسلم مطر کثیر؛ فنزع صلی الله علیه و آله وسلم ثوبیه، و نشرهما علی شجره، و اضطجع بمرأی من المشرکین. و اشتغل المسلمون فی شؤونهم، فنزل إلیه دعثور (زعیم المشرکین الغطفانیین) حتی وقف علی رأسه، ثم قال: من یمنعک منی الیوم؟ فقال صلی الله علیه و آله وسلم : اللّه.

1- السویق: قمح أو شعیر یغلی ثم یطحن لیسفّ إما بماء، أو عسل، أو لبن.
2- راجع فیما تقدم: تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 175- 177، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 410 و 411، و السیره الحلبیه ج 2 ص 211 و غیر ذلک.
3- سیره المصطفی ص 382.
4- السیره الحلبیه ج 2 ص 212، و المغازی للواقدی ج 1 ص 194، و المواهب اللدنیه ج 1 ص 91.

و دفع جبريل فى صدره، فوقع على ظهره، و وقع السيف من يده، فأخذ النبى صلى الله عليه و آله وسلم السيف، و قال له: من يمنعک منى؟ قال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه. فأعطاه صلى الله عليه و آله وسلم سيفه؛ فرجع إلى قومه، و جعل يدعوهم للإسلام. و نزلت هذه الآيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ (1) الآيه.

و لعل هذه هى نفس غزوه ذى القصه، التى يقال: إنها فى المحرم سنه 3 ه. كما يظهر من المقارنه بينهما.

سريّه القرده:

و فى جمادى الأولى، فى السنه الثالثه، كانت غزوه القرده، و كان أميرها زيد بن حارثه، فى أول إماره له. و ذلک: أن نعيم بن مسعود قدم المدينه مشركا، فشرب الخمر مع بعض أصحابه، و ذلک قبل تحريم الخمر (مع أننا قد قلنا فيما سبق: أن الخمر كانت قد حرمت فى مكه)، و أخبرهم بالعير (2).

و ذلک: أن قريشا قالت: (قد عوّر علينا محمد متجرنا، و هو على طريقنا).

و قال أبو سفيان، و صفوان بن أميه: إن أقمنا بمكه أكلنا رؤوس

1- سوره المائده الآيه رقم: 11، و راجع فى قضيه دعثور تاريخ الخميس ج 1 ص 415، و السيره الحلبيه ج 2 ص 213، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه) ج 2 ص 18، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 91، و البدايه و النهايه ج 4 ص 2، و المغازى للواقدى ج 1 ص 195، و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 168 و 169.
2- البدايه و النهايه ج 4 ص 5، و المغازى للواقدى ج 1 ص 198.

أموالنا.

فاتفقوا بعد بدر على العدول عن طريقهم المعتاد إلى الشام، و سلوک طريق العراق، فخرج جماعه فيهم صفوان، و أبو سفيان فى تجاره أكثرها من الفضه. فبعث صلى الله عليه و آله وسلم إليهم زيدا، فلقيهم على ماء يقال له:

(القرده)؛ فأصاب العير و ما فيها؛ و أعجزه الرجال، و رجع بالغنيمه إلى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، فخمّسها، فبلغ الخمس عشرين ألفا، و قسم الباقى للسريه (1).

وقفات مع ما تقدم:

ألف: الأعمى، و القضاء:

بالنسبه لإستخلاف ابن أم مكتوم على المدينه فى غزوه بنى سليم، و غيرها: نشير إلى ما ذكره البعض من أن روايه أبى داود تقول: إنه إنما استخلفه على الصلاه؛ لأنه ضرير، لا يجوز له الحكم بين الناس فى القضايا و الأحكام؛ لأنه لا يدرک الأشخاص، و لا يثبت الأعيان، و لا يدرى لمن الحكم، و على من يحكم (2).

و لكننا لا نرتضى هذا الكلام، و ذلک لما يلى:

1- إن تولّى ابن أم مكتوم للمدينه لا يعنى إصداره الأحكام و تولّيه منصب القضاء، لأن من الممكن حلّ مشاكل الناس بطريقه الصلح بين المتخاصمين، أو على أن يكون قاضى تحكيم يرضى بحكمه الخصمان،

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 416، و البدايه و النهايه ج 4 ص 5، و المغازى للواقدى ج 1 ص 198، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 145، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 182.
2- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 205.

خصوصا بملاحظه قصر فتره غيابه صلى الله عليه و آله وسلم عن المدينه فى سفراته تلک، أو بأن يوكل من له صلاحيه القضاء بين الناس، و يكون هو الوالى العام الحافظ للنظام، و المنفذ لتلک الأحكام.

2- إن القول بأن المراد من تولّى ابن أم مكتوم المدينه من قبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم هو تولّيه خصوص الصلاه بعيد جدا، و هو لا ينسجم مع إطلاق عباراتهم، مثل قولهم: (إستخلفه على المدينه) أو (ولّاه المدينه) أو نحو ذلک، خصوصا إذا لا حظنا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد استخلفه عليها إثنتى عشره مره، أو أكثر.

3- إن الإستدلال على عدم جواز تولّى الأعمى للقضاء بما ذكر، مدفوع بأن طريق معرفه الأشخاص و الأعيان لا ينحصر بالنظر و الرؤيه؛ فيمكنه إثبات ذلک بالشهود، أو بالإقرار، أو بغير ذلک من وسائل. و ليكن نفس توليته صلى الله عليه و آله وسلم لابن أم مكتوم (لو ثبت كون القضاء داخلا فى ولايته) إثنتى عشره مره، دليلا على جواز تولّى الأعمى للقضاء.

ب: من أهداف تلک السرايا و الغزوات:

إن العرب قد رأوا: أن النبى الذى خرج بالأمس إلى المدينه لا جئا، لا قوه له، قد أصبح هو و أصحابه يقفون فى وجه قريش، و يجلون اليهود- كما سنرى-، و يرسلون السرايا تتهدد المسالک، و يقتلون، و يأسرون.

و عرفوا: أن ثمه قوه يجب أن يحسب لها حسابها، و لا بد من التفكير مليا قبل الإقدام على أى عمل تجاهها فى المنطقه. و لكن الغرور كان يستولى على بعض تلک القبائل، إلى حدّ التفكير فى الدخول فى حرب مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، على حدّ تعبير البعض (1).

1- سيره المصطفى ص 383.

فكان صلى الله عليه و آله وسلم يبادر إلى الهجوم، بمجرد أن يعرف: أنهم قد جمعوا و استعدوا له، أو أنهم يستعدون للإغاره على أطراف المدينه، أو بعد حصول الإغاره و الإفساد منهم، الأمر الذى يدلنا على أن تلك الغزوات و السرايا كانت و قائيه بالدرجه الأولى، و تستهدف أمورا:

1- إفشال مؤامرات الأعداء، و ردّ كيدهم إلى نحورهم.

2- إن ذلک منه صلى الله عليه و آله وسلم كان يمثل حربا نفسيه للمشركين؛ إذ ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلّوا، خصوصا إذا كان إنكسارهم بعد التعبئه الكامله و الشامله منهم لحرب هذه الفئه بالذات.

فإذا كانت هزيمتهم على يده صلى الله عليه و آله وسلم ، و فى عقر دارهم، و فى أوج قدرتهم و استعدادهم؛ فسوف تتحطم معنوياتهم، و يجعلهم ذلک فى المستقبل مضطرين لأن يتريثوا كثيرا، قبل أن يقرروا أى موقف لهم تجاهه. و هذا مصداق آخر لكونه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد نصر بالرعب.

3- ثم هناک الصدى و التأثير الإعلامى فى المنطقه، و على قريش بالذات؛ فإذا انهزم المشركون فى المنطقه و قريش روحيا و نفسيا، فإن هزيمتهم العسكريه سوف تكون أسهل و أيسر، و قد سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): بأى شى ء غلبت الأقران؟

فقال: (ما لقيت رجلا إلا أعاننى على نفسه).

قال الرضى: يومى ء بذلک إلى تمكن هيبته فى القلوب (1).

ج: العتق، و الصلاه:

يلاحظ: أن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أعتق

1- نهج البلاغه، بشرح محمد عبده، قسم الحكم، رقم 318.

الغلام يسارا، حيث رآه يصلى. و قد رأينا فى الحديث أن الإمام السجاد (عليه السلام) كان يعتق مواليه بعد أن يذكرهم بذنوبهم (1). كما أنه قد أعتق غلاما له، لأنه أكل كسره خبز كان قد أعطاه إياها، حين وجدها ملقاه (2).

و رأينا أيضا أن الإمام الحسن (ع) رأى غلاما يطعم كلبا، فاشتراه من سيده، و أعتقه (3).

و عن أبى البلاد، قال: قرأت عتق أبى عبد اللّه (عليه السلام): هذا ما أعتق جعفر بن محمد، أعتق فلانا غلامه لوجه اللّه، لا يريد منه جزاء و لا شكورا، على أن يقيم الصلاه، و يؤدى الزكاه، و يحج البيت، و يصوم شهر رمضان، و يتولى أولياء اللّه، و يتبرأ من أعداء اللّه. شهد فلان، و فلان، و فلان (4).

و لعل سرّ عتقهم (ع) لهم فى هذه المناسبات، و لا سيما فى مناسبه الصلاه يعود إلى: أن العتق فى مناسبه كهذه يهدف إلى ربطهم بالصلاه، و دفعهم إلى الإلتزام بها، و لا سيما حينما تطرح كقضيه حاسمه فى أسعد لحظات حياتهم، اللحظات التى ينالون فيها حريتهم، التى هى فى الحقيقه عنوان هويتهم و وجودهم. و هذا ما سوف يدفعهم لاكتشاف واقع و حقيقه الصلاه، ثم التفاعل معها بشكل جدى و عميق، و لتكون من ثمّ سببا فى تكاملهم الإنسانى، و سعيهم إلى الإلتزام بسائر التعاليم الأخلاقيه و الإنسانيه الإسلاميه.

1- البحار ج 46 ص 103، و إقبال الأعمال.
2- تاريخ جرجان ص 418.
3- البحار ج 44 ص 194، و مناقب آل أبى طالب ج 4 ص 75.
4- مستدرک سفينه البحار ج 7 ص 78، و البحار ج 47 ص 44.

كما أن ذلک يجعل هذا الإنسان يرى فی شخصيه النبی صلی الله عليه و آله وسلم مثلا جديدا للإنسان الهادف، الذی يعيش من أجل هدفه، و يفنی فيه بكل ما لهذه الكلمه من معنی. و يعرفه: أنه لا يهدف إلی استعباد أحد، و لا يمكن أن يكون ذلک هدفا له، و إنما هدفه الأسمی هو إعلاء كلمه اللّه تعالی فقط، و فقط. كل ذلک تحت شعار: أن من يصبح عبدا للّه بحق، فهو جدير بالحريه حقا.

و كذلک الحال كان بالنسبه لما قدمناه عن الإمام الحسن، و الإمام السجاد عليهما الصلاه و السلام، و قد أشرت إلی هذا الموضوع فی مقال مستقل، فمن أراده فليراجعه (1).

د: التوريه بالغزوات:

لقد رأينا أيضا: أنه صلی الله عليه و آله وسلم فی غزوه بحران لم يظهر وجها للسير، و ذلک لا يختص بهذه الغزوه! إذ قد كان من عادته صلی الله عليه و آله وسلم : أنه إذا أراد غزوه ورّی بغيرها (2).

و معنی ذلک: هو أنه صلی الله عليه و آله وسلم أراد تفويت الفرصه علی عيون العدو و جواسيسه، إن كان له ثمه عيون و جواسيس، و علی المنافقين الذين يوادّون من حادّ اللّه و رسوله، و كذلک علی اليهود الذين كانوا لا يألون جهدا، و لا يدّخرون وسعا فی مساعده أعدائه ضدّه، و لا أقل من أنهم كانوا يهتمون فی أن يفوته أعداؤه، و لا يتمكن من الظفر بهم.

و أسلوب إخفاء أمره صلی الله عليه و آله وسلم فی فتح مكه كان رائعا جدا. و لسوف

1- البحث هو بعنوان: (الإمام السجاد باعث الإسلام من جديد) فی كتابنا: (دراسات و بحوث فی التاريخ و الإسلام ج 1 ص 77.
2- المصنف ج 5 ص 398، و المنتقی لإبن تيميه ج 2 ص 765.

يأتى التعرض له فى موضعه من هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

ه: قريش فى مواجهه الأخطار:

إن سريه زيد بن حارثه للاستيلاء على قوافل قريش قد جاءت فى سياق السياسه القاضيه بالمحاصره الإقتصاديه لقريش و باسترجاع الأموال التى تمالأ المشركون على حرمان المسلمين منها؛ حيث اضطروهم إلى ترک أوطانهم، و ديارهم، و أموالهم، و الهجره إلى موضع يجدون فيه الحريه، و الأمن.

و قد سمعنا كلام صفوان، و أبى سفيان، الذى يوضح لنا: أن قريشا قد أصبحت تعتبر حربها مع النبى و المسلمين حربا مصيريه، و معركتها معه معركه حياه أو موت.

و لم يكن ذلک ليخفى على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فكان دائما على استعداد لكل طارى ء، و يتتبع كل تحركات العدو بدقه متناهيه، و قد طوّقهم من جميع الجهات تقريبا.

و يكفى أن نذكر هنا قول صفوان بن أميه لقريش:

(إن محمدا و أصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فما ندرى كيف نصنع بأصحابه. و هم لا يبرحون الساحل. و أهل الساحل قد وادعوهم؛ فما ندرى أين نسكن. و إن أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لنا بقاء. و حياتنا بمكه تقوم على التجاره إلى الشام فى الصيف، و إلى الحبشه فى الشتاء) (1).

و: مناقشه قضيه دعثور:

و أما قصه دعثور مع الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 197.

فإننا و إن كنا لا نستبعد و قوعها ... و لكن قولهم: إن آيه: إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ إلخ (1) قد نزلت فى هذه المناسبه. لا يصح.

و ذلک:

أولا: إنه إذا كان المراد: أن الآيه قد نزلت مباشره حين وقوع قضيه دعثور، كما هو ظاهر التفريع بالفاء. فيرد عليه أن الآيه فى سوره المائده، و هى قد نزلت فى أواخر حياته صلى الله عليه و آله وسلم مره واحده. و غزوه ذى أمر كانت- كما يقولون- فى أوائل السنه الثالثه للهجره.

و من غير المعقول: أن يحتفظ صلى الله عليه و آله وسلم بآيات تبقى معلقه فى الهواء- إلى عده سنوات-، ثم يجعلها فى سوره نزلت حديثا.

و ثانيا: إن الآيه تذكر:

1- أن (قوما) قد همّوا بأن يبسطوا أيديهم إلى المسلمين، و دعثور شخص واحد، و لم نعهد إطلاق كلمه (قوم) على الواحد.

و قول البعض: إن قوله تعالى: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ، يشمل سخريه فرد من فرد.

لا يصح؛ لأنه إنما يشمله بالملاک، لا بالظهور اللفظى، و الآيه التى نحن بصددها إنما هى إخبار عن حادث وقع، و ليس فيها شمول ملاكى، كما هو ظاهر.

إلا أن يقال: إن نسبه ذلک إلى القوم باعتبار رضاهم بفعل دعثور هذا و هو كما ترى.

2- و من جهه أخرى فإنها قد عبّرت عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم بضمير الجمع، و لم نعهد التعبير عن الرجل الواحد بضمير الجمع إلا فى مقام التعظيم،

1- سوره المائده الآيه رقم: 11.

و بضرب من التجوز. و هو هنا يمتنّ على المسلمين جميعا بأن اللّه قد صرف عنهم من همّوا ببسط أيديهم إليهم، و لو كان المقصود هو النبى فقط، فلماذا يعبر عنه بضمائر الجمع؟

و قد يجاب عن ذلک: بأن ذهابه صلى الله عليه و آله وسلم ، و فقده، يكون سببا لذهابهم و تشتّتهم، و ضعفهم، و بسط اليد إليه بسط لها إليهم؛ لأنه قائدهم، و به قوام اجتماعهم.

إلا أن يقال: إن ذلک خلاف المفهوم من الآيه، و فيه نوع من التجوز و الإدّعاء؛ فلا يعتمد عليه إلا بدليل.

و ثالثا: قال العلامه الحسنى: (و موضع التساؤل فى هذه القصه:

أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم هل كان ينفرد عن أصحابه فى غزواته؟! و هل يتركه أصحابه وحيدا فى تلک الفلاه، و المشركون على مقربه منهم؟! وهب أنه ذهب إلى الشجره ليجفف ثيابه من المطر، و لكن كيف تركه ذلک الجيش المؤلف من (450) مقاتلا؟ و خفى عليهم ذلک الرجل الذى تحدّر من الجبل لإغتياله، و هو بعيد عن أصحابه إلخ؟ ...) (1).

و يمكن المناقشه فى هذا بأن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد تخلّف عن الجيش الراجع من غزوه بدر ليمرض عليا (عليه السلام) كما تقدم فى موضعه.

إلا أن يقال: إنه فى بدر قد تخلّف فى موضع أمن، لا فى موضع مخافه.

و أما الإيراد على ذلک بأن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد تخلّف فى بعض غزواته، ليسابق زوجته عائشه (2) فهو لا يصح، لأننا نعتقد أنها مجرد قصص مختلقه

1- سيره المصطفى ص 384.
2- راجع: صفه الصفوه ج 1 ص 176 عن أحمد، و السيره الحلبيه ج 2 ص 290، و مغازى الواقدى ج 2 ص 427، و سنن أبى داود ج 3 ص 30 و عن النسائى و ابن ماجه.

و خياليه، لا أساس لها من الصحه كما سيأتى.

و خلاصه الأمر: إن تخلّف النبى عن جيشه إلى مكان قريب، ليجفف ثوبه، مع الإحساس بالأمن، ليس بالأمر المستهجن، و لا النادر الوقوع. لا سيما إذا كان يريد حاجه يطلب فيها الستر عن أعين الناس.

و قد كان أفراد الجيش ينفصلون عن الجيش قليلا لقضاء بعض حاجاتهم.

و لعل الآيه قد نزلت فيمن يهم الرواه إبعاد التهمه عنهم، فلفّقوا هذه المناسبه لإبعاد الشبهه عمن يحبون.

ص: 20

ص: 21

ص: 22

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحله الاغتيالات المنظمه

اشاره

مع عقائد اليهود و آثارها:

قبل أن نبدأ بالحديث عن العمليات العسكريه التى جرت بين المسلمين و اليهود فيما بين بدر و أحد، نود أن نشير باختصار إلى بعض عقائد اليهود، ثم إلى بعض ما يرتبط بمواقفهم و خططهم، و مؤامراتهم على الإسلام، و على المسلمين، فنقول:

1- عنصريه اليهود: اليهود شعب عنصرى، مؤمن بتفوق عنصره على البشر كافه. و الناس عندهم لا قيمه لهم و لا اعتبار، و إنما خلقوا لخدمه الإسرائيليين و حسب. فكل الناس إذن يجب أن يكونوا فى خدمتهم، و تحت سلطتهم، كما يقول لهم تلمودهم.

فقد جاء في التلمود ما ملخصه: أن الإسرائيلى معتبر عند اللّه أكثر من الملائكه. و أن اليهودى جزء من اللّه. و من ضرب يهوديا فكأنه ضرب العزه الإلهيه. و الشعب المختار هم اليهود فقط، و أما باقى الشعوب فهم حيوانات. و يعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم، و لا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. و يلزم التلمود الإسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين،. و يمنع من تحيه غير اليهودى إلا أن يخشوا ضررهم، و لا يجيزون الصدقه على غير اليهودى. و يجوز لهم سرقه ماله، و غشه، كما أن على الأمميين أن يعملوا، و لليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل.

و يجيز التلمود التعدّى على عرض الأجنبى، لأن المرأه إن لم تكن

يهوديه فهى كالبهيمه. و لليهودى الحق فى اغتصاب غير اليهوديات.

و لا يجوز لليهودى الشفقه على غيره. و يحرم على اليهودى أن ينجى غيره (1) إلى آخر ما هنالک، مما لا يمكن الإحاطه به فى هذه المناسبه.

نعم، هذه هى نظره اليهود لغيرهم، و هذه هى حقيقه ما يبيّتونه تجاه كل من هو غير يهودى. و قد نعى اللّه تعالى عليهم هذه النظره السيئه، فقال:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ، وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ (2).

فهو يؤكد لهم: أنهم كغيرهم من الخلق، يعذبهم اللّه بذنوبهم، و لا فضل لهم على غيرهم؛ لأن التفاضل إنما هو بالتقوى و العمل الصالح.

2- اليهود وحب الحياه الدنيا: و اليهودى أيضا يؤمن بالماده، و يرتبط بها بكل وجوده و طاقاته، فهو يحب المال و جمعه حبا جما، و هو يعيش من أجله، و يعمل فى سبيله بكل ما أوتى من قوه و حول؛ فهو من أجل الماده ولد، و فى سبيلها عاش و يعيش، و على حبها سوف يموت.

و لأجل ذلک فلا ينبغى أن نستغرب إذا رأينا: أن ارتباطهم بالناس مصلحى و نفعى، و أن المال و اللذه هما المنطق الوحيد لهم فى كل موقف، و المقياس للحق و للباطل عندهم.

1- راجع: الكنز المرصود ص 48- 106، و مقارنه الأديان (اليهوديه) لأحمد شلبى ص 272- 274 عنه و عن: التلمود شريعه بنى إسرائيل 22- 25 و 40- 44 و 65.
2- المائده: 18.

و لا يجب أن نعجب أيضا إذا رأينا: أن الشيوعيه، و هى التفكير الداعى إلى اعتبار الماده هى أساس الكون و الحياه، و هى المحرک، و المنطلق، و هى الغايه، و إليها ستكون النهايه، و هى المعيار و المقياس الذى لا بد و أن يهيمن على كل شؤون الحياه و الإنسان و الكون، و كل نظمه و قوانينه، و علاقاته. نعم، لا عجب إذا رأينا: أن هذا التفكير يبدأ من اليهود، و إليهم ينتهى (1).

3- أكثر اليهود لا يؤمنون بالبعث:

و اليهودى يكره الموت، و هو يتمنى لو يعمّر ألف سنه، قال تعالى:

وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ (2)، وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ (3).

و لعل سر ذلک يعود إلى أن توراه اليهود المحرفه الحاضره لم تشر بشكل واضح إلى البعث و القيامه، و إنما ورد حديث عن الأرض السفلى، و الجب التى يهوى إليها العصاه، و لا يعودون (و إن الذى ينزل إلى الهاويه لا يصعد).

و يقول البعض: إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياه الدنيا وحدها هى عالم الإنسان، و ليس هناک اعتقاد بعد ذلک فى بعث و جنه أو نار؛ و ثوابهم و عقابهم مقصوران على الحياه الدنيا.

1- الخطر اليهودى ص 67 و فيه: أن أعضاء المجلس الشيوعى الذى كان يحكم روسيا سنه 1951 كان يتألف من سبعه عشر عضوا كلهم يهود صرحاء باستثناء ثلاثه هم: ستالين، و فيرشيلوف، و مولوتوف. و هؤلاء الثلاثه زوجاتهم يهوديات، و فيهم يهودى الأم، أو الجده، أو صنيعه مجهول النسب من صنائع اليهود، كما أن المنظر الأكبر للشيوعيه هو اليهودى كارل ماركس.
2- تنكير (الحياه) للتحقير، أى مهما كانت تافهه و حقيره.
3- البقره: 96.

و على العموم، فإن فكره البعث لم تجد لها أرضا خصبه لدى اليهود، و قد حاول بعض طائفه الفريسيين القول بها، و لكن هذه المحاوله لقيت معارضه شديده، أما باقى الفرق اليهوديه، فلم تعرف عنها شيئا.

و إذا كان الإنسان لا يعتقد بالبعث، و يؤمن بأن الجزاء ليس إلا فى هذه الدنيا، فمن الطبيعى أن يسعى إلى المنكرات و اقتراف الآثام (1).

ملاحظه:

هذا، و قد تفاقم فيهم حبهم للدنيا حتى بلغ بهم الحرص عليها: أن حرمهم من الإستفاده من الأموال التى يجمعونا،، فتجد الكثيرين منهم يعيشون فى دناءه من العيش و فيهم شح كبير، و لؤم و بخل ظاهر، و خسه لا يحسدون عليها. هذا إلى جانب إهمال الكثير منهم جانب النظافه المطلوبه، كما يظهر لمن سبر أحوالهم، و عاش فى بيئتهم.

و يعتقد اليهود: أن اللّه سيغفر لهم كل ما يرتكبونه من جرائم و عظائم. و هذا ما يشجعهم على الفساد و الإنحراف، و الإمعان فى المنكرات و الجرائم.

و قد ردّ اللّه تعالى على عقيدتهم هذه (2)، حينما قال: وَ قَطَّعْناهُمْ فِى الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ، وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ، وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ، يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى، وَ يَقُولُونَ: سَيُغْفَرُ لَنا. وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ، أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ: أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَ دَرَسُوا ما فِيهِ؟ وَ الدَّارُ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ؛ أَ فَلا

1- راجع: أحكامهم هذه فى كتاب، مقارنه الأديان (اليهوديه) ص 199 و 200، و اليهود فى القرآن ص 37.
2- اليهود فى القرآن 44/ 45.

تَعْقِلُونَ (1).

3- و بعد ما تقدم، و بعد أن كان اليهودى لا يعتقد بالآخره، فإن من الطبيعى أن يكون اليهود شعبا جبانا، لأنه يخشى الموت، و يرهب الأخطار، لأنه يرى بالموت نهايته الحقيقيه (2). و من طبع الجبان أن يتعامل مع خصومه بأساليب المكر و الخداع، و الغدر و الخيانه بالدرجه الأولى.

من أسباب عداء اليهود للاسلام:

و نشير هنا إلى أننا نلاحظ: أن اليهود بدأوا يحاربون الإسلام من أول يوم ظهوره، و كانوا و ما زالوا يحقدون عليه، رغم أنهم كانوا أول من بشر بظهور النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، مستندين فى بشاراتهم تلك إلى الدلائل القاطعه التى يجدونها فى كتبهم. و نستطيع أن نذكر من أسباب عدائهم للمسلمين و للإسلام:

1- إنهم قد وجدوا أن هذا النبى يدعو الناس إلى دين هو نظام كامل و شامل للحياه؛ و أن هذا الدين قد جاء بنظام اقتصادى متكامل و متوازن؛ و اهتم بمحاربه الربا، و الإحتكار، و جميع أنواع و أشكال استغلال إنسان لإنسان آخر؛ و جعل فى أموال الناس حقا معلوما للسائل و المحروم، فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم، و مع ما ألفوه و أحبوه، بل رأوه يتنافى مع تلك الأطماع و مع أهدافهم و مصالحهم، و مع نظرتهم للكون، و للحياه، و الإنسان.

2- و الذى زاد من حنقهم و حقدهم: أنهم كانوا يأملون أن يتم

1- الأعراف: 168/ 169.
2- و يلاحظ: أن العرب فى هذه الأيام يجبنون عن مواجهه اليهود فى حرب الكرامه و الشرف، لماذا؟ أليس لأجل ابتعادهم عن دينهم و استسلامهم لا نحرافاتهم، و حبهم للحياه، و قله يقينهم بالموت و المعاد.

القضاء على هذا الدين من قبل قومه القرشيين، و من معهم من ذؤبان العرب، دون أن يكلّفهم ذلک أيه خسائر؛ خصوصا فى الأرواح، فرضوا بالمعاهده التى سلف ذكرها. و لكن فألهم قد خاب، فها هو الإسلام يزداد قوه، و اتساعا و نفوذا، يوما عن يوم. و ها هو يسجل فى بدر العظمى أروع البطولات، و أعظم الإنتصارات، فلم يعد يقرّ لهم قرار، أو يطيب لهم عيش، إذ كان لا بد- بنظرهم- من القضاء على هذا الدين قبل أن يعظم خطره و يكتسح المنطقه، و يضرى بهم إعصاره الهادر.

3- و زاد فى حنقهم و قلقهم: أنهم رأوا النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين معه، كما أنهم لا يخدعون، و لا يؤخذون بالمكر و الحيله، كذلک هم لا يستسلمون للضغوط، و لا تثنيهم المصاعب و المشقات مهما عظمت.

و كلما زاد الإسلام اتساعا كلما زاد الطموح لدى المسلمين، و الضعف لدى خصومهم، إذن، فلا بد من اهتبال الفرصه، و مناهضه هذا الدين، و القضاء عليه بالسرعه الممكنه.

4- و يقول الجاحظ: (إن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب و غيرها؛ و عداوه الجيران شبيهه بعداوه الأقارب، فى شده التمكن و ثبات الحقد، و إنما يعادى الإنسان من يعرف، و يميل على من يرى، و يناقض من يشاكل، و يبدوله عيوب من يخالط، و على قدر الحب و القرب يكون البغض و البعد، و لذلک كانت حروب الجيران و بنى الأعمام من سائر الناس و سائر العرب أطول، و عداوتهم أشد.

فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا، و قد كانت الأنصار متقدمه الجوار، مشاركه فى الدار، حسدتهم اليهود على نعمه الدين، و الإجتماع بعد الإفتراق، و التواصل بعد التقاطع إلخ) (1).

1- ثلاث رسائل للجاحظ (رساله الرد على النصارى) ص 13/ 14 نشر يوشع فنكل سنه 1382 ه.

5- ثم هناک حسدهم للعرب أن یکون النبی الذی تعد به توراتهم منهم، و لیس إسرائیلیا، و قد أشار إلی ذلک تعالی فقال:

وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ، وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ؛ فَلَعْنَهُ اللَّهِ عَلَی الْکافِرِینَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ: أَنْ یَکْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْیاً أَنْ یُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلی غَضَبٍ، وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ (1).

و لعل هذا هو السر فی أنهم- حسبما یقوله البعض- حینما طلب النبی صلی الله علیه و آله وسلم منهم أن یدخلوا فی الإسلام امتعضوا، و أخذوا یخاصمون رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) (2).

6- لقد عز علیهم و أرهبهم: ما رأوه من قدره الإسلام علی توحید أهل المدینه: الأوس و الخزرج، الذین کانوا إلی هذا الوقت أعداء یسفک بعضهم دماء بعض، قال تعالی: وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ، وَ لکِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (3).

7- ثم إنهم قد رأوا: أن هذا الدین یبطل مزاعمهم، و یقضی علی الیهودیه، و علی أحلام بنی أسرائیل و قد أبطل أسطورتهم فی دعواهم التفوق العلمی، و أظهر کذبهم فی موارد کثیره، و تبین لهم: أن الإسلام یعلو و لا یعلی علیه.

أضف إلی ذلک: أنه قد ظهر أن نبی الإسلام أفضل من موسی (علیه

1- البقره: 89- 90.
2- راجع: الیهود فی القرآن ص 23.
3- الأنفال: 63.

السلام)، و من سائر الأنبياء. و أصبحوا يرون الناس يؤمنون بدين جديد، هو غير اليهوديه، و هم يقولون: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم (1).

و فوق ذلک کله، فإن الإسلام يرفض إعطاء الإمتيازات على أساس عرقى، و هو يساوى بينهم و بين غيرهم، و هذا ذنب آخر لا يمكن لهم الإغماض عنه بسهوله.

اليهود فى مواجهه الاسلام:

لقد حاول اليهود مواجهه المد الإسلامى الكاسح بكل ما لديهم من قوه و حول. و نذكر هنا بعض ما يرتبط بالأساليب و الطرق التى حاولوا الإستفاده منها فى هذا السبيل، من دون ملاحظه الترتيب بينها، لا سيما و أن بعضها متداخل فى الأكثر مع بعض، فنقول:

1- قد أشار الجاحظ إلى أنهم: (شبّهوا على العوام، و استمالوا الضعفه، و مالأوا الأعداء و الحسده، ثم جاوزوا الطعن، و إدخال الشبهه إلخ) (2).

نعم، لقد حاولوا تشكيک العوام، و ضعاف النفوس بالإسلام، و كانوا يرجحون لهم البقاء على الشرک، كما فعله كعب بن الأشرف، حينما سأله مشركوا مكه عن الدين الأفضل، كما ألمحنا إليه فيما سبق.

بالإضافه إلى ممالأتهم للذين و ترهم الإسلام، أو وقف فى وجه مطامعهم و طموحاتهم اللامشروعه و اللاإنسانيه. و نذكر مثلا على ذلک: ما جاء فى الروايات من أن الناس يعتبرون: أن من علامات الحق: أن لا يرجع عنه من يقتنع به، فإذا رجع عنه فلا بدّ أن يكون ذلک لأجل أنه وجد فيه ضعفا، أو نقصا، و لذلک نجد ملک الروم يسأل أبا سفيان أحد ألدّ

1- آل عمران: 73.
2- ثلاث رسائل للجاحظ (رساله الرد على النصارى) ص 14.

أعداء محمد صلى الله عليه و آله وسلم : (هل يرجع عن الإسلام من دخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا).

و قد حاول اليهود أن يتبعوا نفس هذا الأسلوب. و قد حكى اللّه تعالى عنهم هذا الأمر، فقال: وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ: آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ، وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (1).

2- طرح الأسئله الإمتحانيه على النبى صلى الله عليه و آله وسلم بهدف تعجيزه.

و يلاحظ: أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود:

قريظه، النضير، قينقاع، ثعلبه إلخ. و لكن محاولاتهم هذه قد باءت بالفشل الذريع. بل لقد ساهم ذلک بشكل فعال فى تجلّى و وضوح تعاليم الإسلام، و ترسيخها، و قد دفعهم فشلهم هذا إلى أن يطلبوا من النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أن يأتيهم بكتاب من السماء: يَسْئَلُکَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِکَ، فَقالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً (2).

ثم تمادوا فى العناد و اللجاج، إلى ما هو أبعد من ذلک، قال تعالى:

وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ: لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ، كَذلِکَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ (3) الآيه.

فإن سياق الآيات ظاهر فى أن اليهود هم الذين قالوا ذلک.

3- و لما فشلوا فى محاولاتهم محاربه الإسلام على صعيد الفكر، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الإقتصادى على المسلمين؛ فيذكرون: أن

1- آل عمران: 72، و ليراجع كتاب: اليهود فى القرآن ص 31، فإنه أشار أيضا إلى هذا الأمر.
2- النساء: 153.
3- البقره: 118.

رجالا من أهل الجاهليه باعوا يهودا بضاعه، ثم أسلموا و طلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانه، و لا قضاء عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذى كنت عليه، و ادّعوا: أنهم وجدوا ذلک فى كتابهم.

فجاء فى الآيه المباركه الرد عليهم: وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ، وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ، إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً، ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا: لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ، وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (1).

و أيضا فقد رفض رؤساء اليهود أن يقرضوا المسلمين مالا فى أول عهدهم فى المدينه، و قد كانوا فى ضنک شديد، فالمهاجرون فقراء لا مال لهم، و الذين دخلوا فى الإسلام من أهل المدينه لم يكونوا على سعه من الرزق.

و قد أجابوا رسول اللّه حينما طلب منهم القرض بقولهم: أحتاج ربكم أن نمدّه؟ فنزل قوله تعالى: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ، سَنَكْتُبُ ما قالُوا (2).

4- ممالأه أعداء الإسلام و مساعدتهم بكل ما أمكنهم، و لو بالتجسس، و بغير ذلک من وسائل.

5- محاربه الإسلام أيضا: عن طريق إثاره الفتن بين المسلمين، و لا سيما بين الأوس و الخزرج، و بين المسلمين و المشركين.

و نذكر هنا على سبيل المثال قضيه شاس بن قيس، الذى حاول تذكير الأوس و الخزرج بأيام الجاهليه، و إثاره الإحن القديمه فى نفوسهم؛ فتثاور الفريقان، حتى تواعدوا أن يجتمعوا فى الظاهره لتصفيه الحسابات،

1- آل عمران: 75.
2- آل عمران: 181 راجع فى ذلک: اليهود فى القرآن ص 28.

و تنادوا بالسلاح، و خرجوا، و كادت الحرب أن تقع بينهما؛ فبلغ الخبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)؛ فخرج إليهم بمن كان معه من أصحابه المهاجرين؛ فوعظهم؛ فأدركوا أنها نزعه من الشيطان، و كيد من عدوهم، فندموا على ما كان منهم، و تعانق الفريقان و تصافيا، و انصرفوا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم).

و يقول البعض: إن الآيات الشريفه التاليه قد نزلت فى هذه المناسبه: قُلْ: يا أَهْلَ الْكِتابِ، لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً، وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ، وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ. وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ، وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ، وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ، وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (1).

6- تآمرهم على حياه النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) و تحريضهم الناس عليه كما سنرى، إن شاء اللّه تعالى.

7- محاولات إثاره البلبله، و تشويش الأوضاع، بإشاعه الأكاذيب، و تخويف ضعاف النفوس من المسلمين.

8- تآمرهم مع المنافقين على الإسلام، و مكرهم معهم بالمسلمين، ثم علاقاتهم المشبوهه مع قريش، و ممالأتهم إياها على حرب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم .

9- تآمرهم و مكرهم و تدبيرهم لمنع المسلمين من الخروج للحرب، و كانوا يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، لأجل تثبيط الناس عن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فى غزوه تبوک، فعرف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بهم فأحرق البيت عليهم (2).

1- آل عمران: 99- 101.
2- السيره النبويه لإبن هشام ج 4 ص 160، و التراتيب الإداريه ج 1 ص 309.

و قد رجع عبد اللّه بن أبى، حليف يهود بنى قينقاع فى ثلاثمائه رجل من أصحابه، و ذلک فى حرب أحد، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

موقف النبى صلى الله عليه و آله وسلم من اليهود:

و لكن جميع محاولات اليهود للكيد للإسلام و المسلمين، باءت بالفشل الذريع، بسبب وعى القياده الإسلاميه العليا.

و لقد صبر الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) على مخالفاتهم الكبيره تلک، تفاديا لحرب أهليه قاسيه فى مقره الجديد ..

حتى طفح الكيل، و بلغ السيل الزبى، و عرف المسلمون: أن اليهود كانوا- بزعمهم- يستغلون ظروف المسلمين و مشاكلهم، و يصعّدون من تحدياتهم لهم. و أصبحوا فى الحقيقه هم الخطر الداهم و الحقيقى الذى يتهدد وجود الإسلام من الأساس.

لا سيما و أن هذا العدو الماكر و الحاقد يعيش فى قلب المجتمع الإسلامى، و يعرف كل مواقع الضعف و القوه فيه، و يتربص به الدوائر، و يترصد الفرصه المؤاتيه.

فكان لا بد من صياغه التعامل مع هذا العدو على أساس الحزم و العدل، بدلا من العفو و التسامح و الرفق، فليس من الصالح أن يترک اليهود يعيثون فى الأرض فسادا، و ينقضون كل العهود و المواثيق، و يسددون ضرباتهم للمسلمين كيف و أنى شاءوا، بل لا بد من الرد الحاسم و الحازم و العادل على كل اعتداء، و مواجهه كل مكيده، قبل أن يكون الندم حيث لا ينفع الندم.

العمليات العسكريه فى مرحلتين:

و بعد أن اتضح نقض اليهود لكل العهود و المواثيق، حاول الإسلام

أن يتعامل معهم على مرحلتين:

الأولى: أن يتبع معهم أسلوب الإنذار الحازم و العادل، فكانت عمليات القتل المنظمه لبعض الأفراد، بمثابه جزاء عادل لناقضى العهود، الذين يشكلون خطرا جديا على صعيد استقرار المنطقه.

كما و كانت بمثابه إطلاق صفاره الإنذار لكل من ينقض عهدا، و يتآمر على مصلحه الإسلام العليا، مع إعطائهم الفرصه للتفكير، و إفهامهم أن الإسلام يمكن أن يتحمل، و لكنه ليس على استعداد لأن يقبل بوضع كهذا إلى النهايه، لا سيما إذا كان ذلک على حساب وجوده و بقائه.

الثانيه: الحرب الشامله و المصيريه، حيث لا يمكن حسم ماده الفساد بغير الحرب. و نحن نتكلم عن هاتين المرحلتين، كلا على حده فى الصفحات التاليه.

الاغتيالات المنظمه:

1- قتل أبى عفک:

كان الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) قد عاهد اليهود على الموادعه، و عدم تعرّض أى من الفريقين للآخر.

و لكن سرايا المسلمين فى المنطقه، و ما تبع ذلک من إجراءات على صعيد بناء المجتمع الجديد و تقويته، قد زاد من قوه المسلمين، و رفع من معنوياتهم، و جعل منهم قوه لها خطرها؛ مع أنه لم يمض بعد عامان على قدومهم كلاجئين، يبحثون عن مأوى و ملجأ و ملاذ. إذن، فلا بد- برأى اليهود- من تطويق هذا الخطر، و الحد من هذا النفوذ قبل فوات الأوان؛ حتى يتسنى لليهود الإستمرار فى الإحتفاظ بالتفوق السياسى و الإقتصادى فى المنطقه.

و قد بدأت محاولات اليهود فى هذا السبيل من أوائل الهجره، و قبل حرب بدر، ثم كانت حرب بدر و نتائجها المذهله، فزاد ذلک من مخاوف اليهود، و المشركين، و المنافقين على حد سواء، فصعّدوا من نشاطاتهم، و تحدياتهم بشكل ملحوظ كما سنرى.

و قد بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين، و التعرض لهم بمختلف أنواع الأذى، فكان (أبو عفک) اليهودى يحرض على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، و يقول فيه الشعر؛ فنذر سالم بن عمير أن يقتله، أو يموت دونه؛ فذهب إليه فقتله (1).

و يبدو أن قتله كان قبل حرب بدر، كما سيظهر من العبارات التاليه:

2- قتل العصماء بنت مروان:

فلما قتل أبو عفک، تأففت العصماء بنت مروان (و هى من بنى أميه بن زيد، و زوجه يزيد الخطمى) من قتله، فصارت تعيب الإسلام و أهله، و تؤنب الأنصار على اتباعهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و تقول الشعر فى هجوه صلى الله عليه و آله وسلم ، و تحرّض عليه، و استمرت على ذلک إلى ما بعد بدر.

فجاءها عمير بن عوف ليلا لخمس بقين من شهر رمضان المبارک، فوجدها نائمه بين ولدها، و هى ترضع ولدها- و عمير ضعيف البصر- فجسّها بيده؛ فوجد الصبى على ثديها يرضع، فنحاه عنها، ثم وضع سيفه فى صدرها حتى أخرجه من ظهرها، ثم ذهب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، فقال له صلى الله عليه و آله وسلم : أقتلت ابنه مروان؟

1- راجع: تأريخ الخميس ج 1 ص 408، و المغازى للواقدى ج 1 ص 174 و 175.

قال: نعم.

قال صلى الله عليه و آله وسلم : لا ينتطح فيها عنزان. أى لا يعارض فيها معارض (1).

هكذا زعم المؤرخون: و ان كنا نشک فى صحه ذلک، إذ لا يعقل ان ينحى ولدها عنها و لا تلتفت إليه، و تبقى ساكنه ساكته، حتى يضع سيفه فى صدرها.

هذا، قد جاء فى شواهد النبوه: أن عمير بن عدى الخطمى سمع أبياتها التى قالتها حين كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فى بدر، و التى قالتها فى ذم الإسلام و المسلمين، و كان ضريرا؛ فنذر: لئن ردّ اللّه رسوله سالما من بدر ليقتلنّها. ففى ليله قدومه صلى الله عليه و آله وسلم ذهب إليها عمير فقتلها؛ فلما رآه النبى صلى الله عليه و آله وسلم قال له: أقتلت ابنه مروان؟ قال: نعم.

فأقبل (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) على الناس، و قال: (من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصره اللّه و رسوله؛ فلينظر إلى عمير بن عدى).

فقال عمر: إلى هذا الأعمى؟ بات فى طاعه اللّه و رسوله!!.

فقال النبى صلى الله عليه و آله وسلم : مه يا عمر، فإنه بصير، أو كما قال (2).

و رجع عمير إلى قومه من بنى خطمه؛ فقال لهم: يا بنى خطمه، أنا قتلت إبنه مروان، فكيدونى جميعا، و لا تنظرون.

فذلک أول ما عزّ الإسلام فى دار بنى خطمه، و كان من أسلم منهم يستخفى بإسلامه، و يومئذ أسلم رجال منهم بما رأوا من عزّ الإسلام (3).

1- راجع ما تقدم فى: تاريخ الخميس ج 1 ص 406 و 407، و المغازى للواقدى ج 1 ص 172 و 173.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 407 و 406 عن شواهد النبوه، و المغازى للواقدى ج 1 ص 172 و 173.

3- راجع ما تقدم فى المغازى للواقدى ج 1 ص 173 و 174.

و لعل ما فی شواهد النبوه من أن عمیرا کان أعمی، و قد جاء هذا علی لسان عمر أیضا، قد جاء علی سبیل المبالغه؛ لأنه کان ضعیف البصر بالفعل. فإن من الصعب علی الضریر أن یقوم بعملیه کهذه، و هی نائمه لیلا بین ولدها.

إلا أن یقال: إنه إذا عرف مکانها الذی تنام فیه، فإن بإمکانه تمییز الطفل عن غیره بواسطه تلمّس أبدانهم، کما هو صریح الروایه.

و لکنها- کما قلنا- تبقی عملیه صعبه علی الرجل الضریر. و لذلک فنحن نرجح طریقه المبالغه کما قلنا.

3- قتل کعب بن الأشرف:

قال الواقدی: إن قتل کعب بن الأشرف کان فی ربیع الأول فی سنه ثلاث.

و خلاصه ما جری: أن الیهود کانوا یتوقعون: أن یستأصل المشرکون شأفه المسلمین و الإسلام، و کان لانتصار المسلمین فی بدر وقع الصاعقه علیهم، و ثارت ثائرتهم، و طاشت عقولهم.

قال ابن إسحاق: لما أصیب المشرکون فی بدر؛ فبلغ ذلک کعب بن الأشرف، و کبر علیه قتل من قتل فی بدر، و بکاهم، و هجا النبی صلی الله علیه و آله وسلم و أصحابه فی شعره، و کان یشبب بنساء المسلمین (و أضاف البعض (1):

نساء النبی صلی الله علیه و آله وسلم أیضا) حتی آذاهم (2).

1- هو ابن سلام الجمحی فی طبقات الشعراء ص 71.
2- راجع فیما تقدم: سیره ابن إسحاق ص 317، و البدایه و النهایه ج 4 ص 6، و المغازی ج 1 ص 185، و دلائل النبوه للبیهقی ط دار الکتب العلمیه ج 3 ص 188 و 190، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 413، و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 178، و البحار ج 20 ص 10، و طبقات الشعراء لإبن سلام ص 71.

فسار إلى مكه، و حرض على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و لم يخرج من مكه حتى أجمع أمرهم على حرب رسول اللّه.

و سأله أبو سفيان: أديننا أحب إلى اللّه أم دين محمد و أصحابه؟، و أيّنا أهدى فى رأيک، و أقرب إلى الحق: إنا لنطعم الجزور الكوماء، و نسقى اللبن على الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلا (1).

فلما عاد إلى المدينه، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : من لى بابن الأشرف؟

فانتدب له محمد بن مسلمه، و قال: يا رسول اللّه، لا بد لنا أن نقول. قال:

قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلک.

فذهب إليه هو و أبو نائله، أخو كعب من الرضاعه، و آخرون.

فاجتمع به أبو نائله، و أظهر له تبرّمه من الوضع المعيشى الذى نجم عن قدوم النبى صلى الله عليه و آله وسلم إليهم، و طلب منه: أن يبيعه طعاما فى مقابل رهن، فطلب ابن الأشرف أن يرهنوه نساءهم، فرفض أبو نائله، ثم طلب أبناءهم، فرفض أيضا، و عرض عليه رهن السلاح، حتى لا ينكر كعب السلاح إذا جاء مع أصحابه؛ فقبل كعب.

و رجع المفاوض إلى جماعته، فجاء بهم، و معهم السلاح، و شيعهم صلى الله عليه و آله وسلم إلى بقيع الغرقد، و دعا لهم؛ فلما انتهوا إلى الحصن صاحوا به، فقالت له زوجته- و كان حديث عهد بعرس- أسمع صوتا يقطر منه الدم.

فقال لها كعب: إن أبا نائله لو رآه نائما ما أيقظه. و نزل إليهم، فأخذ أبو نائله رأسه فشمه، و تعجب من طيبه، و كرّر ذلک حتى اطمأن كعب. ثم أخذ بفوديه، و قال: اضربوا عدوّ اللّه، فخبطوه بأسيافهم، و قتلوه، و جرح

1- راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 6، و السيره النبويه لإبن كثير ج 3 ص 11، و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 191.

منهم بأسيافهم الحارث بن أوس بن معاذ، فتفل صلى الله عليه و آله وسلم على جرحه.

فأصبحوا و قد خافت يهود مما جرى لكعب (فليس بها يهودى إلا و هو خائف على نفسه (1))، و ذهبوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فقالوا: قتل صاحبنا غيله. فذكرهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم ما كان يهجوه فى أشعاره و يؤذيه.

قال: ثم دعاهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى أن يكتب بينه و بينهم صلحا، قال:

أحسبه قال: فذلک الكتاب مع على (2).

و قال كعب بن مالک بهذه المناسبه أبياتا منها:

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النضير (3) قال العلامه الحسنى: (و مع ذلک فلم يتراجعوا عن الدس و التحريض على المسلمين و التصدى لهم، و النيل من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و طلب منهم النبى أن يكفوا عمّا هم عليه، و أن يلتزموا بالعهد الذى أعطوه على أنفسهم، حين دخوله المدينه، فلم يزدهم ذلک إلا عتوا و تماديا فى إيذاء المسلمين، و نشر الفساد، و النبى صلى الله عليه و آله وسلم من جانبه يوصى المسلمين بالهدوء و ضبط الأعصاب) (4).

1- راجع جميع ما تقدم فى المصادر التاليه: سيره ابن إسحاق ص 317- 319، و البدايه و النهايه ج 4 ص 5- 8، و المغازى للواقدى ج 1 ص 188- 191، و دلائل النبوه للبيهقى (ط دار الكتب العلميه) ج 3 ص 192- 200، و تاريخ الخميس ج 1 ص 413- 414، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 179 و 180، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 143 و 144.
2- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 204، و طبقات ابن سعد ج 2 ص 23، و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 198، و راجع: المغازى للواقدى ج 1 ص 192، و تاريخ الخميس ج 1 ص 414.
3- راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 8.
4- سيره المصطفى ص 378.

و لا بد أن يكون ذلک- لو صح- باستثناء ناقضی العهد من الشخصيات الخطره، التی كانت تحرض علی الإسلام و المسلمين، و تشكل خطرا جديا عليهم، كما يظهر مما يأتی:

ملاحظه: قد تقدم أن الكتاب الذی كتبه النبی صلی الله عليه و آله وسلم بينه و بين اليهود قد كان مع علی (عليه السلام).

و نحن نستثير القاری ء ليطرح سؤاله حول السر فی أن يكون ذلک الكتاب عند علی (عليه السلام) دون غيره، فهل ذلک يشير إلی خصوصيه لعلی (ع) بالنسبه إلی النبی صلی الله عليه و آله وسلم فی المجال السياسی، أو حتی فيما يرتبط بالإمامه من بعده صلی الله عليه و آله وسلم ؟!

4- قتل ابن سنينه:

و يذكر المؤرخون: أن رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصه بن مسعود علی ابن سنينه اليهودی، فقتله، فقال له أخوه حويصه- و لم يكن قد أسلم بعد-: يا عدو اللّه قتلته ؟! أما و اللّه لرب شحم فی بطنک من ماله.

فقال محيصه: لقد أمرنی بقتله من لو أمرنی بقتلک لقتلتک.

قال فواللّه، إن كان لأول إسلام حويصه. فاستحلفه علی ذلک؛ فحلف له فقال: إن دينا بلغ بک ما أری لعجب ! ثم أسلم (1).

5- قتل أبی رافع:

اشاره

1- راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 8، و سيره ابن إسحاق ص 319 و 320، و دلائل النبوه للبيهقی ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 200، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 180 و 181.

و فی جمادی الآخره من السنه الثالثه (1)، و قیل: سنه أربع (2). و عند البعض: بعد أحد من دون تعیین. کان قتل أبی رافع ابن الحقیق بخیبر، الذی کان یظاهر ابن الأشرف فی معاداته للنبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و یؤذی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و یبغی علیه.

و ذلک أنه: بعد قتل الأوس لابن الأشرف قالت الخزرج: و اللّه لا یذهبون بها علینا عند رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فوقع اختیارهم علی ابن الحقیق هذا، المعروف ببغیه و أذاه، و المظاهر لإبن الأشرف؛ فاستأذنوا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی قتله فأذن لهم.

فخرج إلیه خمسه نفر أو ثمانیه، علیهم عبد اللّه بن عتیک، فأتوا داره لیلا، فأغلقوا أبوابه علی أهله، و کان هو فی علّیّه، فاستأذنوا علیه؛ بحجه: أنهم جاؤا یطلبون المیره، فدخلوا علیه، و أغلقوا باب العلّیه، فوجدوه علی فراشه؛ فابتدروه، فصاحت المرأه؛ فأرادوا قتلها، ثم ذکروا نهی النبی صلی الله علیه و آله وسلم عن قتل النساء و الصبیان، فقتلوه، و خرجوا.

و لکنهم لم یطمئنوا إلی أنه قد مات؛ فأرسلوا أحدهم، فدخل بین الناس، و عرف الخبر منهم، و رجع إلیهم فأخبرهم بهلاکه.

ثم رجعوا إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و اختلفوا فیمن قتله، فأخذ النبی صلی الله علیه و آله وسلم أسیافهم، فرأی علی سیف ابن أنیس أثر الطعام؛ فقال: هذا قتله (3).

و أضاف ابن الأثیر فی روایته المفصله: أن ابن عتیک وصل إلی

1- تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 182، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 146.
2- تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 183، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 148.
3- راجع: السیره النبویه لإبن هشام ج 3 ص 287 و 288، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 146/ 147، و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 184 و 185، و البحار ج 20 ص 13.

غرفه أبی رافع المظلمه، فناداه، فأجابه، فضرب جهه الصوت، فصاح؛ فهرب ابن عتیک، ثم عاد إلیه، فقال: ما هذا الصوت؛ فأجابه: أن رجلا فی البیت، فضرب نحو الصوت، فأثخنه، ثم وضع السیف فی بطنه، حتی خرج من ظهره، و نزل من درج فوقع، فانکسرت ساقه؛ فعصبها بعمامه؛ ثم جلس عند الباب، لیعرف إن کان قد قتل حقا، فسمع أول الفجر نعیه، فانطلق إلی أصحابه، ثم جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فمسح صلی الله علیه و آله وسلم رجله، فکأنه لم یشتکها قط (1).

و قبل المضی فی الحدیث لا بد من تسجیل النقاط التالیه:

ألف: الإسلام قید الفتک:

اشاره

إنه ربما یتخیل: أن الإغتیالات المنظمه التی تحدثنا عنها لا تناسب ما ورد من أن الإسلام قید الفتک، فلا یفتک مؤمن، حتی لیقال: إن هذا کان هو المانع لمسلم بن عقیل من قتل عبید اللّه بن زیاد فی بیت هانی بن عروه (2).

1- راجع: صحیح البخاری ج 3 ص 12، و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 77، و الطبقات الکبری ج 2 ص 91 ط صادر، و مجمع الزوائد ج 6 ص 197 و 198، و البحار ج 20 ص 302 و 303، و بهجه المحافل ج 1 ص 193، و المواهب اللدنیه ج 1 ص 122 و 123، و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 183، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 147 و 148.
2- الجامع الصغیر ج 1 ص 124 عن البخاری فی التاریخ، و أبی داود و مستدرک الحاکم و مسند أحمد و مسلم و کنوز الحقائق بهامش الجامع الصغیر ج 1 ص 96، و مستدرک الحاکم ج 4 ص 352، و مسند أحمد ج 1 ص 166 و 167، و منتخب کنز العمال بهامش المسند ج 1 ص 57، و مقتل الحسین للخوارزمی ج 1 ص 202 فصل 10، و مناقب ابن شهر آشوب ج 2 ص 318، و مقتل الحسین للمقرم ص 171، و الکامل لإبن الأثیر ج 4 ص 27، و تاریخ الطبری ج 4 ص 271،

و لكن الحقيقه هى: أنه لا منافاه بين ما ذكر؛ فإن المقصود بالفتک هو القتل غدرا لمن يكون منک فى أمن من ناحيتک. و الغدر أعم من الفتک.

و ثمه روايه تفيد: أن الفتک لا يجوز إلا بإذن الإمام، و قد حكم على من فتک بشاتمى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يذبح كبشا. و لو أنه قتلهم بإذن الإمام لم يكن عليه شى ء (1). و ذلک لأن الفتک لو شاع لا نعدم الأمن، و سلبت الراحه من كل أحد.

و قد كان عبيد اللّه بن زياد فى بيت هانى بن عروه يرى نفسه فى أمن من ناحيتهم، و لم يكن ثمه إعلان حرب فيما بينه و بينهم، إنما كان ثمه إرهاصات بالحرب فيما بينه و بين الحسين (عليه السلام)، و لم يكن ذلک قد اتضح بصوره تامه فى ذلک الحين.

و ليس الأمر بالنسبه لليهود كذلک، لأنهم كانوا قد عاهدوا النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم): أن لا يحاربوه و لا يظاهروا عليه عدوه. و هؤلاء هم الذين آذوا المسلمين، و هجوهم، و حرضوا المشركين عليهم، و ناحوا على قتلى بدر، بل ذهب ابن الأشرف إلى مكه للتحريض عليهم، و شبب بالنساء المسلمات، و حتى بنساء رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى آخر ما تقدم.

إذن فقد صار هؤلاء من أظهر مصاديق (المحاربين)، و ناقضى العهود، و لا بأس بالإحتيال على المحارب لقتله؛ فإن (الحرب خدعه) (2).

1- التهذيب للشيخ الطوسى ج 10 ص 213/ 214، و الكافى ج 7 ص 376.
2- المنتقى ج 2 ص 765، و التهذيب للشيخ الطوسى ج 6 ص 162 و 2163،

و قد كان (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) إذا أراد غزوه ورّى بغيرها (1)، كما أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد أجاز لهم أن يقولوا ما شاءوا، حينما ذهبوا إلى قتل ابن الأشرف، و ذلک لأن شر هذا المحارب و فساده فى الأرض، و وقوفه فى وجه كلمه اللّه، و إقامه العدل و الحق، أعظم من أى قول يقولونه، و أى أسلوب يتبعونه.

و أخيرا، فهل يشک أحد فى أن من يكون فى ساحه الحرب، فإن لعدوه أن يختله من خلفه، و يتخلص منه؟!. و من كان محاربا، فليس له أن يأمن عدوه، و ينام قرير العين، فارغ البال!

و يدل على ما قلناه: أن نفس امرأه كعب بن الأشرف قد حذرته، و قالت له: (إنک امرؤ محارب، إن صاحب الحرب لا ينزل فى مثل هذه الساعه)!!

1- راجع سنن الدارمى ج 2 ص 219، و معانى الأخبار للصدوق ص 365 و 366،

و مما يدل على ذلک أيضا: أنهم قد احتاجوا إلى تجديد العهد الذى نقضوه، و كتابه عهد آخر كان عند على أمير المؤمنين، وصى النبى و وارثه، صلوات اللّه و سلامه عليه (1).

جريمه معاويه:

و بعد ما تقدم، فإننا نجد معاويه يحاول- كعادته- أن ينتقص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و يظهر ابن الأشرف على أنه قد قتل مظلوما؛ فعن عبايه، قال: ذكر قتل كعب بن الأشرف عند معاويه، فقال: كان قتل غدرا. فقال محمد بن مسلمه: يا معاويه أيغدر عندک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)؟ لا يظلنى و إياک سقف بيت أبدا (2).

و حسبنا هنا أن نقول عن معاويه، و مواقفه، و مخزياته: و كل إناء بالذى فيه ينضح.

1- المصنف للصنعانى ج 5 ص 204، و الطبقات الكبرى ج 2 ص 23، و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 198 ط دار الكتب العلميه، و راجع: المغازى للواقدى ج 1 ص 192، و تاريخ الخميس ج 1 ص 414.
2- مشكل الآثار ج 1 ص 77.

ب: رعب اليهود:

إن عمليات قتل هؤلاء الأفراد، التى نظمت، و نفذت ببراعه فائقه، و ذكاء و عبقريه، قد أرعبت اليهود، و أخافتهم، و لا سيما بعد قتل ابن الأشرف الغادر، حتى إنه (ليس بها يهودى إلا و هو خائف على نفسه).

و حتى قال كعب بن مالک:

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النضير و قد كان يهود بنى النضير أعزّ من بنى قريظه، و غيرهم، ممن كان لا يزال فى تلک المنطقه. و كان لهذه الضربه فيهم أثر هام فى رعب سائر اليهود آنئذ.

و أصبح القضاء على من يغدر من اليهود أسهل و أيسر، فالمسلمون يملكون الجرأه الكافيه، و اليهود أصبحوا خائفين على أنفسهم، و القضاء على الخائف المرعوب أسهل و أيسر من القضاء على غيره، و كان ذلک واحدا من مصاديق قوله (صلى اللّه عليه و آله): (نصرت بالرعب). و ذلک أمر طبيعى بالنسبه لمن لا يؤمن بالمعاد، و يعتقد أن جنته هى هذه الدنيا، و أنه إذا فقد حياته، فقد فقد كل شى ء، حسبما ألمحنا إليه من قبل.

ج: مع موقف عمير فى أصالته و نبله:

1- يلاحظ: أن عمير بن وهب ينحّى ولد العصماء عن صدرها، ثم يقتلها.

و هذا يؤكد: على أن الإسلام قد ربى أتباعه على أنه ليس ضد الإنسان، و إنما هو ضد مواقفه و تصرفاته المنحرفه عن الحق، و العدل، و الفطره. فهو يريد فقط: أن يقضى على مصدر الخطر على الحق و الفطره. و حينما لا يبقى ثمه سبيل إلا القضاء على مصدر الفتنه؛ و حيث يكون آخر الدواء الكى؛ فإنه لا بد أن يكتفى بالحد الأدنى، الذى يتحقق

فیه الهدف الأقصی، و هو إقامه الدین و الحق.

2- ثم إننا لنکبر هذا التعقل النادر لعمیر فی موقف حرج و خطیر کهذا، حتی إنه لیملک فی هذه اللحظات الحساسه جدا أن یتخذ القرار الحاسم و المبدئی، و کما یریده الإسلام، بعیدا عن کل اضطراب و انفعال، لا سیما و هو ضریر، کما قیل، أو ضعیف البصر. نعم، إنه یتصرف بهدوء و اطمئنان، و وعی، حتی فی أحرج اللحظات، و أکثرها إثاره للأعصاب، و تشویشا للحواس. و مثل ذلک یقال بالنسبه لا متناعهم عن قتل المرأه التی کادت تفضحهم بصیاحها فی قضیه أبی رافع، حین تذکروا نهی النبی صلی الله علیه و آله وسلم عن قتل النساء و الصبیان.

و هذه هی الشخصیه الإسلامیه التی یریدها الإسلام، و استطاع أن یصدّر للعالم الکثیر من النماذج الحیه لها، من أمثال سلمان، و عمار، و أبی ذر، و المقداد، و الأشتر، و فوق هؤلاء جمیعا سیدهم، و إمامهم، و أمیرهم، أمیر المؤمنین علی (علیه السلام)، و الأئمه من ولده صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

و یکفی أن نذکر مثالا و قدوه لکل الأحرار، و الذین یعیشون المبدأ بکل وجودهم: أن أمیر المؤمنین (علیه السلام) حینما أراد أن یقتل عمرو بن عبد ودّ، فشتمه عمرو، و تفل فی وجهه، قام عنه، حتی ذهب عنه غضبه، ثم عاد إلیه فقتله، فعل ذلک لیکون قتله له خالصا للّه، لا یتدخل فیه عنصر حب الإنتقام لنفسه، و غضبه لها، و لو بشکل لا شعوری.

هذه من علاه إحدی المعالی و علی هذه فقس ما سواها 3- ثم هناک روایه شواهد النبوه، التی تضیف: أن بعض الصحابه قد نفس علی عمیر هذا الوسام النبوی الذی ناله عن جداره و استحقاق، و لم یستطع أن یخفی ذلک فی نفسه، بل ظهر فی فلتات لسانه بتعبیر فیه شی ء من الجفاء الجارح، دعا الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلّم)

إلى محاوله حسم الموقف، ثم التلطيف و التخفيف من وقع تلک العباره، ثم معاوده التأکيد علی جداره عمير، و استحقاقه للثناء، و عرفان حقه، بقوله صلی الله عليه و آله وسلم : (مه يا عمر، فإنه بصير).

4- و هناک أيضا موقف آخر لعمير فی قومه، الذی أدی إلی أن يعزّ الإسلام فيهم، و يسلم منهم رجال.

فإن فی ثقه عمير بنفسه و بدينه، و صلابته فی التعبير عن هذه الثقه، حتی لقد صرح لهم: أنه لم يعد يخشی أحدا علی الإطلاق- إن فی ذلک- ما يجعل کل من يتردّد فی قبول الإسلام، بسبب خوفه، و ضعف نفسه، يشعر بأن بإمکانه أن يجد فی الإسلام نصيرا و معينا و حاميا له، و لم يعد ثمه ما يبرر موقفه السلبی منه. و لأجل هذا نجد: أن عددا منهم يدخل فی الإسلام، حينما شعر بعزّه الإسلام و بقوته فی تلک القبيله. الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 6 49 د: ابن الأشرف، و أبو سفيان: ..... ص : 49

د: ابن الأشرف، و أبو سفيان:

و فی قضيه ابن الأشرف يواجهنا سؤال أبی سفيان لکعب عن الدين الحق، ثم محاوله أبی سفيان الإستدلال علی أحقيه دينه بما تقدم، من أنهم يطعمون الجزور الکوماء، و يسقون اللبن علی الماء إلخ.

و نحن هنا نسجل ما يلی:

1- إن ذلک يؤيد ما قدمناه، من أن العرب کانوا يرون فی اليهود مصدرا للمعرفه و الثقافه.

و قد استقر ذلک فی نفس عمر بن الخطاب، حتی إنه کان يأتی بترجمه التوراه إلی النبی صلی الله عليه و آله وسلم حتی أظهر النبی صلی الله عليه و آله وسلم انزعاجه من ذلک، حسبما قدمناه فی مدخل هذه الدراسه، حين الکلام حول المرسوم العام، حيث قال النبی صلی الله عليه و آله وسلم لعمر بن الخطاب: أمتهوکون أنتم؟!

هذا بالإضافه إلى أننا و إن كنا نكاد نطمئن إلى أن أبا سفيان لم يكن يجهل بأحقيه دين الإسلام، و أنه من أجلى مصاديق قوله تعالى:

وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ و إنما هو يحارب الإسلام من أجل الحفاظ على مصالحه الشخصيه، و امتيازاته غير المشروعه و لا المعقوله، التى كرّسها له و لأمثاله العرف الجاهلى الظالم و المنحرف.

إلا أننا نعتقد: أن أبا سفيان كان يهدف من سؤاله هذا لابن الأشرف اليهودى إلى خداع البسطاء و السذج من قومه و أتباعه، من أجل ضمان استمرارهم معه فى حرب الإسلام و المسلمين، و جدّيتهم فى ذلک.

2- إننا نلاحظ: أن كرم العرب هو أقصى ما استطاع أن يأتى به أبو سفيان كدليل على أحقيه دينه. و قد تقدم فى أوائل هذا الكتاب ما يرتبط بقيمه ما عرف عن العرب من ميزات و خصائص فلا نعيد.

ه: تساؤل حائر:

إنهم يذكرون: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد أعلن بشكل عام رغبته فى قتل ابن الأشرف، فقال: من لى بابن الأشرف، فانتدب له محمد بن مسلمه.

ثم يذكرون كيفيه احتيالهم عليه، و قتلهم إياه.

و لكن السؤال هنا هو: كيف يعلن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ذلک، ثم لا يصل الخبر إلى مسامع ابن الأشرف عن طريق مشركى المدينه أو يهودها، أو على الأقل منافقيها؟!. و كيف جازت عليه حيلتهم بهذه السهوله، و هو يعلم: أنه محارب؟!.

و عن محمد بن مسلمه و دوره فى قتل ابن الأشرف، تساورنا شكوک و شكوک، فإن من يراجع كتب السيره يلاحظ: أن ثمه كثيرا من التركيز على دوره فى هذه القضيه، مع أن من يتأمل فى وقائعها لا يجد له كبير أثر فيها، بل الدور الأكبر هو لأبى نائله. و ابن مسلمه لو كان معهم، فإنما كان كغيره

ممن حضر.

كما و يلاحظ: أن ثمه اهتماما فى إعطائه بعض الأدوار الهامه فى الدفاع عن الإسلام، و الدين. و نحن نشک فى ذلک، و لا نستبعد أن يكون للسياسه يد فى هذا الأمر، لإظهاره على أنه رجل شجاع، مناضل، مخلص إلخ. فى مقابل الآخرين ممن تهتم السلطه بإيجاد بدائل لهم و عنهم، فإن محمد بن مسلمه كان ممن امتنع عن بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام) (1).

و روى: أن عليا (عليه السلام) قال لعمار رحمه اللّه: (ذنبى إلى محمد بن مسلمه: أنى قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهود) (2) (و لعله كان أخاله من الرضاعه).

و فى شرح المعتزلى: أنه كان من المهاجمين لبيت فاطمه (عليها السلام)، و أنه هو الذى كسر سيف الزبير (3) و كان أيضا أحد ثقات الخليفه الثانى و معتمديه، كما نص عليه البلاذرى و غيره (4).

كما أن عمر قد بعثه إلى الشام فى مهمه قتل سعد بن عباده كما يقول البعض (5).

و قد عينه عمر لاقتصاص أخبار العمال، و تحقيق الشكايات التى تصل إلى الخليفه من عماله (6).

1- الإمامه و السياسه ج 1 ص 53، و قاموس الرجال ج 8 ص 388، و شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 9.
2- الإمامه و السياسه ج 1 ص 54، و قاموس الرجال ج 8 ص 388.
3- شرح النهج للمعتزلى ج 6 ص 48، و قاموس الرجال ج 8 ص 388.
4- الزهد و الرقائق لإبن المبارک ص 179، و راجع: التراتيب الإداريه ج 1 ص 267.
5- راجع فى كل ذلک: قاموس الرجال ج 8 ص 388.
6- التراتيب الإداريه ج 1 ص 267 عن سيره عمر.

و: التنافس القبلی:

و لقد رأینا: أن التنافس القبلی بین الأوس و الخزرج، حینما وظف فی خدمه الإسلام و المسلمین آتی ثمارا خیّره. فکان قتل الخزرج لأبی رافع واحده من تلک الثمار، و کان هو النتیجه البنّاءه الطبیعیه لهذا التنافس، الذی سعی النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی تغییر منطلقاته، و أهدافه، لتکون فی خدمه الدین و الحق و الخیر للإنسان، الفرد و الجماعه علی حد سواء.

ز: جهل و غرور ابن الأشرف:

إن غرور کعب بن الأشرف، و اعتداده الزائد بنفسه، حتی لیقول لزوجته عن أبی نائله: إنه لو وجده نائما لما أیقظه، و الأهم من ذلک جهله بالتغییر الجذری الذی یحدثه الإسلام فی نفس و فی شخصیه الإنسان، هو الذی أوقعه فی الفخ الذی نصبه له أولئک المجاهدون البواسل، الذین نذروا أنفسهم لخدمه دینهم الحق.

و لو أنه کان قد أدرک ما کان حویصه قد أدرکه فی أخیه محیصه، و عاش الواقع الحی الذی یواجهه، و حاول أن یتفاعل معه، و تخلّی عن عنجهیته و غروره، لما کان ینبغی أن یسبقه حویصه إلی التشرف بالإسلام.

ح: الإسلام، و الإنسان:

و قد سبق: أن حویصه حینما عرف أن هذا الدین قد بلغ بأخیه: أنه لو أمره الرسول بقتل أخیه لقتله، أدرک أحقیه هذا الدین، و تشرف بالدخول فیه.

و سبق کذلک: أن أحد الأخوه یبارز أخاه فی صفین، و یلقیه علی الأرض، و یجلس علی صدره لیذبحه، فلما رأی وجهه عرف أنه أخاه، و لکنه بقی مصرا علی قتله، رغم تدخل الآخرین لمنعه، و لم یقبل أن یترکه إلا إذا أذن له أمیر المؤمنین (علیه السلام)، فأذن له، فترکه

حینئذ (1).

و هذه الدرجه من الیقین، هی التی دعت عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبیّ إلی: أن یستأذن الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) فی قتل أبیه المنافق، إلی غیر ذلک من الأمثله التی لا مجال لا ستقصائها (2).

کما أن هذا الیقین هو الذی أشار إلیه عمار بن یاسر رضوان اللّه تعالی علیه، حینما قال عن الجیش الذی جاء لمحاربه أمیر المؤمنین (ع):

(و اللّه لو ضربونا بأسیافهم حتی یبلغونا سعفات هجر، لعرفت أنّا علی حق و هم علی باطل) (3).

فعمار لم یر النصر العسکری، و القوه العسکریه مقیاسا للحق و الباطل، کما هو شأن ضعاف النفوس. بل هو یجعل النصر و الهزیمه رهن الحق و الباطل. فالمحق منتصر دائما، حتی حینما یکون منهزما عسکریا و سیاسیا، و المبطل هو المنهزم، و إن کان منتصرا علی الصعید العسکری و السیاسی و غیر ذلک فی ظاهر الأمر.

نعم، إن قضیه حویصه و محیصه تمثل لنا الشخصیه التی یرید الإسلام، و استطاع الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم و الأئمه من بعده: أن یصنعوا منها نماذج متفوقه، تعتبر حب اللّه متفوقا علی کل حب، و رابطه العقیده تسمو علی کل رابطه (4).

1- صفین للمنقری ص 271/ 272.
2- تفسیر الصافی ج 5 ص 180، و الدر المنثور ج 6 ص 224 عن عبد بن حمید و ابن المنذر، و السیره الحلبیه ج 2 ص 64.
3- صفین للمنقری ص 322، و تاریخ الأمم و الملوک ج 4 ص 27، و قاموس الرجال ج 7 ص 113.
4- راجع مقال: الحب فی التشریع الإسلامی فی کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام أول الجزء الثانی.

و لكن لم تستطع سائر الأجهزه التى حكمت باسم الإسلام، و تحت شعار خلافه النبوه: أن تصنع و لو نموذجا واحدا من هذا القبيل، حتى و لو فى المستوى الأدنى، إلا إذا كان ذلک عن طريق خداع بعض السذج ببعض الشعارات البراقه، و الأساليب الشيطانيه، فينقادون لهم، و يؤخذون بسحرهم.

و هذا ليس هو محط كلامنا، فنحن نتكلم عن الإيمان العميق المدعوم بالعقيده الراسخه، و المنطلق من الوعى و الفكر، و الرؤيه الصحيحه. فإذا لوحظ وجود فرد يتجه فى هذا السبيل، فإنک ستجده- حتما- يرتبط بأهل بيت النبوه و معدن الرساله بنحو من الإرتباط و الإتصال.

و بعد ما تقدم، فإننا لا بد أن نفسح المجال أمام الحديث عن المرحله الثانيه، و هى مرحله الحرب العلنيه، فإلى الصفحات التاليه.

ص: 55

الفصل السادس: حروب علنیه بین المسلمین و الیهود

اشاره

قريش تحرض اليهود على نقض العهد:

قال عبد الرزاق: (و كتب كفار قريش بعد وقعه بدر إلى اليهود:

(إنكم أهل الحلقه و الحصون، و إنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا و كذا. و لا يحول بيننا و بين خدم نساءكم، و هو الخلاخل- [شى ء]- فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير [على] الغدر إلخ ..).

ثم يذكر قضيه غدر بنى النضير، و ما جرى بينهم و بين المسلمين (1).

و نحن نستقرب أن يكون بنو قينقاع هم أول من استجاب لطلب قريش هذا، لا سيما و أن قريشا قد كتبت لهم بعد بدر، و كان نقض بنى قينقاع للعهد بعد بدر أيضا. أما قضيه بنى النضير فقد كانت فى السنه الرابعه بعد أحد، كما يقولون. و سيأتى الكلام حول ذلک فى جزء آخر من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

كما أن المؤرخين يقولون: إن بنى قينقاع لما كانت وقعه بدر، أظهروا البغى و الحسد، و نبذوا العهد الذى كان بينهم و بين النبى صلى الله عليه و آله وسلم :

أن لا يحاربوه، و لا يظاهروا عليه عدوه، نبذوه إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كانوا أول من غدر من اليهود (2).

1- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 359.
2- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 408، و السيره الحلبيه ج 2 ص 208، و السيره

تصعید التحدی:

اشاره

قالوا: و کان بنو قینقاع أشجع و أشهر قوم من الیهود، و أکثر الیهود أموالا و أشدهم بغیا، و کانوا صاغه، و کانوا حلفاء لعبد اللّه بن أبی، و عباده بن الصامت.

فبینما هم علی مجاهرتهم و کفرهم، إذ جاءت امرأه مسلمه إلی سوقهم (1)؛ فجلست عند صائغ منهم، لأجل حلی لها؛ فأرادوها علی کشف وجهها، فأبت. فعمد الصائغ، أو رجل آخر إلی طرف ثوبها فعقده إلی ظهرها، و هی لا تشعر. فلما قامت إنکشفت سوأتها؛ فضحکوا منها؛ فصاحت، فوثب مسلم علی من فعل ذلک، فقتله، و شدت الیهود علی المسلم فقتلوه، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمین، فغضب المسلمون.

و قال صلی الله علیه و آله وسلم : (ما علی هذا قرّرناهم)؛ فتبرأ عباده بن الصامت من حلفهم، و قال: یا رسول اللّه، أتولّی اللّه و رسوله، و أبرأ من حلف هؤلاء الکفار.

و تمسّک ابن أبیّ بالحلف، و أصر علی الرسول صلی الله علیه و آله وسلم بترکهم، و قال: إنه امرؤ یخشی الدوائر، فنزل فیه قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْیَهُودَ وَ النَّصاری أَوْلِیاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ إلی قوله تعالی:

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (2).

1- راجع هذه القضیه فی: الکامل لإبن الأثیر ج 2 ص 137 و 138، و البدایه و النهایه ج 4 ص 3 و 4، و السیره الحلبیه ج 2 ص 208.
2- راجع: الدر المنثور ج 2 ص 290/ 291 عن: ابن إسحاق، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و أبی الشیخ، و ابن مردویه، و البیهقی فی الدلائل، و ابن عساکر، و ابن أبی شیبه.

فجمعهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى سوقهم، و قال لهم: (يا معشر يهود، احذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش من النقمه، و أسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلک فى كتابكم، و عهد اللّه إليكم).

قالوا: (يا محمد، إنک ترى أنّا قومک؟! و لا يغرنک أنک لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت لهم فرصه. إنا و اللّه، لو حاربناک، لتعلمنّ أنّا نحن الناس).

فأنزل اللّه تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ .. إلى قوله:

لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصارِ (1) و قوله: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً؛ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ (2). كذا يقول المؤرخون.

فتحصن بنو قينقاع فى حصونهم، فاستخلف صلى الله عليه و آله وسلم على المدينه أبا لبابه، و سار إليهم، و لواؤه الأبيض (أو رايه العقاب السوداء) يحمله أمير المؤمنين (عليه السلام).

(و قولهم: بيد حمزه ينافيه ما تقدم و سيأتى من الأدله الكثيره على أن عليا (ع) كان صاحب لواء رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى كل مشهد).

و حاصرهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم خمس عشره ليله، ابتداء من النصف من شوال السنه الثانيه، أو فى صفر سنه 3، (و هو بعيد بملاحظه: أنهم إنما غضبوا من انتصار المسلمين فى غزوه بدر).

و قذف اللّه فى قلوبهم الرعب، و كانوا أربعمائه حاسر، و ثلاثمائه دارع؛ فسألوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أن يخلى سبيلهم، و يجليهم عن المدينه، و أن لهم نساءهم و الذريه، و له الأموال و السلاح. فقبل صلى الله عليه و آله وسلم منهم، و فعل بهم ذلک، و أخذ أموالهم و أسلحتهم، و فرقها بين المسلمين، بعد أن

1- آل عمران: 12.
2- الأنفال: 58.

أخرج منها الخمس، و أجلاهم عن المدينه إلى أذرعات (بلد بالشام).

فيقال: إنه لم يدر عليهم الحول حتى هلكوا.

و فى نص آخر: أنهم أنزلوا من حصونهم و كتفوا، و أراد صلى الله عليه و آله وسلم قتلهم، فأصر ابن أبى، عليه صلى الله عليه و آله وسلم : أن يتركهم له بحجه أنه امرؤ يخشى الدوائر فلا يستطيع أن يتركهم، و هم أربعمائه حاسر، و ثلاثمائه دارع، قد منعوه من الأحمر و الأسود، على حد تعبيره؛ فاستجاب النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى طلبه و إصراره، و أجلاهم. و نزل فى ابن أبى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، إلى قوله:

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (1).

و قبل أن نمضى فى الحديث لا بد من تسجيل النقاط التاليه:

ألف: نزول الآيه فى ابن أبى:

اشاره

إن نزول قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ إلخ ... فى ابن أبى محل شک، و ذلک لما يلى:

1- إن ابن أبى لم يكن مؤمنا، و الآيه تخاطب الذين آمنوا.

هذا بالإضافه إلى ذكر النصارى فى الآيه، و لم يكن للنصارى دور فى قضيه بنى قينقاع.

إلا أن يقال: إن الخطاب للمؤمنين، و ذكر النصارى إنما هو لإعطاء قاعده كليه، و تحذير المؤمنين من موقف يشبه موقف ابن أبى، فما فعله ابن أبى كان سبب نزول الآيه فى تحذير المؤمنين من موقف كهذا.

2- إن الظاهر بل المصرح به هو أن سوره المائده قد نزلت جمله

1- المائده: 51.

واحده فی حجه الوداع سنه وفاته صلی الله علیه و آله وسلم (1)، و قضیه بنی قینقاع إنما کانت قبل أحد. فهل تأخر نزول الآیه عن مناسبتها ما یقرب من ثمان سنین؟!!.

حقیقه القضیه:

و لعل السر فی دعوی نزول مجموع الآیات فی هذه المناسبه، هو الخداع و التضلیل للسذج و البسطاء، و تشکیکهم فی قضیه الغدیر، التی کانت و لا تزال الشوکه الجارحه فی أعین شانئی علی (علیه السلام) و مبغضیه.

فالظاهر هو أن هذه الآیات قد نزلت لتحذیر المسلمین من الاتجاه الذی کانت بوادره تظهر و تختفی بین الحین و الحین، من الإندفاع نحو أهل الکتاب بصوره عامه. حتی لقد کان الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) نفسه یواجه بعض ما یعبر عن هذا الإندفاع نحو الثقافه الیهودیه، و الخضوع لهیمنه فکر أهل الکتاب عموما!! و قد رأی النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی ید عمر (رض) ورقه من التوراه، فغضب، حتی تبین الغضب فی وجهه، ثم قال: ألم آتکم بها بیضاء نقیه؟! و اللّه، لو کان موسی حیا ما وسعه إلا اتباعی.

و فی روایه: أمهوّکون فیها یابن الخطاب؟ إلخ. و فی أخری: أن عمر نسخ کتابا من التوراه بالعبریه، و جاء به، فجعل یقرؤه علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم (2). و قد قدمنا هذا الحدیث مع مصادره فی المدخل لدراسه هذه السیره، فراجع.ب.

1- راجع: الدر المنثور ج 2 ص 252 عن أحمد، و عبد بن حمید، و ابن جریر، و محمد بن نصر فی الصلاه، و الطبرانی، و أبی نعیم فی الدلائل، و البیهقی فی شعب الإیمان، و ابن أبی شیبه، و البغوی فی معجمه، و ابن مردویه، و أبی عبیده و غیرهم.
2- راجع مقدمه ابن خلدون ص 436، و أضواء علی السنه المحمدیه ص 162، و الإسرائیلیات فی التفسیر و الحدیث ص 86، و فتح الباری ج 13 ص 281 عن ابن أبی شیبه و أحمد، و البزار، و مسند أحمد ج 3 ص 387، و غیر ذلک من المصادر الکثیره التی أشرنا إلی طائفه منها فی تمهید الکتاب.

و قد ازداد هذا الإتجاه نحو ثقافه أهل الكتاب، عنفا و قوه بعد وفاه الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم). و هذا موضوع هام جدا، و متشعب الأطراف؛ حيث إن آثار التأثر بأهل الكتاب قد ظهرت بشكل أو بآخر فى كثير من المجالات: العقائديه، و الفكريه، و الفقهيه، و غير ذلک.

و قد بحثنا فيما سبق هذا الموضوع، و توصلنا فيه إلى العديد من النتائج المذهله على صعيد الفكر، و السياسه، و العقيده، و التشريع.

فليراجع.

ب: حول الرايه:

إنه يبدو: هو أن الرايه فى هذه الحرب كانت سوداء، لأن هذه هى رايه حرب، و غضب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على أهل الكفر و الشرک و الضلال، يقول الكميت مشيرا إلى ذلک:

و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلاله و التعدى و قد كانت رايته صلى الله عليه و آله وسلم يوم فتح مكه سوداء، و كانت رايه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى حربه لأعدائه سوداء أيضا، و لعل فى هذا إلماح إلى أن من يحاربهم (ع) لا يفترقون عمن حاربهم الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فيما سبق.

و سنشير فى أوائل غزوه أحد إلى أن حامل لواء النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى جميع حروبه هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكل ما يذكر خلاف ذلک ما هو إلا عربده و تضليل.

و أما أن رايه العقاب كانت قطعه من برد لعائشه، كما ذكره الحلبى (1).

فنحن نشک فى ذلک، لأنه هو نفسه قد ذكر فى وقعه خيبر: أن (المقريزى لما ذكر رتب الرياسه فى الجاهليه، ذكر: أن العقاب كان فى الجاهليه رايه تكون لرئيس الحرب. و جاء الإسلام و هى عند أبى سفيان، و جاء الإسلام و السدانه و اللواء عند عثمان بن أبى طلحه، من بنى عبد الدار) (2).

و العباره مشوشه كما ترى، و لكنها تدل على أى حال على أن العقاب لم تكن من مرط عائشه.

ثم إننا لا ندرى لماذا اختار برد عائشه ليكون رايه له!!.

ج: الخمس:

1- و قد تقدم: أن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) قد فرق السلاح و الأموال التى غنمها من بنى قينقاع على المسلمين، مع أنها كانت مما أفاء اللّه عليه، فهى له دون غيره. و لكنه (صلى اللّه عليه و آله) آثر أن يفرقها بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، إعانه لهم، و لطفا بهم، و عطفا عليهم.

2- و قالوا: إن خمس بنى قينقاع كان أول خمس قبضه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (3).

و هذا محل شک أيضا، فقد تقدم قولهم: إنه قد خمّس ما غنمه

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 209 و ج 3 ص 35.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 35 و 36.
3- تاريخ الطبرى ج 2 ص 174.

المسلمون من المشركين فی غزوه قرقره الکدر. و کذا قیل فی غزوه بدر، و فی سریه ابن جحش.

و توجیه ذلک بأن المراد هنا: أنه أول خمس قبضه، و فیما تقدم کان صلی الله علیه و آله وسلم لا یقبض الخمس، و إنما یرده علی المسلمین.

خلاف الظاهر، خصوصا إذا أثبت البحث العلمی: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) قد بقی یقسم الخمس علی المسلمین، کما فعل فی غزوه حنین، فلعل الرواه قد رووا هذه الأولیات بحسب حضورهم. فالذی حضر هذه الغزوه و رأی النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد خمّس غنائمها، لعله لم یحضر التی قبلها، و کذا الحال بالنسبه للراوی الآخر فی الغزوه الأخری، فلا بد من التحقیق حول هذا الموضوع.

د: بعض أهداف و نتائج حرب بنی قینقاع:

إن حرب المسلمین لبنی قینقاع، و هم أشجع الیهود، و أکثرهم مالا، و القضاء علیهم معناه:

1- إنه صلی الله علیه و آله وسلم لا یرید أن یفسح المجال لهم- کما یقول العلامه الحسنی- لأن (یطمعوا به، و یکتلوا حولهم من یشارکهم الرأی من المنافقین و الأعراب)، لأن صبر النبی صلی الله علیه و آله وسلم علیهم، و أمره للمسلمین بالتحمل مهما أمکن، جعل الیهود یظنون: أن هذا ناتج عن ضعف و خور؛ فاستمروا فی تحرشاتهم (1).

2- أن یسهل القضاء علی الآخرین من الأعداء، ممن هم أقل منهم قوه و عددا، وعده و مالا، لأنهم إذا رأوا: أن أصحاب الشوکه لم یستطیعوا أن یأتوا بشی ء، فإنهم سوف یقتنعون بأنهم- و هم الأضعف- أولی أن لا

1- راجع: سیره المصطفی ص 379

يأتوا بشى ء أيضا.

3- إن ما غنمه المسلمون من بنى قينقاع، من شأنه أن يزيد من طموح عدد من الناس من المسلمين للقضاء على أعدائهم، و يسهّل عليهم الوقوف فى وجههم؛ حيث يرتاح بالهم من جهه معاشهم، و لا يبقى ما من شأنه أن يثير مخاوفهم، و يستبد بتفكيرهم.

4- كما أن ذلک: إنما يعنى التخلص من عدوّ داخلى، يعرف مواضع الضعف و القوه، و ربما يكون أخطر من العدو الخارجى بكثير.

5- ثم إن القضاء على اليهود كان يتم على مراحل، و ذلک بطبيعه الحال أسهل و أيسر من القضاء عليهم، فيما لو كانوا مجتمعين، دفعه واحده، و فى صعيد واحد، يعين بعضهم بعضا، و يشد بعضهم أزر بعض.

6- و المسلمون أيضا، إذا رأوا أنفسهم قد استطاعوا القضاء على أشجع اليهود، و أكثرهم قوه و نفوذا، فإنهم سوف يتشجعون للقضاء على من سواهم، و لا يبقى مجال للخوف و لا للتردد.

ه: الحجاب:

إن قضيه المرأه التى أرادوها على كشف وجهها، قد يقال إنها تدل على أن الحجاب كان مفروضا حينئذ، أى فى السنه الثانيه للهجره، مع أن المعروف هو: أن الحجاب قد فرض بعد ذلک بعده سنين.

إلا أن يقال إن الحجاب قد كان موجودا فى الجاهليه، أو يقال:

صحيح أن فرض الحجاب و إيجابه قد كان فى سنه خمس، أو بعدها، لكن الإلتزام بالحجاب، على اعتبار أنه محبوب و مطلوب لله، و أمر راجح و حسن قد كان قبل ذلک بسنين. و ذلک اتباعا لتوجيهات النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و ترغيباته، و دعواته إلى ذلک، إذ لا يبعد أن يكون تشريع الحجاب قد جاء تدريجا؛ لتتقبله النفوس، و تألفه العاده. و لا سيما إذا لا حظنا: أنه ربما

كان أمرا صعبا على نساء الجزيره العربيه، اللواتى يعشن فى جو حار جدا، كما هو معلوم.

و على كل حال، فإن هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق، و لسوف نتحدث عنه بشى ء من التفصيل فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

و: الغرور، و الإيمان:

إننا نلاحظ: أنه صلى الله عليه و آله وسلم حتى حينما انتصر على المشركين فى بدر ذلک الإنتصار الباهر و الساحق، و كذلک حينما انتصر عليهم فى غيرها من المواقف الصعبه، فإنه لا ينسب انتصاراته إلى نفسه، أو إلى جيشه. و لا يسمح لنفسه بأن تتوهم: أنها هى التى انتصرت بالقوه، و العده، و العدد، أو بالعبقريه الحربيه؛ لأنه يعلم أن الإنتصار الذى سجّل فى بدر مثلا، لم يكن فى المقاييس الماديه انتصارا. و إنما هو معجزه إلهيه، لا يمكن لأحد أن يحترم نفسه إلا أن يذعن إلى هذه الحقيقه، و يسلم بها. و هذا هو ما قرره اللّه تعالى بقوله: وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ (1).

كما أنه تعالى قد تعرض لحاله العجب بالنفس فى حنين، فقال:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَواطِنَ كَثِيرَهٍ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً (2).

بينما نجد بنى قينقاع مغرورين بقوتهم و شوكتهم، حتى قالوا له: لو حاربناک لتعلمن: أنّا نحن الناس. فأوعدهم اللّه بالهزيمه و الخذلان.

و صدق اللّه وعده، فزاد ذلک من يقين المؤمنين و تصميمهم، و من ذل الكافرين و خزيهم.

1- آل عمران: 123.
2- التوبه: 25.

ز: الإستجابه لإبن أبى:

و إن استجابه النبى صلى الله عليه و آله وسلم لإبن أبى فى بنى قينقاع، كانت تهدف إلى الحفاظ على الجبهه الداخليه من التصدع. و لو لا ذلک فلربما كان ينتهى الأمر إلى النزاعات المكشوفه، و المواجهات العلنيه، الأمر الذى لم يكن فى صالح الإسلام و المسلمين فى تلک الفتره؛ فإن الإبقاء على العلاقات الحسنه مع المنافقين فى تلک الظروف كان أمرا ضروريا؛ لكسب أكبر عدد منهم فى المستقبل، عن طريق التأليف و الترغيب، و كذلک من أبنائهم، ثم توفير الطاقات لعدو أشدّ و أعتى. كما أن إجلاء بنى قينقاع، كما يعتبر ضربه روحيه و نفسيه لغيرهم من اليهود، كذلک هو يعتبر إضعافا لإبن أبى و من معه من المنافقين. فخسران الأعداء متحقق على كل تقدير.

ح: بنو قينقاع تحت الأضواء:

و أما لماذا تجرأ بنو قينقاع على نقض العهد، فالظاهر: أن ذلک يرجع: إلى غرورهم و اعتدادهم بشجاعتهم، و بكثرتهم، و لعلهم كانوا يتوقعون نصر حلفائهم من الخزرج لهم، كما يظهر من قولهم له صلى الله عليه و آله وسلم :

لتعلمن أنّا نحن الناس.

ثم هناک اعتمادهم على ما يملكونه من خبره عسكريه، و معرفه بالحرب، و قد عبروا عن ذلک أيضا بقولهم له صلى الله عليه و آله وسلم : لا يغرنک أنک لقيت قوما لا علم لهم بالحرب.

و إلا، فإننا لا نرى مبررا لأن تعلن قبيله واحده الحرب على كثير من القبائل فى المدينه، إن كانت لا تملک شيئا من مقومات النصر المحتمل.

و لكن كثرتهم و خبرتهم الحربيه لم تغن عنهم شيئا، كما أن حلفاءهم من الخزرج لم يفعلوا لهم شيئا، لأن المؤمنين منهم تخلّوا

عنهم، لأن الوفاء لهم خيانه لعقيدتهم و مبدئهم و إيمانهم، الذى يبذلون أرواحهم فى سبيل الحفاظ عليه.

و أما المنافقون منهم فلم يتمكنوا من نصرهم، بسبب ما قذف اللّه فى قلوبهم من الرعب، و كون ذلک سوف يتسبب لهم بانشقاقات و خلافات داخليه. و أقصى ما استطاع ابن أبى أن يقدمه لهم، هو أن يمنع من استئصالهم، مع الإكتفاء بإجلائهم إلى مناطق بعيده لن يمكنهم الصمود فيها أكثر من سنه، و ليواجهوا من ثم الفناء و الهلاک.

و أما لماذا لم يهبّ اليهود لنصره بنى قينقاع، فإن ذلک يرجع إلى أنه قد كان بينهم و بين سائر اليهود عداوه، و ذلک لأن اليهود كما قال ابن إسحاق: (كانوا فريقين، منهم بنو قينقاع و لفهم (1)، حلفاء الخزرج، و النضير و قريظه و لفّهم حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس و الخزرج حرب، خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، و خرجت النضير و قريظه مع الأوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم. و بأيديهم التوراه يعرفون فيها ما عليهم و ما لهم، و الأوس و الخزرج أهل شرک يعبدون الأوثان: لا يعرفون جنه، و لا نارا، و لا بعثا، و لا قيامه، و لا كتابا، و لا حلالا، و لا حراما.

فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم، تصديقا لما فى التوراه، و أخذ به بعضهم من بعض، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم من أيدى الأوس، و تفتدى النضير و قريظه ما فى أيدى الخزرج منهم، و يطلّون ما أصابوه من الدماء و قتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهره لأهل الشرک عليهم) (2).

1- لفهم: أى من يعدّ فيهم.
2- السيره النبويه، لإبن هشام ج 2 ص 188/ 189.

و كانوا بذلک مصداقا لقوله تعالى و هو يخاطب اليهود: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ، وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ، تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ، وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ، وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ (1).

صدق اللّه العلى العظيم.4.

1- البقره: 73 و 84.

ص: 70

ص: 71

الباب الرابع: غزوه أحد

اشاره

ص: 73

ص: 74

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب

اشاره

أجواء و مواقف:

و فی سنه ثلاث- و شذ من قال فی سنه أربع (1) فی شوال، یوم السبت علی الأشهر- کانت غزوه أحد (2)، و هو جبل یبعد عن المدینه حوالی فرسخ.

و ذلک أن نتائج حرب بدر کانت قاسیه علی مشرکی مکه، و مفاجأه للیهود و المنافقین فی المدینه. فقریش لا یمکن أن تهدأ بعد الآن حتی تثأر لکرامتها، و لمن قتل من أشرافها. حتی لقد أعلنوا المنع عن بکاء قتلاهم؛ لأن ذلک یذهب الحزن، و یطفی ء لهیب الأسی من جهه. و لأنه یدخل السرور علی قلوب المسلمین من الجهه الأخری.

و لکنهم عادوا فتراجعوا عن هذا القرار؛ فسمحوا للنساء بالبکاء، لأن ذلک- بزعمهم- یثیر المشاعر، و یذکر الرجال بالعار الذی لحق بهم.

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 216، و راجع: تأریخ الخمیس ج 1 ص 419.
2- راجع: البدایه و النهایه ج 4 ص 9، و دلائل النبوه للبیهقی ط دار الکتب العلمیه ج 3 ص 201، و أنساب الأشراف ج 1 ص 311، و المغازی للواقدی ج 1 ص 199، و السیره النبویه لإبن کثیر ج 3 ص 18، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 148، و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 186، و السیره الحلبیه ج 2 ص 216، و السیره النبویه لدحلان (المطبوع بهامش الحلبیه) ج 2 ص 19 و تأریخ الخمیس ج 1 ص 419.

و مضت قريش تستعد لقتال النبى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، و تعبّى ء النفوس، و تجهز القوى الحربيه لأخذ الثأر، و محو العار.

و مضى اليهود الذين أصبحوا يخافون على مركزهم السياسى، و الإقتصادى فى المنطقه، و على هيمنتهم الثقافيه أيضا يحرضون المشركين على الثأر ممن و ترهم، و أعلنوا بالحقد، و نقض العهد، حتى كال لهم المسلمون ضربات صاعقه، هدّت كيانهم، و جرحت و أذلت كبرياءهم و غرورهم.

و من جهه النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، و من معه من المسلمين؛ فإنهم لن يتخلوا عن قبلتهم، الكعبه، و لن يتركوا قريشا و غطرستها و غرورها، لا سيما بعد تعدّيها عليهم، و ظلمها القبيح لهم، حتى اضطرهم ظلمها و تعديها إلى الهجره من ديارهم، تاركين لها أوطانهم، و كل ما يملكون.

و كذلک، فإن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم قد حاصر قريشا بمعاهداته للقبائل التى فى المنطقه، و موادعاته لها، و أصبح يسيطر على طريق تجارتها، و لم يعد هذا الطريق آمنا لها، و أصبحت ترى نفسها بين فكى (كمّاشه)، فلا بد لها إذن من كسر هذا الطوق، و تجاوز هذا المأزق. و هذا ما عبّر عنه ذلک الزعيم القرشى- كما تقدم فى سريه القرده- بقوله لقريش:

(إن محمدا و أصحابه قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه؟ لا يبرحون الساحل. و أهل الساحل قد وادعهم، و دخل عامتهم معه، فما ندرى أين نسلک، و إن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا، و نحن فى دارنا هذه فلم يكن لنا بقاء. إنما نزلناها على التجاره إلى الشام فى الصيف، و فى الشتاء إلى أرض الحبشه (1)).

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 197، و سيره المصطفى ص 385.

جیش المشرکین الی أحد:

اشاره

و کانت العیر التی کانت وقعه بدر من أجلها- و هی ألف بعیر کما قالوا- قد بقیت سالمه و محتبسه فی دار الندوه. و اتفقوا مع أصحابها علی أن یعطوهم رؤوس أموالهم، و هی خمسه و عشرون أو خمسون ألف دینار- علی اختلاف النقل- علی أن یصرف الربح قی قتال المسلمین. و کان کل دینار یربح دینارا، و هو مبلغ هائل فی وقت کان للمال فیه قیمه کبیره، و القلیل منه یکفی للشی ء الکثیر.

و بعثوا الرسل إلی القبائل یستنصرونهم، و حرّکوا من أطاعهم من قبائل کنانه، و أهل تهامه، و اشترک الشاعر أبو عزه الجمحی فی تحریض القبائل علی المسلمین، و کان قد أسر فی بدر، و منّ علیه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بشرط أن لا یظاهر علیه. و قد شارک فی ذلک بعد أن ألح علیه صفوان بن أمیه، و ضمن له إن رجع من أحد أن یغنیه، و إن أصابه شی ء أن یکفل بناته.

و خرجت قریش بحدّها و جدّها، و أحابیشها و من تابعها.

و أخرجوا معهم بالظعن خمس عشره امرأه، فیهن هند بنت عتبه، لئلّا یفروا، و لیذکّرنهم قتلی بدر. یغنین و یضربن بالدفوف، لیکون أجدّ لهم فی القتال.

و خرج معهم الفتیان بالمعازف، و الغلمان بالخمور، و کان جیش المشرکین ثلاثه الاف مقاتل. و قیل: خمسه آلاف.

و نحن نرجح الأول؛ لقول کعب بن مالک:

ثلاثه آلاف و نحن نصیبه ثلاث مئین إن کثرنا و أربع (1)

1- البدء و التاریخ ج 4 ص 207. نعم یمکن أن یکون عمده الجیش ثلاثه آلاف، و معهم من العبید و الخدم- و هم مقاتلون أیضا- ألفان بل فی البحار ج 20

أی: و أربع مئین.

و کان فی جیش المشرکین سبعمائه دارع، و مئتا فارس علی المشهور. و قیل: مئه، و مئه رام، و معهم ألف- و قیل ثلاثه آلاف- بعیر. و لا یبعد صحته (1) کلهم بقیاده أبی سفیان الذی صار زعیم قریش بعد قتل أشرافها فی بدر.

و کان معهم أبو عامر الفاسق، الذی کان قد ترک المدینه إلی مکه مع خمسین رجلا من أتباعه من الأوس کراهیه لمحمد، خرج إلی مکه یحرض علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و یقول لهم: إنهم علی الحق، و ما جاء به محمد باطل.

فسارت قریش إلی بدر، و لم یسر معهم، و سار معهم إلی أحد.

و کان یزعم لهم: أنه لو قدم علی قومه لم یختلف علیه إثنان منهم، فصدقوه، و طمعوا فی نصره، و لکن الأمر کان علی عکس ذلک کما سنری.

1- راجع جمیع ما تقدم کلا أو بعضا فی المصادر التالیه: تاریخ الخمیس ج 1 ص 419- 422، و السیره الحلبیه ج 2 ص 217 و 218، و السیره النبویه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبیه) ج 2 ص 19- 21 و 26، و راجع: الوفاء بأحوال المصطفی ص 684، و المغازی للواقدی ج 1 ص 200- 204 و 206، و أنساب الأشراف ج 1 ص 312 و 313، و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 187- 190 و 197، و البدایه و النهایه ج 4 ص 10- 16، و السیره النبویه لإبن کثیر ج 3 ص 20 و 25 و 26 و 30 و 32، و السیره النبویه لإبن هشام ج 3 ص 64 و 65 و 70 و 71، و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 149- 151، و دلائل النبوه للبیهقی ط دار الکتب العلمیه ج 3 ص 221 و 209، و البحار ج 2 ص 48، و حیاه محمد لهیکل ص 254، و سیره المصطفی ص 391.

و كان مع المشركين أيضا: وحشى غلام جبير بن مطعم، الذى وعده سيده بالحريه، إن هو قتل محمدا، أو عليا، أو حمزه، بعمّه طعيمه بن عدى؛ فإنه لا يدرى فى القوم كفؤا له غيرهم (1).

فقال وحشى له- أو لهند-: أما محمد؛ فلن يسلمه أصحابه، و أما حمزه فلو وجده نائما لما أيقظه من هيبته، و أما على فإنه حذر مرس، كثير الإلتفات (2) و سيأتى: أنه تمكن من الغدر بحمزه، أسد اللّه و أسد رسوله.

سؤال و جوابه:

و يرد هنا سؤال: و هو أنهم إذا كانوا قد أخرجوا معهم النساء لئلّا يفروا، فلماذا فروا حين حميت الحرب، و تركوا النساء؟!.

و الجواب عن ذلک سيأتى حين الكلام عن هذا الموضوع، إن شاء اللّه تعالى.

وصول الخبر الى المدينه:

اشاره

و يقولون: إن العباس بن عبد المطلب كتب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم يخبره بمسير قريش، و بكيفيه أحوالهم، و بعددهم، مع رجل غفارى، على أن يصل إلى المدينه فى ثلاثه أيام، فقدم الغفارى المدينه، و سلم الكتاب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو على باب مسجد قباء، فقرأه له أبى بن كعب، فأمره صلى الله عليه و آله وسلم بالكتمان (3).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 217، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه) ج 2 ص 20.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 285.
3- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 430، و المغازى للواقدى ج 1 ص 204،

و وقعت الأراجيف بالمدينه، و قال اليهود: إن الغفارى ما جاء بخبر يسر محمدا. و فشا الخبر بخروج المشركين قاصدين المدينه بعدتهم و عددهم، هكذا قالوا.

و لكننا فى مقابل ذلک: نجد الواقدى يذكر: أن نفرا من خزاعه فيهم عمرو بن سالم سروا من مكه أربعا، فوافوا قريشا، و قد عسكروا بذى طوى، فلما و صلوا المدينه أخبروا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم الخبر، ثم انصرفوا، فلقوا قريشا ببطن رابغ على أربع ليال من المدينه.

فقال أبو سفيان: أحلف باللّه، إنهم جاءوا محمدا فخبروه بمسيرنا، و عددنا، و حذروه منا، فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نصيب منهم شيئا فى وجهنا. فقال صفوان بن أميه: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس و الخزرج فقطعناه، فتركناهم و لا أموال لهم؛ فلا يختارونها أبدا.

و إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم و سلاحنا أكثر من سلاحهم، و لنا خيل، و لا خيل معهم، و نحن نقاتل على وتر لنا عندهم، و لا وتر لهم عندنا (1).

و قد يقال: لا مانع من أن يكون الخبر قد وصل إلى النبى من قبل الغفارى، و من قبل هؤلاء معا.

و قبل أن نمضى فى الحديث نشير فى ما يلى إلى بعض النقاط، و هى التاليه:

سؤال يحتاج إلى جواب:

و يرد هنا سؤال و هو: كيف قبلت قريش بإقامه العباس فى مكه

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 205، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 218/ 219.

مسلما- إذا صح، أنه أسلم فی بدر- و قریش لم تکن لترحم أحباءها و أبناءها إذا علمت بإسلامهم، و لا سیما بعد تلک النکبه الکبری التی أصابتها علی ید ابن أخیه فی بدر، حیث قتل أبناءها و آباءها و أشرافها؟

إلا أن یقال: إنه کان مسلما سرا، و قد أمره صلی الله علیه و آله وسلم بالبقاء فی مکه؛ لیکون عینا له، و لازم ذلک هو أن یتظاهر بالشرک، و أنه معهم، و علی دینهم. و قد تقدمت بعض تساؤلات حول وضع العباس فی مکه فی غزوه بدر، فلا نعید.

المشرکون، و أزمه الثقه:

و یلاحظ هنا: أن أبا سفیان لم یکن یثق بمن هم علی دینه، و لا یستطیع أن یعتمد علیهم، و لذلک نراه یبادر إلی اتهامهم بأنهم قد أخبروا محمدا بمسیرهم، و عددهم، و حذروه منهم.

و قد أشیر إلی هذه الحاله فی حدیث سدیر، قال: قلت لأبی عبد اللّه: إنی لألقی الرجل لم أره و لم یرنی فیما مضی قبل یومه ذلک؛ فأحبه حبا شدیدا، فإذا کلمته وجدته لی مثلما أنا علیه له، و یخبرنی: أنه یجد لی مثل الذی أجد له.

فقال: صدقت یا سدیر، إن ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا- و إن لم یظهروا التودد بألسنتهم- کسرعه اختلاط قطر السماء مع میاه الأنهار، و إن بعد ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا- و إن أظهروا التودد بألسنتهم- کبعد البهائم عن التعاطف، و إن طال اعتلافها علی مذود واحد (1).

و یمکن ان یستفاد هذا المعنی أیضا من بعض الآیات القرآنیه، قال تعالی:

1- سفینه البحار ج 1 ص 204.

لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ، وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ (1).

و قال تعالى: وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (2). و قال:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً (3).

و موجز القول فی سر ذلک: و هو ما أشار إليه الطباطبائی أيضا، الذی سنكتفی بتلخيص كلامه لما فيه من الخصوصيات، و إن كان أصل الكلام قد كان محط نظرنا أيضا:

أن الكفار إنما يلتقون على مصالحهم الدنيويه الشخصيه، و يتفقون و يختلفون على أساسها؛ و ذلک لأن الإنسان يحب بطبعه أن يخص نفسه باللذائذ و النعم، و على هذا الأساس يحب هذا و يبغض ذاک.

و حيث إنه لا يستطيع أن يلبی كل ما يحتاج إليه من ضروريات حياته؛ فإنه لا بد له من حياه إجتماعيه تعينه على ذلک، و يتبادل مع الآخرين ثمرات الأتعاب، حيث إن كل شخص له مؤهلات تجعله يختص ببعض الإمتيازات لنفسه: من مال، أو جمال، أو طاقات فكريه، أو نفسيه، أو غريزيه، أو غير ذلک. هذه الإمتيازات التی تطمح إليها النفوس، و يتنافس فيها البشر عموما.

و بسبب الإحتكاكات المتواليه، و ما يصاحبها من وجوه الحرمان، و البغی، و الظلم، و الشح، و الكرم فی هذه الأمور التی يتنافسون فيها، فإن العداوات و الصداقات تنتج عن ذلک.

1- هود: 119.
2- الأنفال: 63.
3- آل عمران: 103.

و أما محاولات بذل النعم لفاقديها، فإنها لا ترفع هذه النزاعات و العداوات و غيرها إلا فى موارد جزئيه. أما الحاله العامه فتبقى على حالها؛ لأن هذا البذل لا يبطل غريزه الإستزاده، و الشح الملتهب، على أن بعض النعم لا تقبل إلا الإختصاص و الإنفراد، كالملک، و الرئاسه، فالشرور و الاحقاد التى تتولد عن ذلک باقيه على حالها.

هذه حاله المجتمع الكافر باللّه، الذى لا يؤمن إلا بالمصلحه الدنيويه الشخصيه، و اللذات الحاضره. و لكن اللّه قد منّ على المسلمين، و أزال الشح من نفوسهم: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (1) و ألف بين قلوبهم، و ذلک لأنه عرّفهم:

أن الحياه الإنسانيه حياه خالده، و أن الحياه الدنيا زائله لا قيمه لها، و أن اللذه الماديه لا قيمه لها، و اللذه الواقعيه هى أن يعيش الإنسان فى كرامه عبوديه اللّه سبحانه، و رضوانه، و القرب و الزلفى منه تعالى، مع النبيين و الصديقين، و هناک اللذه الحقيقيه الدائمه، قال تعالى: وَ ما هذِهِ الْحَياهُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ، وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَهَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (2).

كما أنه لا يملک أحد لنفسه نفعا و لا ضررا، و لا موتا و لا حياه، بل هو فى تصرف اللّه الذى بيده الخير و الشر، و النفع و الضر، و الغنى و الفقر.

و كل نعمه هى هبه من ربه، و ما حرم منه احتسب عند ربه أجره، و ما عند اللّه خير و أبقى.

و إذ لم يعد للماده قيمه عند المؤمنين؛ فإن أسباب الضغن و الحقد تزول، و يصبحون بنعمته إخوانا، و لا يبقى فى نفوسهم غل، و حسد، و رين (3).

1- الحشر آيه: 9.
2- العنكبوت: 64.
3- راجع تفسير الميزان ج 9 ص 119- 121.

و هكذا يتضح: أن موقف الخزاعيين، و عدم التزامهم بنصر قومهم، و الحفاظ على أسرارهم أمر طبيعى. كما أن سوء ظن أبى سفيان، و عدم ثقته بهم هو أيضا نتيجه طبيعيه للشرک، و عدم الإيمان. و من كل ذلک نعرف أيضا سر عدم تأثير تشجيع النساء فى ثبات المشركين، و لم يمنعهم عار أسر نسائهم من الهزيمه، و تركوهن فى معرض السبى، مع أنهم أخرجوهن لهدف هو عكس ذلک تماما.

و لكن الأمر بالنسبه للمسلمين (الحقيقيين) كان على عكس ذلک تماما كما سنرى.

عنصر السريه لتلافى الأخطار المحتمله:

قد رأينا أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يأمر أبيا بكتمان خبر مسير قريش، و يستفيد من عنصر السريه، كى لا يفسح المجال أمام الحرب النفسيه، التى لا بد و أن يمارسها اليهود و المنافقون ضد المسلمين؛ و ليفوّت الفرصه عليهم، و يحبط مؤامراتهم المحتمله؛ لأنهم فى الحقيقه- و هم العدو الواقعى- هم العدو الأخطر، و المطلع على مواطن الضعف و القوه لدى المسلمين. أى أن إعلان الأمر فى وقت مبكر لسوف يستدعى إصرارا على معرفه خطه المواجهه مع العدو، و هذا يسهّل على المتآمرين و الخونه وضع الخطط اللازمه لإفشال خطه المسلمين فى الدفاع عن أنفسهم. كما أنه يعطى أعداءهم الفرصه لإعلام قريش بالأمر، و بكل الخصوصيات اللازمه لمواجهه خطه المسلمين و إفشالها، أو على الأقل تكبيد المسلمين أكبر عدد ممكن من الخسائر.

و عنصر السريه هذا قد اعتمده النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى أكثر من موقف فى معركه أحد هذه و غيرها، كما سنرى.

المشركون فى طريق المدينه:

اشاره

و لما انتهت قريش إلى الأبواء، ائتمروا فى أن ينبشوا قبر أم محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، و قالوا: (فإن النساء عوره؛ فإن يصب من نسائكم أحدا، قلتم:

هذه رمه أمک. فإن كان برا بأمه- كما يزعم- فلعمرى لنفادينهم برمه أمه، و إن لم يظفر بأحد من نسائكم، فلعمرى ليفدين رمه أمه بمال كثير، إن كان بها برا) (1).

و كانت زعيمه هذا الرأى هند زوجه أبى سفيان، فاستشار أبو سفيان أهل الرأى من قريش، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئا؛ فلو فعلنا نبشت بنو بكر و خزاعه موتانا.

و سارت قريش حتى نزلت بذى الحليفه، و سرحوا إبلهم فى زروع المدينه، التى كان المسلمون قد أخلوها من آله الزرع قبل ذلک، و أرسل النبى صلى الله عليه و آله وسلم بعض العيون لمراقبتهم، و أرسل أيضا الحباب بن المنذر سرا لمعرفه عددهم و عدتهم، و قال له: إذا رجعت فلا تخبرنى بين أحد من المسلمين، إلا أن ترى فى القوم قله، فرجع إليه فأخبره خاليا، و أمره الرسول صلى الله عليه و آله وسلم بالكتمان (2).

و نشير نحن هنا إلى أمرين:

الأول: معرفه النبى بواقع أصحابه:

إن سبب أمره صلى الله عليه و آله وسلم عينه الذى أرسله إليهم بذلک واضح، فإن معرفه المسلمين بعددهم و عدتهم سوف يثبط من عزائم بعضهم، ممن اعتادوا:

أن يقيسوا الأمور بالمقاييس الماديه، و لم يتفاعلوا بعد مع دينهم

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 206.
2- المغازى للواقدى ج 1 ص 207- 208.

و عقيدتهم، بشكل كامل، و لا اطلعوا على تعاليم الإسلام و أهدافه، و ارتبطوا بها عقليا، و وجدانيا، و عاطفيا، و سلوكيا، بنحو اعمق و أقوى، و إنما دخلوا فى الإسلام، إما عن طريق الإعجاب، أو القناعه العقليه.

و لم يمض على دخولهم فيه إلا فتره قصيره جدا.

الثانى: الإفلاس على كل صعيد:

إن ما فكر به القرشيون من نبش قبر أمه صلى الله عليه و آله وسلم ، إنما يعبر عن مدى الإسفاف الفكرى لدى قريش، حتى إنها لتفكر باتباع أبشع أسلوب و أدناه فى حربها مع المسلمين. و هذا إن دل على شى ء، فإنما يدل على أمور:

أحدها: إفلاسهم على صعيد المنطق و الفكر، و حتى على صعيد الخلق الإنسانى، بل و العلاقات و الضوابط المعقوله، فى المواجهه مع المسلمين الذين هم القمه فى كل ذلک.

الثانى: مدى حقدهم الدفين على الإسلام و المسلمين.

الثالث: مدى عمق الجرح، و عنف الصدمه الساحقه التى تلقتها قريش فى بدر، و لا تزال تتلقاها على صعيد طرق قوافل تجارتها إلى الشام، و يحتمل إلى الحبشه أيضا.

النبى صلى الله عليه و آله وسلم يستشير أصحابه:

اشاره

و يقول المؤرخون: إنه لما نزل المشركون قرب المدينه، و بث المسلمون الحرس على المدينه، و خصوصا مسجد الرسول، و أراد صلى الله عليه و آله وسلم الشخوص، جمع صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه للتشاور فى أمر جيش لم يواجه المسلمون مثله من قبل، عده و عددا.

و يذكرون أيضا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم أخبرهم برؤيا رآها، رأى بقرا يذبح، و أن فى سيفه ثلمه، و أنه فى درع حصينه، فأول البقر: بناس من أصحابه

يقتلون. و الثلمه: برجل من أهل بيته يقتل. و الدرع: بالمدينه. و للروايه نصوص أخرى لا مجال لها.

و إذا كانت رؤيا النبى صلى الله عليه و آله وسلم من الوحى، و كانت هذه الروايه صحيحه؛ فإن ذلک يكون توطئه لإعلامهم بالموقف الصحيح، و أن عليهم أن يلتزموا بتوجيهات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فيما يرتبط بالتخطيط و التنفيذ فى المواجهه مع العدو.

و لكنهم اتجهوا فى مواقفهم و قراراتهم نحو العكس من ذلک، حيث يقولون: إن ابن أبى قد أشار بالبقاء فى المدينه، فإذا أقبل العدو رماه الأطفال و النسوه بالحجاره، و قاتله الرجال بالسكک. و إن أقام فى خارج المدينه أقام فى شر موضع.

و كان (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)- كما يقولون- كارها للخروج من المدينه أيضا.

و لكن من لم يشهد بدرا، و طائفه من الشباب المتحمسين الذين ذاقوا حلاوه النصر فى بدر، و معهم حمزه بن عبد المطلب، و أهل السنّ، قد رغبوا بالخروج و أصروا عليه، لأنهم- كما يقول البعض- يرون خيل قريش و إبلها ترعى زروعهم، و تعيث فيها فسادا.

و احتجوا لذلک: بأن إقامتهم فى المدينه ستجعل عدوهم يظن فيهم الجبن، فيجرؤ عليهم. و قالوا: (و قد كنت يوم بدر فى ثلاثمائه رجل؛ فأظفرک اللّه بهم، و نحن اليوم بشر كثير).

بعد أن ذكروا: أن هذا أمر قد ساقه اللّه إليهم فى ساحتهم.

قال نعيم بن مالک: (يا نبى اللّه، لا تحرمنا الجنه؛ فوالذى نفسى بيده لأدخلنها. فقال له صلى الله عليه و آله وسلم بم؟ قال: بأنى أحب اللّه و رسوله، و لا أفر من الزحف، فقال له صلى الله عليه و آله وسلم : صدقت.

و قال له أنصارى: متى نقاتلهم يا رسول اللّه، إن لم نقاتلهم عند شعبنا.

و قال آخر: إنى لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها لتقول: حصرنا محمدا فى صياصى يثرب و آطامها؛ فتكون هذه جرأه لقريش، و ها هم قد وطأوا سعفنا، فإذا لم نذبّ عن عرضنا فلم ندّرع؟!

و قال آخر: إن قريشا مكثت حولا تجمع الجموع، و تستجلب العرب فى بواديها، و من اتبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل، و اعتلوا الإبل، حتى نزلوا ساحتنا؛ فيحصروننا فى بيوتنا و صياصينا؟ ثم يرجعون و افرين لم يكلموا؟!؛ فيجرّؤهم ذلک علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، و يصيبوا أطلالنا، و يضعوا العيون و الأرصاد علينا. مع ما قد صنعوا بحروثنا، و يجترئ علينا العرب حولنا إلخ ... و ثمه كلام آخر هنا يروى عن حمزه و غيره لا مجال له هنا، فمن أراد المزيد فعليه بمراجعه المصادر.

و أبى كثير من الناس إلا الخروج، فنزل صلى الله عليه و آله وسلم على رأى غالبيه الناس، ثم دخل بيته ليلبس لامه الحرب. ففى هذه الأثناء أدركهم الندم على إصرارهم على النبى صلى الله عليه و آله وسلم و استكراههم له، و هو أعلم باللّه و ما يريد، و يأتيه الوحى من السماء.

فلما خرج النبى صلى الله عليه و آله وسلم عليهم و قد لبس لامته، ليتوجه مع أصحابه إلى حرب قريش، قالوا: يا رسول اللّه، أمكث كما أمرتنا. فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلّم): ما ينبغى لنبى إذا أخذ لامه الحرب أن يرجع حتى يقاتل (1).

1- راجع جميع ما تقدم فى: السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 67 و 68، و تاريخ الخميس ج 1 ص 421 و 422، و السيره الحلبيه ج 2 ص 218 و 219، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 188- 190، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 92 و 93، و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 208 و 226 ط دار الكتاب العلميه، و السيره النبويه لإبن إسحاق ص 324، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 150، و السيره النبويه لإبن كثير ج 3 ص 25 و 26، و البدآيه و النهايه ج 4 ص 12 و 13، و راجع ص 11 و المغازى للواقدى ج 1 ص 208- 211 و 214، و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 21- 23، و سيره المصطفى ص 395 و 396، و مجمع الزوائد ج 6 ص 107.

ثم وعظهم و عقد الألويه، و خرج بجيشه لحرب قريش و جمعها.

و فی روایه: أنهم لما صاروا علی الطریق قالوا: نرجع.

قال صلی الله علیه و آله وسلم : ما کان ینبغی لنبی إذا قصد قوما أن یرجع عنهم.

و ها هنا أمور هامه لا بد من التنبیه علیها.

ألف: هل النبی صلی الله علیه و آله وسلم یحتاج إلی رأی أحد؟!

اشاره

قد تقدم فی الجزء السابق من هذا الکتاب فی فصل سرایا و غزوات قبل بدر؛ و فی نفس موقعه بدر بعض الکلام حول إستشاره الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) لأصحابه فی أمر الحرب.

و نعود هنا للإشاره إلی هذا الأمر من جدید، علی أمل أن یضم القاری ء ما کتبناه هنا و هناک، و هنالک، بعضه إلی بعض، و یستخلص النتیجه المتوخاه من طرح هذا الموضوع، و الإشاره إلی جوانبه المختلفه فنقول:

إنه لا ریب فی حسن المشاوره و صلاحها. و قد ورد الحث علیها فی الأخبار الکثیره. و یقولون: إن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد شاور أصحابه فی أکثر من مره و مناسبه، حتی نزل فی مناسبه حرب أحد قوله تعالی:

فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ؛ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَوَکِّلِینَ. إِنْ یَنْصُرْکُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَکُمْ

إلخ (1).

و عن ابن عباس بسند حسن: لما نزلت: و شاورهم فی الأمر، قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : أمّا إن اللّه و رسوله لغنیان عنها، و لکن جعلها اللّه رحمه لأمتی؛ فمن استشار منهم لم یعدم رشدا، و من ترکها لم یعدم غیا (2).

و السؤال هنا هو:

إنه إذا کان اللّه و رسوله غنیین عنها، فلماذا یأمر اللّه تعالی نبیه بأن یشاور أصحابه فی الأمر؟!.

و سؤال آخر، و هو: هل یمکن بضم الآیه التی فی سوره الشوری:

وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ (3)، و بضم سائر الروایات التی تحث علی الإستشاره- هل یمکن- أن نفهم من ذلک: ضروره اتخاذ الشوری کمبدأ فی الحکم و السیاسه، و فی الإداره، و فی سائر الموارد و المواقف، حسبما ترید بعض الفئات أن تتبنّاه، و توحی به علی أنه أصل إسلامی أصیل و مطرد؟!.

الجواب عن السؤال الأول:

أما الجواب عن السؤال الأول: فنحسب أن ما تقدم فی الجزء السابق من هذا الکتاب فی فصل سرایا و غزوات قبل بدر، و کذا ما تقدم من الکلام حول الشوری فی بدر (4) کاف فیه، و نزید هنا تأییدا لما ذکرناه هناک ما یلی:

1- آل عمران: 159- 160.
2- الدر المنثور ج 2 ص 80 عن ابن عدی، و البیهقی فی شعب الإیمان.
3- سوره الشوری: 38.
4- راجع غزوه بدر.

1- قد يقال: إن بعض الروايات تفيد: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لم يكن يستشير أصحابه إلا فى أمر الحرب.

فقد روى بسند رجاله ثقات، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: كتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص: إن رسول اللّه شاور فى الحرب، فعليک به (1).

و إن كنا نرى: أن هذا لا يفيد نفى استشارته صلى الله عليه و آله وسلم فى غير الحرب.

2- إن قوله تعالى فى سوره آل عمران: (و شاورهم فى الأمر) خاص بالمشاوره فى الحرب، لأن اللام فى الآيه ليست للجنس بحيث تشمل كل أمر، بل هى للعهد، أى شاورهم فى هذا الأمر الذى يجرى الحديث عنه، و هو أمر الحرب، كما هو واضح من الآيات السابقه و اللاحقه؛ فالتعدى إلى غير الحرب يحتاج إلى دليل.

3- إن الآيه تنص على أن استشاره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لأصحابه لا تعنى أن يأخذ برأيهم حتى و لو اجتمعوا عليه؛ لأنها تنص على أن اتخاذ القرار النهائى يرجع إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، حيث قال تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ، فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.

4- لقد ذكر العلامه السيد عبد المحسن فضل اللّه: أن الأمر فى الآيه ليس للوجوب؛ و إلا لكانت بقيه الأوامر فى الآيه كذلک، و يلزم منه وجوب العفو عن كبائرهم حتى الشرک.

و إذا كان الضمير فى الآيه يرجع إلى الفارين فهو يعنى: أن الشورى تكون لأهل الكبائر من أمته، مع أن اللّه قد نهى رسوله عن إطاعه الآثم،

1- مجمع الزوائد ج 5 ص 319 عن الطبرانى، و حياه الصحابه ج 2 ص 48 عن كنز العمال ج 2 ص 163 عن البزار و العقيلى و سنده حسن، و الدر المنثور ج 2 ص 90 عن الطبرانى بسند جيد عن ابن عمرو.

و الكفور، و من أغفل اللّه قلبه (1) فالحق: أن الأمر وارد عقيب توهم الحظر عن مشاوره هؤلاء، ليبيح مشاورتهم، و معاملتهم معامله طبيعيه (2).

5- إن روايه ابن عباس المتقدمه تفيد: أن استشارته صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه لا قيمه لها على صعيد اتخاذ القرار؛ لأن اللّه و رسوله غنيان عنها، لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطئها، فلا تزيدهما الإستشاره علما، و لا ترفع جهلا، و إنما هى أمر تعليمى أخلاقى للأمه؛ بملاحظه فوائد المشوره لهم؛ لأنها تهدف إلى الإمعان فى استخراج صواب الرأى بمراجعه العقول المختلفه.

فعن على أمير المؤمنين (عليه السلام): من استبد برأيه هلک، و من شاور الرجال شاركها فى عقولها (3).

و عنه أيضا: الإستشاره عين الهدايه، و قد خاطر من استغنى برأيه (4).

و عن أنس عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم : ما خاب من استخار، و ما ندم من استشار (5). إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه.

و إذا كانت الإستشاره أمرا تعليميا أخلاقيا، فلا محذور على الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فيها.

1- راجع: سوره الكهف آيه 29، و الأحزاب آيه 56، و الدهر آيه 34، و أقول: و تنافى أيضا الآيه التى فى سوره الشورى التى خصت الشورى بالمؤمنين الذين لهم صفات معينه.
2- راجع: الإسلام و أسس التشريع ص 111- 113 للعلامه السيد عبد المحسن فضل اللّه.
3- نهج البلاغه ج 3 ص 192 الحكمه رقم 161.
4- نهج البلاغه ج 3 ص 201 الحكمه رقم 211.
5- الدر المنثور ج 2 ص 90 عن الطبرانى فى الأوسط، و أمالى الطوسى ص 84.

ب: من أهداف استشارته صلى الله عليه و آله وسلم لأصحابه:

اشاره

و يقول الشهيد السعيد، المفكر و الفيلسوف الإسلامى الكبير، آيه اللّه الشيخ مرتضى مطهرى، قدس اللّه نفسه الزكيه:

إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم و هو فى مقام النبوه، و فى حين كان أصحابه يتفانون فى سبيله، حتى ليقولون له: إنه لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم فى البحر لفعلوا، فإنه لا يريد أن ينفرد فى اتخاذ القرار، لأن أقل مضار ذلک هو أن لا يشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم و فكرهم المتميز، فهو حين يتجاهلهم كأنه يقول لهم: إنهم لا يملكون الفكر و الفهم و الشعور الكافى، و إنما هم مجرد آله تنفيذ لا أكثر و لا أقل، و هو فقط يملک حريه إصدار القرار، و التفكير فيه دونهم.

و طبيعى أن ينعكس ذلک على الأجيال بعده صلى الله عليه و آله وسلم ، فكل حاكم يأتى سوف يستبد بالقرار، و سيقهر الناس على الإنصياع لإرادته، مهما كانت، و ذلک بحجه أن له فى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أسوه حسنه.

مع أنه ليس من لوازم الحكم الإستبداد بالرأى، فقد استشار النبى صلى الله عليه و آله وسلم - و هو معصوم- أصحابه فى بدر و أحد (1) إنتهى.

و نزيد نحن هنا: أن ظروف و أجواء آيه: وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ.

تشعر بأنه قد كان ثمه حاجه لتأليف الناس حينئذ، و جلب محبتهم و ثقتهم، و إظهار العطف و الليونه معهم، و أن لا يفرض الرأى عليهم فرضا، رحمه لهم، و حفاظا على وحدتهم و اجتماعهم، و لمّ شعثهم، و جمع كلمتهم، و كبح جماحهم؟!؛ فالآيه تقول: فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فكأنه كان قد بدر من أصحابه أمر سى ء يستدعى

1- جريده (جمهورى إسلامى) الفارسيه عدد 30 ربيع الأول 1400 ه.

العفو عنهم و اللين معهم، و إرجاع الإعتبار إليهم، ليطمئنوا إلى أن ما بدر منهم لم يؤثر على مكانتهم عنده، فلا داعى لنفورهم منه.

هذا كله عدا عما قدمناه حين الكلام على بدر، و على السرايا التى سبقتها، فى الجزء السابق من هذا الكتاب، فليراجع.

و أما الجواب عن السؤال الثانى:

فنشير إلى ما يلى:

1- ما قدمناه: من أن قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ ليس إلا أمرا تعليميا أخلاقيا، و ليس إلزاميا يوجب التخلف عنه العقاب، و إنما يمكن أن يوجب وقوع الإنسان فى بعض الأخطاء، فيكون عليه أن يتحمل آثارها، و يعانى من نتائجها.

2- إن الضمير فى (أمرهم) يرجع إلى المؤمنين، و المراد به الأمر الذى يرتبط بهم؛ فالشورى إنما هى فى الأمور التى ترجع إلى المؤمنين و شؤونهم الخاصه بهم، و ليس للشرع فيها إلزام أو مدخليه، كما فى أمور معاشهم و نحوها، مما يفترض فى الإنسان أن يقوم به. أما إذا كان ثمه إلزام شرعى ف ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ (1) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ (2).

فمورد الحكم، و السياسه، و الإداره، و غير ذلک، لا يمكن أن يكون شورائيا إلا إذا ثبت أن الشارع ليس له فيه حكم، و نظر خاص.

و قد قال العلامه الطباطبائى مد اللّه فى عمره: (و الروايات فى المشاوره كثيره جدا، و موردها ما يجوز للمستشير فعله و تركه بحسب

1- الأحزاب آيه: 36.
2- النور آيه: 54.

المرجحات. و أما الأحكام الإلهيه الثابته، فلا مورد للإستشاره فيها، كما لا رخصه فيها لأحد، و إلا كان اختلاف الحوادث الجاريه ناسخا لكلام اللّه تعالى) (1).

3- قوله تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ظاهر فى كون ذلک فى ظرف كونه حاكما و واليا عليهم؛ فإن عليه أن يستشيرهم فى هذا الظرف.

و هذا لا يعنى أبدا أن يكون نفس الحكم شورائيا و انتخابيا، بأى وجه. هذا كله، عدا عن احتمال أن يكون هذا الأمر واردا فى مقام توهم الحظر، فلا يدل على أكثر من إباحه المشاوره، و لا يدل على الإلزام بها. و هو احتمال قوى كما أوضحناه فى ما سبق.

4- إن القرار النهائى يتخذه المستشير نفسه، و لربما وافق رأى الأكثر، و لربما خالفهم. و يدل على ذلک قوله تعالى: فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. و ليس فى الآيه إلزام برأى الأكثريه، بل و لا برأى الكل لو حصل إجماعهم على رأى واحد.

5- إن هذه الشورى التى دلّ عليها قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ ليست لكل أحد، و إنما هى خاصه بأولئک المؤمنين الذين لهم تلک الصفات المذكوره فى الآيات قبل و بعد هذه العباره، و ليس ثمه ما يدل على تعميمها لغيرهم، بل ربما يقال بعدم التعميم قطعا، فقد قال تعالى: فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا، وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ، وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ. وَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ، وَ أَقامُوا الصَّلاهَ، وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ، وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ. وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (2).

1- تفسير الميزان ج 4 ص 70.
2- الشورى 36- 39.

فهؤلاء هم أهل الشورى (1)، و ليس لغيرهم الحق فى أن يشاركهم فيها؛ لأن ذلک الغير، لا يؤمن على نفسه؛ فكيف يؤمن على مصالح العباد، و دمائهم، و أموالهم، و أعراضهم؟!.

ج: نظريه: خلافه الإنسان، و شهاده الأنبياء:

اشاره

و يقول الشهيد السعيد، المفكر الإسلامى، آيه اللّه السيد محمد باقر الصدر، قدس اللّه نفسه الزكيه، ما ملخصه:

إن اللّه عز و جل قد جعل الخلافه لآدم (ع)، لا بما أنه آدم، بل بما أنه ممثل لكل البشريه، فخلافه اللّه فى الحقيقه هى للأمه و للبشر أنفسهم، فقد قال تعالى: وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً، قالُوا: أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِکُ الدِّماءَ، وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ؟ قالَ: إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (2).

كما أن المراد بالأمانه فى قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها، وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (3) هذه الخلافه بالذات، و هى التى تعنى الإداره و الحكم فى الكون.

1- و احتمال: أن يكون المعنى: ما عند اللّه خير و أبقى لجماعات مختلفه و هم: 1- الذين آمنوا. 2- الذين يجتنبون كبائر الإثم إلخ .. هذا الإحتمال خلاف الظاهر هنا، فإن المراد أن الذين يجمعون هذه الصفات هم الذين يكون ما عند اللّه خير و أبقى لهم. و إلا فلو كان أحد ينتصر على من بغى عليه و لكنه غير مؤمن مثلا، فلا شک فى أن ما عند اللّه ليس خيرا و أبقى له. و كذا لو كان أمرهم شورى بينهم و هم غير مؤمنين.
2- البقره: 30.
3- الأحزاب: 72.

و استشهد على ذلک أيضا بقوله تعالى: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِ (1). و بقوله تعالى: إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (2). و بقوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ (3).

و رتب على ذلک: أنه بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و فقد الإمام، و تحرر الأمه من الطاغوت، تمارس الأمه دورها فى الخلافه الزمنيه، و يكون دور المجتهد المرجع هو الشهاده و الرقابه على الأمه.

و قال ما ملخصه: إن اللّه هو رب الأرض و خيراتها، و رب الإنسان و الحيوان، فالإنسان مستخلف على كل ذلک. و من هنا كانت الخلافه فى القرآن أساسا للحكم. و قد فرّع اللّه الحكم بين الناس على جعل داود خليفه. و لما كانت الجماعه البشريه هى التى منحت- ممثله بآدم- هذه الخلافه، فهى إذن المكلفه برعايه الكون، و تدبير أمر الإنسان، و السير بالبشريه فى الطريق المرسوم للخلافه الربانيه.

و هذا يعطى مفهوم الإسلام الأساسى عن الخلافه، و هو أن اللّه تعالى قد أناب الجماعه البشريه فى الحكم، و قياده الكون و إعماره، إجتماعيا و طبيعيا. و على هذا الأساس تقوم نظريه حكم الناس لأنفسهم، و شرعيه ممارسه الجماعه البشريه حكم نفسها بوصفها خليفه عن اللّه.

و فى عمليه إعداد و تربيه الأمه يتولى النبى و الإمام مسؤوليه الرقابه و الشهاده على الأمه، و مسؤوليه الخلافه؛ ليهى ء الأمه لتحمل مسؤولياتها فى الوقت المناسب. و بعد أن فقد الإمام (ع)؛ بسبب ظروف معينه

1- ص: 26.
2- الأعراف: 69.
3- يونس: 14.

تعرضت لها الأمه؛ فإن المرجع- غير المعصوم- لا بد و أن يتولى أمر الخلافه و الشهاده ما دامت الأمه محكومه للطاغوت، و مقصاه عن حقها فى الخلافه العامه.

(و أما إذا حررت الأمه نفسها، فخط الخلافه ينتقل إليها؛ فهى التى تمارس الخلافه السياسيه و الإجتماعيه فى الأمه، بتطبيق أحكام اللّه، و على أساس الركائز المتقدمه للإستخلاف الربانى. و تمارس الأمه دورها فى الخلافه فى الإطار التشريعى للقاعدتين القرآنيتين التاليتين:

وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فإن النص الأول يعطى للأمه صلاحيه ممارسه أمورها عن طريق الشورى، ما لم يرد نص خاص على خلاف ذلک. و النص الثانى يتحدث عن الولايه، و أن كل مؤمن ولى الآخرين. و يريد بالولايه تولى أموره، بقرينه تفريع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عليه. و النص ظاهر فى سريان الولايه بين كل المؤمنين و المؤمنات بصوره متساويه.

و ينتج عن ذلک: الأخذ بمبدأ الشورى، و برأى الأكثريه عند الاختلاف.

و هكذا، وزّع الإسلام فى عصر الغيبه مسؤوليات الخطين بين المرجع و الأمه، و بين الإجتهاد الشرعى و الخلافه الزمنيه) (1) إلى آخر كلامه قدس اللّه نفسه الزكيه.

1- هذا محصل ما جاء فى كتاب: خلافه الإنسان و شهاده الأنبياء للشهيد الصدر، و الفقرات الأخيره هى فى ص 53/ 54.

مناقشه ما تقدم:

و نحن نسجل هنا النقاط التاليه:

أولا: إن الآيه القرآنيه التى استدل بها رحمه اللّه تقول:

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ، وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، أُولئِکَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (1).

فإذا كان تفريع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر دليلا على أن المراد بالولايه هو تولى أمور بعضهم البعض، كما ذكره قدس اللّه نفسه الزكيه، فما هو وجه تفريع إقامه الصلاه و إيتاء الزكاه على ذلک؟!.

و لم لا يفهم من الآيه: أنها- فقط- فى مقام إعطاء حق الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر للمؤمنين جميعا؛ فهى تجعل لهم الولايه بهذا المقدار، لا أكثر؟!

بل لم لا يفهم منها: أنها فى مقام إعطائهم حق الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، بسبب محبه بعضهم بعضا، أو بسبب كون بعضهم تابعا لبعض، و مطيعا له، أو بسبب نصرته له، و نحو ذلک؛ فقد ورد للولى معان كثيره، و منها: المحب. و الصديق، و النصير.

و الولى: فعيل، بمعنى فاعل، من وليه إذا قام به، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ (2).

بل إن من يلاحظ آيات إعطاء الولايه للمؤمنين و سواها من الآيات، يخرج بحقيقه: أن اللّه سبحانه يريد للناس المؤمنين أن يكونوا أمه واحده، و بمنزله الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء. و كل

1- التوبه: 71.
2- البقره: 257.

هذه الأعضاء للجسد الواحد إنما تحافظ على ذلک الواحد بکل ما تقدر علیه، و ذلک بالدفاع عنه؛ و بالنصیحه لجماعه، و لأئمه المسلمین.

فاللّه ولی الذین آمنوا بالتشریع، و حفظ المصالح و الحکم، و للّه الأمر من قبل و من بعد، و للنبی صلی الله علیه و آله وسلم و للإمام (ع) الولایه أیضا بجعل من اللّه، بهدف تدبیر أمورهم و قیادتهم. و المؤمنون المرؤوسون للنبی صلی الله علیه و آله وسلم و للإمام (ع) بعضهم أولیاء بعض فی النصیحه و حفظ الغیب، و الإهتمام بأمور بعضهم بعضا، و النصره، و المعونه، فلیس معنی الولایه هو الحکومه لکل واحد منهم علی الآخر، أو علی المجتمع، بل ولی المجتمع و الحاکم فیه هو اللّه سبحانه.

و کخلاصه لما تقدم نقول:

إن کل هذه المعانی محتمله فی الآیه المشار إلیها- إن لم یکن من بینها (و هو الأخیر) ما هو الأظهر- و لیس فیها ما یوجب تعیّن کون الولی فیها بمعنی الحاکم، و المتولی للأمر.

و ثانیا: لو کانت هذه الآیه تعطی حقا للمؤمنین فی أن یحکم بعضهم بعضا؛ فاللازم أن تعطی الآیات الأخری هذا الحق بالذات للکفار، و تصیر حکومتهم علی بعضهم البعض شرعیه!! فقد قال تعالی:

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا، وَ هاجَرُوا، وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ، وَ الَّذِینَ آوَوْا، وَ نَصَرُوا، أُولئِکَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ. وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَمْ یُهاجِرُوا ما لَکُمْ مِنْ وَلایَتِهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ، حَتَّی یُهاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوکُمْ فِی الدِّینِ فَعَلَیْکُمُ النَّصْرُ، إِلَّا عَلی قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثاقٌ، وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ. وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَکُنْ فِتْنَهٌ فِی الْأَرْضِ وَ فَسادٌ کَبِیرٌ (1).

1- الأنفال: 72 و 73.

فبقرينه المقابله فى الآيه هنا بين ولايه المؤمنين التى نشأت عنها مسؤوليات النصر و غير ذلک من أمور، تدل على أن المراد بالولايه تولى الأمور، و بين الآيه الداله على ولايه الكفار بعضهم لبعض، تكون النتيجه هى: جعل الحاكميه للكفار أيضا بالنسبه لبعضهم فيما بينهم، لو كان المراد بالولايه هو تولى الأمور كما يريد المستدل أن يقول.

و يؤيد ذلک أيضا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ (1) و قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (2). و قال تعالى: وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (3). إلى غير ذلک من الآيات التى بهذا المضمون. حيث إن المقصود هو النهى عن إطاعه الشياطين، و عن الإنصياع لأوامر اليهود و النصارى.

بل إن الآيه الأخيره تنفى الولايه عن المؤمنين، و تخصها باللّه تعالى. فلو كان المراد بالولايه الحكم، لكانت ولايه الكفار شرعيه كما قلنا.

و هذا مما لا يمكن القول به و لا المساعده عليه، فلا بد من القول بأن الولايه التى يترتب عليها الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، ليست بهذا المعنى، بل هى بمعنى النصيحه، و حفظ الغيب، و أنها ولايه بهذا المقدار لا أكثر.

و القول: بأن هذه الآيات و نظائرها ناظره إلى أن من طبيعه الكفار أن يتولى بعضهم بعضا. و ليس فى مقام جعل ولايه شرعيه لهم.

1- المائده: 51.
2- الأعراف: 27.
3- الجاثيه: 19.

يقابله القول: بأنه لم لا تكون الآيات التى تتعرض للولايه بين المؤمنين ناظره إلى نفس هذا المعنى أيضا؟!.

و إذا كانت آيات ولايه الكفار يراد منها الولايه بمعنى النصره، و المحبه، و نحو ذلک.

فلتكن تلک الآيات لها نفس هذا المعنى أيضا: فإنها كلها لها سياق واحد، و تريد أن تنفى و تثبت أمرا واحدا.

و ثالثا: لو سلمنا: أن معنى الآيه هو: أن كل مؤمن ولى للآخرين، و سلمنا أن المراد بالولايه ليس هو حفظ مصالح الأمه الإسلاميه بالنصيحه، و المعونه، و حفظ الغيب، و غير ذلک، مع أن ذلک هو الظاهر. و قبلنا بأن المراد بالولايه ولايه الحكومه، فحينئذ لنا أن نسأل هل يعنى ذلک: أن الآيه تجعل كل مؤمن حاكما على الآخرين، و محكوما لهم فى آن واحد؟

أم أن الآيه تريد فقط: أن تعطى للبعض الحق فى أن يحكم و يتسلط على البعض الآخر؟!. من دون أن يكون للمحكوم حق فى ذلک. و بماذا ترجّح هذا على ذاک، دون العكس يا ترى؟!.

و لو سلمنا أن الظاهر هو الثانى، فما هى شرائط هذه الحكومه؟ و ما هى ظروفها؟ و ما الذى يجب توفره فى هذا الحاكم؟!: العلم؟ الإجتهاد؟

العداله؟ إلخ. و من الذى يعين هذا الحاكم، و من يختاره؟ هل هو المعصوم؟ أم غيره؟.

و رابعا: بالنسبه لآيات الإستخلاف فى الأرض و الشهاده على الناس نشير إلى:

1- إنه ليس فى آيه سوره الأحزاب: أن المراد بالأمانه: الخلافه.

و قد قيل: إنها التكاليف. و قيل: هى العقل، و قيل: هى الولايه الإلهيه.

و قيل: هى معرفه اللّه. إلى غير ذلک من الأقوال (1).

1- راجع: تفسير الميزان ج 16 ص 348- 352 فی تفسير الآيه.

و الجزم بأن المراد هو الخلافه، ثم ترتيب أحكام و استنتاجات معينه على ذلک، ليس بأولى من الجزم بغيره، فلا بد من ترجيح أحد هذه الوجوه بالقرائن. و ليس ثمه ما يوجب الإلتزام بخصوص هذا المعنى دون سواه مما ذكر.

بل إن فى الآيه التى تلى تلک الآيه ما يؤيد أن المراد بالآيه أمرا إعتقاديا، أو نحو ذلک، و ليس الخلافه، فقد قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبالِ؛ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها، وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ، وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ، وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ، وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً.

2- بالنسبه لآيه استخلاف آدم، ليس فيها ما يشير إلى أن المراد هو استخلاف النوع البشرى، إلا قول الملائكه: أتجعل فيها من يفسد فيها، و يسفک الدماء؟!. و هذا لا يدل على أكثر من أن الملائكه قد فهموا: أن هذا المخلوق الجديد (الخليفه) له طبيعه فيها مقتضيات الشر، تقتضى ما ذكروه، و لا تدل على أن الخلافه قد منحت لكل من له هذه الطبيعه.

3- ثم، ما المراد بهذا الإستخلاف؟ هل هو الحكم و الإماره؟، أم هو التسليط على الكون و ما فيه فى حدود قدراته، و اعطاؤه حق التصرف فى ما خلقه اللّه، على قاعده قوله تعالى: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها و لذلک هو يطلب منهم شكر هذه النعمه، و الإيمان باللّه تعالى؟ الظاهر هو الثانى.

و يؤيد ذلک: أن من يطالع آيات الإستخلاف يجد: أن أكثرها ناظر إلى البشر جميعا، مؤمنهم و كافرهم، ثم هى تهدد الكافرين، و تتوعدهم.

و مما يؤيد أن يكون المراد بالخلافه فى أكثر الآيات، هو إعمار الكون: أنه إذا كان البشر خلفاء؛ فهم خلفاء على أى شى ء؟! إنهم خلفاء

و وكلاء على غير أنفسهم؛ إذ لا يعقل أن يكون الشى ء خليفه على نفسه.

فالبشريه لها خلافه على غيرها مما فى الكون.

و هذا يؤيد أن يكون معنى الخلافه ليس هو الإماره.

4- و فى مقابل ذلک نجد: أنه تعالى لم يستخلف المؤمنين فعلا، و إنما وعدهم بالإستخلاف حيث قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ (1).

فالجمع بين هذه الآيه، و الآيات الأخرى، يحتّم علينا أن نقول: إن المراد بآيات (خلائف) و نحوها، هو النيابه فى إعمار الكون، و التمكين من التصرف فى الطبيعه. و المراد من هذه الآيه الأخيره هو الحكم و السلطان، فهذه الآيه أدل دليل على أن الخلافه بمعنى الحكم و السلطان لم تمنح للبشر عامه، و إنما وعد اللّه المؤمنين بها فى الوقت المناسب. و الظاهر:

أن ذلک سيكون فى زمن ظهور المهدى عليه الصلاه و السلام.

5- إن آيه استخلاف داود، و تفريع الحكم بين الناس بالحق على هذه الخلافه، التى لا بد و أن يكون معناها الحكم و السلطان، لا تدل على جعل الخلافه لكل البشر؛ فلعل كونه نبيا لم يتلبّس بشى ء من الظلم أبدا- كما قال تعالى: لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ (2)- له مدخليه فى استحقاق هذا المنصب الخطير؛ لأن نيله درجه النبوه، إنما هو لأجل أنه يحمل خصائص معينه- كالعصمه و نحوها- أهّلته لذلک الأمر الخطير الذى يتفرع عليه الحكم بالحق.

6- إننا نلاحظ: أنه ليس فى جميع الآيات التى استعملت لفظ:

(خليفه)، و مشتقاته ما يدل على أن هذا المستخلف هو خليفه للّه لا لغيره. بل ذكرت الآيات: أن اللّه تعالى قد جعل خلفاء، و لم تبين: أنهم

1- النور: 55.
2- البقره: 124.

خلفاء لمن؟

فلعل المراد: أن آدم (علیه السلام) قد جاء لإعمار الأرض، و قد خلف من کان علیها من المخلوقات قبله (علیه السلام). و علی هذا فلا مجال للإستدلال بتلک الآیات علی ما أراده رحمه اللّه.

7- و لو سلمنا، فإن الإستخلاف فی الأرض، لیس معناه جعل جمیع المناصب الإلهیه لهذا المستخلف. و لیس فی هذا اللفظ ما یفید عموم المنزله؛ بل هو ینصرف إلی نوع معین من الأمور؛ فمثلا لو قیل:

فلان استخلف فلانا علی أهله؛ فإنه ینصرف إلی الإستخلاف فی أمور معینه یمکن الإستخلاف فیها. و لا یمکن أن یعنی ذلک ثبوت کل حق کان لذاک لهذا، فإن الإستخلاف حکم یجری فی کل مورد قابل لذلک، أو فی الموارد التی ینصرف إلیها الکلام بحسب خصوصیات المورد، و بحسب حالات الخطاب. و لا یمکن أن یتمسک بإطلاق الإستخلاف لإثبات قابلیه ما یشک فی قابلیته.

و خامسا: إن قوله تعالی: وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ، یدل علی أن الأمور الراجعه لهم هی التی یمکن أن یمارسوا فیها حق الشوری؛ فلا بد أولا من إثبات: أن مسأله الحکم، و التصرف فی أمور الغیر حق لهم.

لیمکنهم أن یفصلوا فیها عن طریق مبدأ الشوری، و لا یمکن للحکم أن یثبت موضوعه و یوجده، کما أشرنا إلیه آنفا.

بل إن لدینا ما یدل علی أن الحکومه لیست حقا للناس، و لا یرجع البتّ فیها إلیهم. و هو ما تقدم حین الکلام عن عرض النبی صلی الله علیه و آله وسلم دعوته علی القبائل، حیث قال لبنی عامر: الأمر للّه یضعه حیث یشاء. و سیأتی فی غزوه بئر معونه: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد قال ذلک لعامر بن الطفیل أیضا.

ثم هناک مقبوله- بل صحیحه- عمر بن حنظله التی تقول: (ینظران من کان منکم ممن قد روی حدیثنا، و نظر فی حلالنا و حرامنا، و عرف

أحكامنا، فليرضوا به حكما، فإنى قد جعلته عليكم حاكما (1)) و كذا قوله:

العلماء حكام على الناس، و روايات كثيره أخرى.

و لم يعين فى الروايات: أن يكون ذلک فى زمن الطاغوت، أو فى ما بعد الإطاحه به، و لا صوره رقى الأمه إيمانيا و فكريا، و لا عدمها.

و سادسا: إن هذه الشورى لا يفهم منها إلا مبدأ كلى مجمل. و لا تدل على أنه لو خالف بعض الأمه فيما يراد إجراء مبدأ الشورى فيه. فهل ينفذ حكم الأكثريه على تلک الأقليه؟ أم لا بد من إرضاء الجميع فى أى تصرف، و أيه قضيه. و أنه لو تساوت الآراء فماذا يكون مصير الشورى؟ إلى غير ذلک مما يرتبط بشرائط الشورى و حدودها، و مواردها.

و أخيرا، فلو أنه رحمه اللّه استدل على ولايه الفقيه بقول أمير المؤمنين (عليه السلام): إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، و أعلمهم بأمر اللّه فيه (2). و بصحيحه عمر بن حنظله المشار إليها آنفا لكان أولى، فإنها تقرر: أن الحكم حق للفقيه الجامع للشرائط فقط، و لا يحق لغيره أن يتصدى له، حيث قال (عليه السلام): (فإنى قد جعلته عليكم حاكما).

د: ما هو رأى النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى أحد؟

غالب الروايات، بل كلها متفقه على أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) كان يرجح البقاء فى المدينه، و لكن إصرار أصحابه هو الذى دعاه إلى العدول عن هذا الرأى.

و لكن العلامه السيد الحسنى أيده اللّه تعالى يرى: أن النبى كان

1- الوسائل ج 18 باب 11 من أبواب صفات القاضى حديث 1. و الروايه معتبره جدا؛ فإن عمر بن حنظله شيخ كبير روى عنه عدد كبير من الثقات الكبار و الأعيان، بل لم يرو عنه ضعيف إلا رجل واحد. و من بين من روى عنه- و هم كثير- من لا يروى إلا عن ثقه- كما قيل- كابن بكير و صفوان الجمال.

2- نهج البلاغه 247 و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد 9/ 328 و بحار الأنوار 34/ 248- 250.

يرى الخروج إلى العدو، عكس رأى عبد اللّه بن أبى بن سلول، و إنما استشارهم صلى الله عليه و آله وسلم ليختبر نواياهم، و يستدل على ذلک بما ملخصه:

إن ملاقاه جيش مكه داخل المدينه سيمكنهم من إحتلالها خلال ساعات معدوده؛ لأن المنافقين، و المرتابين من سكان المدينه- و عددهم كثير، و كانوا على اتصال دائم معهم- سيعاونونهم على النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين. و لا يعقل أن يخلص ابن أبىّ و من معه من المنافقين و المرتابين من المهاجرين و الأنصار فى الدفاع عن محمد صلى الله عليه و آله وسلم و رسالته، و هم يلتقون مع الغزاه التقاء كاملا.

و كان ابن أبى هو المشير على الرسول صلى الله عليه و آله وسلم بالبقاء فى المدينه، و وافقه على ذلک شيوخ المهاجرين. و أدرک النبى صلى الله عليه و آله وسلم الغايه، و لكنه بقى يتظاهر بالموافقه على رأى ابن أبى؛ ليختبر بقيه المسلمين، و إن كان فيمن وافق ابن أبى من لا يشک فى حسن نيته، كما أنه لا شک فى أن فيهم المتآمرين. و لما اختبرهم صلى الله عليه و آله وسلم ، و عرف نواياهم، أعلن عن رأيه الذى كان قد انطوى عليه من أول الأمر.

و يرجّح ذلک: أنه لما خرج المسلمون إلى أحد رجع ابن أبى فى ثلاثمائه و خمسين من أتباعه المنافقين، و بعض اليهود إلى المدينه بلا سبب. و فى روايه: أنه هو نفسه صلى الله عليه و آله وسلم أمرهم بالرجوع، و قال: لا نحارب المشركين بالمشركين.

و ذلک دليل قاطع على سوء نواياهم، و أنه صلى الله عليه و آله وسلم كان يتخوف منهم أن ينضموا إلى المشركين حين احتدام الحرب، و إذا كان فى ريب من أمرهم، و هم خارج المدينه؛ فكيف يوافقهم على مقابله الغزاه فى داخلها، و يطمئن إليهم فى الدفاع عنها؟!.

و إذا كان ابن سلول صادقا فى قوله: إنه سيدافع عن المدينه فى

الداخل، فلماذا رجع من الطريق و هو يعلم: أن جيش النبى صلى الله عليه و آله وسلم بأمسّ الحاجه إلى المساعده؟!.

إذن، فالخروج من المدينه هو الأصوب، و لو أنه بقى فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمه المشركين. إنتهى ملخصا (1).

و يؤيد رأى العلامه الحسنى أيضا: المبدأ الحربى الذى أطلقه على (عليه السلام) حينما قال: ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا (2).

و نحن هنا نشير إلى ما يلى:

1- إن أبا سفيان- كما تقدم- كان يخشى أن يلزم أهل يثرب صياصيهم، و لا يخرجوا منها (3). و هذا يعنى: أنهم يعتبرون بقاء المسلمين فى المدينه معناه: تضييع الفرصه على قريش، و عدم تمكينها من تحقيق أهدافها.

و غايه ما استطاع صفوان بن أميه أن يقدمه لأبى سفيان، كبديل مرض و مقنع، هو أنهم حينئذ سوف يلحقون بأهل المدينه خسائر ماديه كبيره؛ فإنهم إن لم يصحروا لهم عمدوا إلى نخلهم فقطعوه؛ فتركوهم و لا أموال لهم.

إذن، فالموقف الصحيح كان هو البقاء فى المدينه، فإن الخسائر الماديه يمكن الصبر عليها و تحملها، أما الخسائر فى الأرواح، فإنها تكون أصعب و أنكى، و رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن ليعدل عن الموقف الصحيح هذا.

1- سيره المصطفى ص 396- 399.
2- نهج البلاغه بشرح عبده ج 1 ص 64.
3- مغازى الواقدى ج 1 ص 205، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 218.

2- إن ضرار بن الخطاب كان يخشى مثل ذلک أيضا، لأن الأنصار قتلوا قومه يوم بدر، فخرج إلى أحد، و هو يقول: (إن قاموا فى صياصيهم فهى منيعه، لا سبيل لنا إليهم، نقيم أياما، ثم ننصرف. و إن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم؛ فإن معنا عددا أكثر من عددهم، و نحن قوم موتورون، خرجنا بالظعن يذكرننا قتلى بدر، و معنا كراع و لا كراع معهم، و سلاحنا أكثر من سلاحهم، فقضى لهم إن خرجوا إلخ) (1).

3- لقد رأينا: أن صفوان بن أميه لم يذكر لأبى سفيان شيئا عن احتمال تعاون المنافقين معهم، و تمكينهم من القضاء على الإسلام و المسلمين بسهوله، أو على الأقل كان على أبى سفيان أن يدرک ذلک، و يبتهج له.

4- إن من الواضح: أن ابن أبى، و من معه لم يكن باستطاعتهم الإقدام على مثل تلک الخيانه فى تلک الظروف؛ لأن معنى ذلک: أن يذبح من قومه من الخزرج و من المهاجرين أعداد هائله، و لم يكن بإمكانه أن يسمح بذلک، و لا يوافقه عليه من معه؛ لأنهم قومهم و أبناؤهم، و إخوانهم، و آباؤهم. و لم يكن التخلى عنهم سهلا و ميسورا إلى هذا الحد.

و إذا أرادوا أن يتخلوا عن مثل هؤلاء، و يسلموهم إلى القتل، بعد أن يقدموا هم أيضا العديد من القتلى، فمن يبقى لابن أبى- بعد استئصال هؤلاء- لا سيما بملاحظه قله سكان المدينه آنئذ؟!. و هل تبقى المدينه مدينه؟!. و هل يمكن لإبن أبى أن ينصب نفسه ملكا على من يتبقى له فى ظروف كهذه؟! و هل سوف ينال هذا المنصب حقا؟!. و هل يستطيع بعد هذا أن يعتمد على إخلاص من معه له؟! و هل باستطاعته أن يحتفظ لهم بمكانتهم و بموقعهم فى قبال اليهود، الذين كانت العداوه بينهم و بين أهل

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 282، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 274.

يثرب متأصله على مر السنين؟!. و هل يستطيع أيضا: أن يقاوم أطماع من حوله من قبائل الغزو و الغاره؟! أو حتى أن يستقل فى اتخاذ القرار عن قريش؟! و هل باستطاعته أن يأمن قريشا، و يطمئن إلى التعامل معها على المدى البعيد، بعد أن أدركت مدى خطر المدينه على مصالحها الحيويه؟!. و هل؟ و هل؟ إلى آخر ما هنالک.

أم أن ذلک ليس فى الحقيقه إلا انتحارا سياسيا، لا مبرر له، و لا يقدم عليه أحد؟ و لا تساعد عليه أى من الموازين و المقاييس حتى الجاهليه منها، فضلا عن العقلائيه و الإجتماعيه؟!

و لقد كان باستطاعه ابن أبى: أن ينحاز إلى المشركين فى المعركه فى خارج المدينه، و ذلک- و إن كان أيضا يحمل فى طياته أخطارا جمه له و لأصحابه- أقرب إلى تحقيق أهدافه، و أسلم له فى الوصول إليها، بملاحظه ما سبق.

و لكن الظاهر هو أن دوافعه للإشاره بالبقاء هى حب السلامه، و عدم التعرض للأخطار المحتمله ما أمكنه. و حتى لا يتكرر انتصار النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فى بدر مره أخرى. و لا سيما مع ملاحظه زياده عدد المسلمين، و حسن عدتهم بالنسبه إلى السابق، كما يفهم من الكلام المتقدم لبعض المشيرين.

يضاف إلى ذلک: أنهم الآن يدافعون عن شرفهم و عرضهم، و بلدهم، و عن وجودهم، فلا بد أن يكونوا أكثر تصميما و إقداما.

كما أن من الممكن أن يكون التزلف إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم داخلا أيضا فى حسابات ابن أبى فى بادى ء الأمر.

و نلاحظ: أن التزلف، و التظاهر الكلامى بالتدين، و بالغيره على الإسلام و مصالح المسلمين، يكون لدى المنافقين أكثر من غيرهم.

هذا بالإضافه إلى أنه لو كان ثمه احتمال من هذا النوع لأشار إليه أبو سفيان، أو صفوان بن أميه، أو ضرار بن الخطاب، أو غيرهم، كما قلنا.

5- بل إن العلامه الحسنى نفسه يقول: إن الذين أصروا على البقاء كان من بينهم المخلص و المنافق. و هذا ينافى قوله الآخر: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) كان يريد أن يختبر أصحابه، و يكتشف نواياهم، و إذن فقد فشل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فى محاولاته تلك، فكيف يقول الحسنى بعد ذلک: إنه صلى الله عليه و آله وسلم وقف على نوايا الجميع، و محصها تمحيصا دقيقا؟!.

و الحقيقه هى: أن إصرارهم على الخروج كان ناشئا عن الأسباب التى ذكروها أنفسهم فى كلامهم.

6- ثم إننا لا نوافق العلامه الحسنى: على أن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) كان يتعامل مع أصحابه بهذه الطريقه الماكره- و العياذ باللّه- فيظهر لهم خلاف ما يبطن؟! نعوذ باللّه من الزلل و الخطل فى القول و العمل.

إلا أن يكون مقصوده حفظه اللّه: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يظهر لهم رأيه، بل تركهم يظهرون له ما فى نفوسهم من دون أى تحفظ أو حياء، و ليتحملوا هم المسؤوليه، ثم ليتألفهم بذلک، حتى إذا اختلفوا كان هو الحاسم للخلاف برأيه الصائب، و موقفه الحكيم.

و أخيرا؛ فإن لنا تحفظا على ما ذكره من أن ابن أبى قد رجع بمن معه من المنافقين، و بعض اليهود. فإن ذكر اليهود هنا فى غير محله، لأنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يحبذ الإستعانه باليهود، كما أنهم هم أنفسهم ما كانوا ليعينوه على قتال عدوه، و لا يرضى قومهم بذلک منهم، إلا إذا كانوا يريدون أن يكونوا فى جيش المسلمين عيونا للمشركين. و لم يكن ذلک ليخفى على النبى صلى الله عليه و آله وسلم و لا المسلمين، و لعله لأجل ذلک نجده صلى الله عليه و آله وسلم قد

رفض قبولهم فی هذا الغزوه بالذات، و ارجعهم کما سنری.

ه: لبس لامه الحرب یعنی القتال:

و قد رأینا أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) بعد أن لبس لامه حربه استجابه لرأی الأکثریه، یرفض الرجوع إلی الرأی الأول، لأن ذلک معناه أن ینتزع عنه مفهوم خاطی ء، یضر بالمصلحه العلیا للإسلام و المسلمین، و لا ینسجم مع مرکزه کقائد، بل ربما تکون له آثار سیئه و خطیره علی المدی البعید.

و هذا المفهوم هو أنه رجل ضعیف، تتقاذفه الأهواء و الآراء، و لا یملک اتخاذ القرار؛ بل هو ألعوبه بأیدی أصحابه، و المنتسبین إلیه!

کما أن ذلک من شأنه أن یجعل قراراته فی المستقبل عرضه للصراعات الفکریه، بین أصحابه، الذین تختلف مستویاتهم فکریا، و اجتماعیا، و سیاسیا، و إیمانیا، و غیر ذلک. و یفسح المجال أمام أهل الأطماع، و ظهور الإختلاف، ثم التمزق، و الفشل الذریع. و لا یعود یملک مجتمعا منضبطا، قویا متماسکا، و قادرا علی مواجهه الأخطار و المعضلات الجسام التی تنتظره، و المهمات التی لا بد أن یضطلع بها؛ فضلا عن أن یتحمل هذ المجتمع مسؤولیه نشر الإسلام و الدفاع عنه فی العالم أجمع.

هذا کله عدا عن أن هذا التردد سوف یقلل من قیمه الوحی فی نفوسهم، و یضعف- من ثمّ- ارتباطهم بالغیب، و إیمانهم به، مع أن هذا رکن أساسی فی الدعوه الإسلامیه، و فی نجاحها، و اطراد تقدمها.

فلیکن هذا الموقف منه صلی الله علیه و آله وسلم درسا لهم، یعلمهم: أنه لا ینبغی لهم أن یعارضوا الوحی الإلهی بعقولهم القاصره عن إدراک عواقب الأمور.

و من الجهه الأخری، فإن العدو سوف یری فی هذا التردد ضعفا، و فشلا، و یزید ذلک فی طمعه بالمسلمین، و جرأته علیهم.

و لسوف يجعله ذلک يعتمد أسلوب الضغط على النبى صلى الله عليه و آله وسلم من خلال أصحابه، و يحاول تشويش مواقفه و تمييعها، إن لم يكن توجيهها إلى ما يوافق مصالحه و أهدافه عن هذا السبيل.

و أخيرا، فإن المعتزلى يرى: أن تردد المسلمين دليل على فشلهم فى الحرب، فإن النصر معروف بالعزم و الجد، و البصيره فى الحرب.

و أحوالهم هنا كانت ضد أحوالهم فى بدر، و أحوال المشركين فى بدر كانت ضد أحوالهم هنا، و لذلک انكسرت قريش فى بدر (1).

و نقول:

إن المسلمين لم ينكسروا فى أحد، و لم تنتصر قريش. بل هزمت هزيمه نكراء، كما سنرى و الذى حصل للمسلمين إنما كان سببه أفراد معدودون كانوا على فتحه جبل أحد.

و: من الأكاذيب:

و من الأكاذيب التى رأينا أن نذكّر القارى ء بها:

أولا: ما ورد فى روايه نادره من أن ابن أبى قد أشار بالخروج (2).

و ذلک لا يصح إذ:

1- لا يبقى معنى حينئذ لا حتجاج ابن أبى لرجوعه من وسط الطريق بأنه صلى الله عليه و آله وسلم : خالفه و أطاعهم.

2- إن القرآن يلمح إلى أن المنافقين كانوا يصرون على البقاء فى المدينه، فإنه بعد رجوع المسلمين من أحد، و قد قتل منهم من قتل، قال

1- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 226.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 219.

المنافقون: لو أطاعونا ما قتلوا (1). و هؤلاء هم الذين احتجوا لرجوعهم بقولهم: لو نعلم قتالا لا تبعناكم.

ثانيا: يقولون: إنه صلى الله عليه و آله وسلم خرج إلى أحد من بيت عائشه (2).

مع أن من الثابت: أنه صلى الله عليه و آله وسلم كان إذا سافر كان آخر عهده بفاطمه، و إذا رجع بدأ ببيت فاطمه أيضا (3).

إلا أن يكون مقصودهم بيت عائشه الذي كان لفاطمه، و استولت عليه عائشه بعد وفاه الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) (4).

ثالثا: قولهم: إنه بعد أن استشار النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه، دخل بيته، و دخل معه أبو بكر و عمر، فعمّماه و لبّساه. لا يعبؤ به لضعف مستنده من جهه، و لأن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يحتاج إلى من يعممه و يلبسه، بل كان باستطاعته أن يمارس ذلک بنفسه من جهه ثانيه. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 6 114 عقد الألويه: ..... ص : 114

عقد الألويه:

و بعد ان استشار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) أصحابه، و خرج عليهم لابسا لأمه حربه، استخلف على المدينه ابن أم مكتوم و عقد

1- آل عمران: 168.
2- مغازى الواقدى ج 1 ص 213، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 225، و وفاء الوفاء ج 1 ص 284، و تاريخ الخميس ج 1 ص 423 عن ابن الكلبى، و مجاهد، و الواقدى.
3- مسند أحمد ج 5 ص 275، و ذخائر العقبى ص 37 عن أحمد، و أبى عمر، و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 170 عن أحمد، و البيهقى، و غير ذلک كثير، فإنه لا مجال لتتبعه.
4- قد أوضحنا ذلک فى مقال لنا بعنوان: (أين دفن النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى بيت عائشه أم فى بيت فاطمه؟) فراجع كتابنا: دراسات و

بحوث فى التاريخ و الإسلام الجزء الأول.

الألويه.

فأعطى اللواء أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما نص عليه البعض (1).

و يقول البعض: إن لواء المهاجرين كان مع على، و قيل: مع مصعب بن عمير (2) و يقال: إنه اللواء الأعظم (3).

و قيل: إنه صلى الله عليه و آله وسلم سأل عمن يحمل لواء المشركين، فقيل له: طلحه بن أبى طلحه، فأخذ اللواء من على و دفعه إلى مصعب بن عمير، لأنه من بنى عبد الدار، و هم أصحاب اللواء فى الجاهليه (4).

و كان لواء الأوس مع أسيد بن حضير، و لواء الخزرج مع حباب بن المنذر، و قيل: مع سعد بن عباده، كذا يقولون.

اللواء مع على (ع) فقط:

و نقول:

لا يصح ما ادعوه من أن اللواء كان مع مصعب بن عمير، أو أنه أخذه من على، و أعطاه لمصعب. و الصحيح هو أنه كان مع على (عليه السلام) فى أحد، و بدر، و فى كل مشهد. و يدل على ذلک:

1- الأوائل لأبى هلال ج 1 ص 183. و الثقات لإبن حبان ج 1 ص 224-225، و راجع: البحار ج 20 ص 49، و تفسير القمى ج 1 ص 112.
2- مغازى الواقدى ج 1 ص 215، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 227، و تاريخ الخميس ج 1 ص 422.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 426 عن المنتقى.
4- أنساب الأشراف ج 1 ص 317، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 232، و السيره الحلبيه ج 2 ص 220.

1- ما تقدم فی غزوه بدر: من أن علیا (ع) کان صاحب لواء رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی بدر، و فی کل مشهد.

2- عن ابن عباس، قال: لعلی بن أبی طالب (ع) أربع ما هن لأحد: هو أول عربی و عجمی صلی مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و هو صاحب لوائه فی کل زحف. و هو الذی ثبت معه یوم المهراس؛ و فر الناس. و هو الذی أدخله قبره (1).

3- عن ابن عباس: کان علی أخذ رایه رسول اللّه یوم بدر. قال [الحکم] الحاکم: و فی المشاهد کلها (2).

4- و عن مالک بن دینار: سألت سعید بن جبیر و إخوانه من القراء:

من کان حامل رایه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؟ قالوا: کان حاملها علی (رض).

و فی نص آخر: أنه لما سأل مالک سعید بن جبیر عن ذلک غضب سعید، فشکاه مالک إلی إخوانه من القراء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج. فعاد و سأله، فقال: کان حاملها علی (رض). هکذا سمعت من عبد اللّه بن عباس (3).

و فی نص آخر عن مالک بن دینار قال: قلت لسعید بن جبیر: من کان صاحب رایه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؟

قال: إنک لرخو اللبب.

1- مستدرک الحاکم ج 3 ص 111، و تلخیصه للذهبی بهامشه، و مناقب الخوارزمی ص 21/ 22، و إرشاد المفید ص 48، و تیسیر المطالب ص 49.
2- ذخائر العقبی ص 75، و الریاض النضره المجلد الثانی، جزء 4 ص 156.
3- راجع: مستدرک الحاکم ج 3 ص 137 و صححه و قال: له شاهد من حدیث زنفل العرفی، و فیه طول فلم یخرجه الحاکم، و مناقب الخوارزمی ص 258/ 259، و ذخائر العقبی ص 75 عن أحمد فی المناقب.

فقال لی معبد الجهنی: أنا أخبرک: کان یحملها فی المسیر ابن میسره العبسی، فإذا کان القتال؛ أخذها علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه (1).

5- عن جابر: قالوا: یا رسول اللّه، من یحمل رایتک یوم القیامه؟

قال: من عسی أن یحملها یوم القیامه، إلا من کان یحملها فی الدنیا، علی بن أبی طالب؟! و فی نص آخر: عبر باللواء بدل الرایه (2).

6- و حینما مر سعد بن أبی وقاص برجل یشتم علیا، و الناس حوله فی المدینه، وقف علیه، و قال: یا هذا، علی ما تشتم علی بن أبی طالب؟

ألم یکن أول من أسلم؟ ألم یکن أول من صلی مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟ ألم یکن أزهد الناس؟ ألم یکن أعلم الناس؟ و ذکر حتی قال:

ألم یکن صاحب رایه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی غزواته؟ (3).

و ظاهر کلامه هذا: أن ذلک کان من مختصاته صلوات اللّه و سلامه علیه.

1- الطبقات الکبری ط لیدن ج 3 ص 15 قسم 1.
2- هامش ص 180 من احتجاج الطبرسی، و الریاض النضره المجلد الثانی ج 3 ص 172 عن نظام الملک فی أمالیه، و کفایه الطالب ص 336 و قال: ذکره محدث الشام- أی ابن عساکر- فی ترجمه علی (ع) من کتابه بطرق شتی عن جابر، و عن أنس، و کنز العمال ج 15 ص 119، و راجع ص 135 عن الطبرانی، و مناقب أمیر المؤمنین لإبن المغازلی ص 200، و عمده القاری ج 16 ص 216، و مناقب الخوارزمی ص 358.
3- مستدرک الحاکم ج 3 ص 500، و صححه علی شرط الشیخین هو و الذهبی فی تلخیص المستدرک، و حیاه الصحابه ج 2 ص 514/ 515. و أظن أن القضیه کانت مع سعد بن مالک أبی سعید الخدری، لأن سعد بن أبی وقاص کان منحرفا عن أمیر المؤمنین. و یشیر إلی ذلک ما ذکره الحاکم فی مستدرکه ج 3 ص 499 من أن أبا سعید قد دعا علی من کان ینتقص علیا فاستجاب اللّه له.

7- عن مقسم: أن رايه النبى صلى الله عليه و آله وسلم كانت تكون مع على بن أبى طالب، ورايه الأنصار مع سعد بن عباده، و كان إذا استحر القتال كان النبى صلى الله عليه و آله وسلم مما يكون تحت رايه الأنصار (1).

8- عن عامر: إن رايه النبى صلى الله عليه و آله وسلم كانت تكون مع على بن أبى طالب، و كانت فى الأنصار حيثما تولوا (2).

و قد يقال: إن هذين النصين الواردين تحت رقم 7 و 8 لا يدلان على أن الرايه كانت دائما مع على (عليه السلام) بصوره أكيده و صريحه، و إن كان يمكن أن يقال: إن ظاهر هما هو ذلک.

9- عن ثعلبه بن أبى مالک، قال: كان سعد بن عباده صاحب رايه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى المواطن كلها؛ فإذا كان وقت القتال أخذها على بن أبى طالب (3).

10- قال ابن حمزه: (و هل نقل أحد من أهل العلم: أن عليا كان فى جيش إلا و هو أميره؟) (4).

11- و فى حديث المناشده: أن عليا (عليه السلام) قال: نشدتكم اللّه، هل فيكم أحد صاحب رايه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم منذ يوم بعثه اللّه إلى يوم قبضه، غيرى؟!

1- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 288، و راجع: فتح البارى ج 6 ص 89 عن أحمد عن ابن عباس بإسناد قوى.
2- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 288.
3- أسد الغابه ج 4 ص 20، و أنساب الأشراف ج 2 ص 106 لكن فيه: ميسره العبسى بدل سعد بن عباده.
4- الشافى لإبن حمزه ج 4 ص 164

قالوا: اللهم لا (1).

و بالنسبه لخصوص واقعه أحد نقول:

1- عن على قال: كسرت يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده؛ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : دعوه فى يده اليسرى، فإنه صاحب لوائى فى الدنيا و الآخره (2).

2- قد ورد فى احتجاج الإمام الحسن المجتبى صلوات اللّه و سلامه عليه بفضائل أمير المؤمنين (ع) على معاويه، و عمرو بن العاص، و الوليد الفاسق ورد قوله: (و أنشدكم اللّه، ألستم تعلمون: أنه كان صاحب رايه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يوم بدر، و إن رايه المشركين كانت مع معاويه، و مع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب، و معه رايه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و معک و مع أبيک رايه الشرک إلخ) (3).

3- قال ابن هشام: (لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم تحت رايه الأنصار، و أرسل إلى على: أن قدم الرايه. فتقدم على؛ فقال: أنا أبو القصم. فطلب أبو سعيد بن أبى طلحه. و هو صاحب لواء المشركين منه البراز، فبرز إليه على، فضربه على فصرعه (4).

و هذا معناه: أنه (عليه السلام) كان صاحب الرايه العظمى، فأمره صلى الله عليه و آله وسلم بالتقدم، ثم طلب منه صاحب لواء المشركين البراز، لأنه إذا

1- المسترشد فى إمامه على (ع) ص 57.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 434، و الرياض النضره المجلد الثانى ج 4 ص 156 عن ابن الحضرمى، و ذخائر العقبى ص 75 بلفظ. (ضعوه).
3- كفايه الطالب ص 336، و شرح النهج للمعتزلى ج 6 ص 289، و الغدير ج 10 ص 168 عنه.
4- السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 78، و تاريخ الخميس ج 1 ص 427.

سقطت الرايه العظمى انكسر الجيش و انهزم.

4- و قال القوشجى: فى غزاه أحد جمع له الرسول صلى الله عليه و آله وسلم بين اللواء و الرايه (1).

5- عن أبى رافع قال: كانت رايه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يوم أحد مع على، و رايه المشركين مع طلحه بن أبى طلحه (2).

6- و يظهر من بعض الروايات الفرق بين اللواء و الرايه، و قد قالوا:

إن الرايه كانت فى يد قصى، ثم انتقلت فى ولده حتى انتهت إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فأعطاها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لعلى فى غزاه ودّان، و هى أول غزاه حمل فيها رايه مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم لم تزل مع على فى المشاهد، فى بدر و أحد.

و كان اللواء يومئذ فى بنى عبد الدار، فأعطاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لمصعب بن عمير، فاستشهد، و وقع اللواء من يده، فتشوقته القبائل؛ فأخذه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فدفعه إلى على، فجمع له يومئذ الرايه و اللواء، فهما إلى اليوم فى بنى هاشم (3).

و يظهر أن هذا هو مراد القوشجى من كلامه الآنف.

لا فرق بين اللواء و الرايه:

و نقول: إن هذه الروايات تنافى ما تقدم عن ابن عباس، و جابر، و قتاده، من أنه (عليه السلام) كان صاحب لوائه صلى الله عليه و آله وسلم فى كل زحف.

و قد دلت النصوص المتقدمه على أن عليا (ع) هو صاحب لواء

1- شرح التجريد للقوشجى ص 486.
2- اللآلى المصنوعه ج 1 ص 365.
3- الإرشاد للشيخ المفيد ص 48.

رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو أيضا صاحب رايه رسول اللّه، لو كان ثمه فرق بينهما.

و نحن نشک فى ذلک، لأن بعض أهل اللغه ينصون على عدم الفرق (1)، فإن كلا منهما عباره عما يجعله القائد من الأقمشه فى طرف رمح أو نحوه.

و نجد وصف اللواء بالأعظم تاره (2)، و وصف الرايه بالعظمى أيضا (3).

إلا أن يقال: إن مصعب بن عمير كان صاحب لواء المهاجرين، فلما استشهد فى أحد صار لواؤهم إلى على، فعلى (عليه السلام) صاحب رايه و لواء رسول اللّه، و هو أيضا صاحب لواء المهاجرين. و لعل هذا هو الأظهر.

و قد تقدم بعض الكلام حول هذا الموضوع فى غزوه بدر أيضا، فلا نعيد.

عده و عدد المسلمين:

ثم توجّه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) إلى أحد و معه: ألف رجل، و يقال: تسعمائه، و زاد بعضهم خمسين.

منهم مئه دارع.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 147.
2- راجع حياه الصحابه ج 1 ص 431، و تاريخ ابن عساكر ترجمه على (ع) بتحقيق المحمودى ج 1 ص 110 و المنتقى.
3- كما فى قول ابن أبى الحديد عن هزيمه الشيخين فى خيبر و للرايه العظمى و قد ذهبا بهاملابس ذل فوقها و جلابيب

ليس معهم فرس (1).

و قيل: مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم فرسه، و فرس لأبى برده بن نيار (2).

و قيل: كان معهم فرس واحد (3).

رجوع المنافقين:

و يظهر مما يأتى: أنه صلى الله عليه و آله وسلم خرج نحو أحد من ثنيه الوداع، شامى المدينه.

و رجع ابن أبى مما بين المدينه و أحد بمن معه من المنافقين، و أهل الريب. و كانوا ثلاثمائه رجل، و قال: محمد عصانى و أطاع الولدان؟

سيعلم. ما ندرى علام نقتل أنفسنا و أولادنا ها هنا أيها الناس؟

فرجعوا. و تبعهم جابر بن عبد اللّه الأنصارى يناشدهم اللّه فى أنفسهم، و فى نبيهم، فقال ابن أبى: لو نعلم قتالا لاتبعناكم، و لو أطعتنا لرجعت معنا.

و قيل: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم أمرهم بالإنصراف، لكفرهم (4).

فبقى صلى الله عليه و آله وسلم فى سبعمائه من أصحابه، أو ستمائه.

و برجوع ابن أبى سقط فى أيدى بنى حارثه و بنى سلمه، ثم عادوا إلى الموقف الحق، قال تعالى: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا

1- وفاء الوفاء ج 1 ص 284 و 285 عن ابن عقبه، و السيره الحلبيه ج 2 ص 221، و فتح البارى.
2- تاريخ الطبرى ج 2 ص 190، و السيره الحلبيه ج 2 ص 221.
3- مجمع الزوائد ج 6 ص 117 عن الطبرانى، و حياه الصحابه ج 3 ص 769 عن كنز العمال ج 3 ص 135 عن الطيالسى.
4- سيره مغلطاى ص 49.

الآیه.

و روی بسند رجاله ثقات: أنه بعد أن جاوز النبی صلی الله علیه و آله وسلم ثنیه الوداع، إذا هو بکتیبه خشناء، فقال صلی الله علیه و آله وسلم : من هؤلاء؟ قالوا: عبد اللّه بن أبی بن سلول فی ستمائه من مواليه اليهود. فقال: و قد أسلموا؟ قالوا: لا یا رسول اللّه، قال: مروهم فلیرجعوا، فإننا لا ننتصر بأهل الکفر علی أهل الشرک. أو: فإننا لا نستعین بالمشرکین علی المشرکین (1).

الخیانه و آثارها:

إن من الطبیعی: أن یکون لا نخذال ابن أبی و رجوعه بمن معه من المنافقین أثر سی ء علی نفوس المسلمین و معنویاتهم، فإن حدوث الخیانه هذه قد کانت أحد الأسباب الرئیسیه لتهیؤ بعض المسلمین نفسیا للهزیمه فی المعرکه، و هم بنو حارثه، و بنو سلمه.

و قد حکی اللّه ذلک بقوله: إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْکُمْ أَنْ تَفْشَلا (2).

و قد جاءت هذه الخیانه فی لحظات حرجه و حساسه، قد مهدت الطریق، و منحت العذر لمن تبقی من المنافقین للفرار فی أحرج اللحظات، و أخطرها علی الإسلام و المسلمین بصوره عامه.

و هذا یؤید، و یؤکد سلامه موقفه صلی الله علیه و آله وسلم فی إرجاعه فی غزوه بدر من لم یکن مسلما، و عدم قبوله باشتراک بعض الیهود فی حرب أحد، حیث أرجع کتیبتهم کما سلف. و لذلک شواهد کثیره فی حیاته صلی الله علیه و آله وسلم یجدها

1- وفاء الوفاء ج 1 ص 283، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 422 عن الوفاء، و الطبرانی فی الکبیر و الأوسط بسند رجاله ثقات، و ذکر مثل ذلک عن الکشاف و معالم التنزیل و السیره الحلبیه ج 2 ص 220، و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 227، و مغازی الواقدی ج 1 ص 215.
2- آل عمران: 122.

المتتبع فی السیره النبویه.

و قد أشار اللّه تعالی إلی الأثر السی ء لمواقف المنافقین فی العدید من الآیات، فهو تعالی یقول: لَوْ خَرَجُوا فِیکُمْ ما زادُوکُمْ إِلَّا خَبالًا (1).

و یعطی قاعده عامه فی التعامل مع غیر المؤمنین، فیقول: وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ (2) إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه.

و بعد هذا، فإننا نعرف عدم صحه ما روی عن الزهری، قال: (کان یهود یغزون مع النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فیسهم لهم کسهام المسلمین) (3).

و ما ذلک إلا لأنه قد زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنْیا، وَ یَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا (4)، و لأن: الَّذِینَ آمَنُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ، وَ الَّذِینَ کَفَرُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ الطَّاغُوتِ (5). و من هذا المنطلق، قال ابن أبیّ هنا: ما ندری علام نقتل أنفسنا و أولادنا؟.

و من جهه ثانیه، فإن المنافقین و الیهود کانوا یلتقون مع المشرکین فی الهدف مرحلیا؛ لأنهم جمیعا لا یستطیعون أن یروا انتصار الإسلام و المسلمین فی المنطقه، لأنهم- و هم الذین لا همّ لهم إلا الدنیا- یرون ذلک یضر بمصالحهم، و بموقعهم السیاسی، و الإجتماعی، و الإقتصادی فی المنطقه.

1- التوبه: 47.
2- هود: 113.
3- مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 188، و سنن البیهقی ج 9 ص 53، و نقل عن ابن أبی شیبه.
4- البقره: 212.
5- النساء: 76.

و إذا حارب اليهود و المنافقون إلى جانب المسلمين، فإنما يفعلون ذلک إما تمهيدا للخيانه بهم، و إسلامهم إلى أعدائهم، و إما طمعا فی المال و الغنائم. و من يقاتل من أجل ذلک، فلا يستطيع أن يقدم علی الأخطار، و لا أن يضحی بنفسه، بل إنما يکون مع المسلمين ما دام النصر حليفهم، حتی إذا رأی أنهم فی خطر، فإنه لا بد أن يخذلهم فی أحرج اللحظات، و هذا ما سوف يؤثر تأثيرا سلبيا علی معنوياتهم، و من ثمّ علی مستقبلهم و مصيرهم أيضا.

سؤال و جوابه:

و يبقی سؤال، و هو: أنه إذا کان الحال کذلک، فلماذا يقبل النبی صلی الله عليه و آله وسلم المنافقين فی جيش المسلمين؟ مع أن ذلک يشکل خطرا عليهم؟! و لماذا لا يفضحهم و يکشفهم للناس؟! و إذا کان يمنع اليهود و غيرهم من الکفار من المشارکه، فلماذا لا يتخذ تدبيرا معينا يمنع به المنافقين من الحضور فی ساحه الحرب؟!

و الجواب يتلخص فی النقاط التاليه:

1- لقد کان النبی صلی الله عليه و آله وسلم واقعا بين محذورين، کل منهما صعب و خطير.

أحدهما: سلبيه خروج المنافقين إلی الحرب، و قد حددها اللّه سبحانه، حينما قال: لَوْ خَرَجُوا فِيکُمْ ما زادُوکُمْ إِلَّا خَبالًا، وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَکُمْ، يَبْغُونَکُمُ الْفِتْنَهَ (1).

و کان صلی الله عليه و آله وسلم يستر ذلک عليهم ما داموا لم يظهروا هم أنفسهم ذلک، من خلال أفعالهم و مواقفهم، و أقوالهم.

الثانی: سلبيه إبقاء المنافقين فی المدينه، يسرحون و يمرحون،

1- التوبه: 47.

و ربما يكون الخطر فى ذلک أعظم مما لو اصطحبهم معه فى الحرب، لأن ذلک يفسح المجال لهم للتآمر، من دون أن يكون ثمه من يستطيع دفع كيدهم، ورد بغيهم.

و ما قضيه تبوک إلا الدليل القاطع على ما نقول، حيث اضطر الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم إلى إبقاء خليفته و وصيه، و من هو منه بمنزله هارون من موسى فى المدينه، حينما شعر أن تخلف المنافقين عن الخروج إلى تبوک يحمل فى طياته أخطارا جساما، لا يمكن لأحد مواجهتها إلا النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو أخوه على (عليه السلام).

و قد رجح صلى الله عليه و آله وسلم هذا على ذاک ليرد كيدهم، و يفشل مؤامراتهم، و لأجل ذلک كان يخرجهم معه إلى الحرب.

2- ثم إن النفاق قد لا يتخذ صفه العنف، بل يظهر المنافق الإسلام حفاظا على مصالحه، أو لأسباب خاصه أخرى، مع عدم إبائه عن الدخول فيه، و تقبّله طبيعيا له، فهو لا يهتم بهدم الإسلام و الكيد له. فتبرز الحاجه- و الحاله هذه- إلى إعطائهم الفرصه للتعرف أكثر فأكثر على تعاليم الإسلام و أهدافه، و لكى يعيشوا أجواءه من الداخل، و ليكتشفوا ما أمكنهم من أسرار عظمته و أصالته، فتلين له قلوبهم، و تخضع له عقولهم. و لا أقل من أن أبناءهم، و من يرتبط بهم، يصبح أقدر على ملامسه واقع المسلمين، و التفاعل مع تعاليم الإسلام ما دام أنه يعيشها بنفسه، و تقع تحت سمعه و بصره.

و هذا بالذات ما كان يهدف إليه الإسلام من التألف على الإسلام، و إعطاء الأموال و الأقطاع، و حتى المناصب و القيادات لمن عرفوا ب (المؤلفه قلوبهم)، بالإضافه إلى ما كان يهدف إليه من دفع كيدهم و شرهم.

و ما تقدم يفسر لنا السبب الذى جعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان يقبل

بوجهه و حديثه على أشر القوم، يتالفهم بذلک، حتى إن عمرو بن العاص ظن بنفسه أنه خير القوم. ثم صار يسأل النبى صلى الله عليه و آله وسلم عن المفاضله بين نفسه و غيره، فلما عرف: أنهم أفضل منه، قال: (فلوددت أنى لم أكن سألته) (1).

3- إن سكوته صلى الله عليه و آله وسلم عن المنافقين، و قبولهم كأعضاء فى المجتمع الإسلامى، إنما يريد به المحافظه على من أسلم من أبنائهم، و إخوانهم، و آبائهم، و أقاربهم، حتى لا تنشأ المشاكل العائليه الحاده فيما بينهم؛ و لا يتعرض المسلمون منهم للعقد النفسيه، و المشكلات الإجتماعيه، التى ربما تؤثّر على صمودهم و استمرارهم.

4- و كذلک، فإن اتخاذ أى إجراء ضد المنافقين، لربما يكون سببا فى تقليل إقبال الناس على الإسلام، و عدم وثوقهم بمصيرهم، و ما سوف يؤول إليه أمرهم معه فيه، و لا سيما إذا لم يستطيعوا أن يتفهّموا سر ذلک الإجراء، و لا أن يطلعوا على أبعاده و خلفياته.

و لسوف يأتى: أن سبب إظهار وحشى للإسلام، هو أنه كان معروفا عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أنه كان لا يتعرض لمن يظهر الإسلام بشى ء يسوءه.

5- إن اتخاذ أى إجراء ضد المنافقين معناه: فتح جبهه جديده، كان بالإمكان تجنبها، و اضطرار هؤلاء الساكتين ظاهرا، انصياعا لظروفهم، إلى المجاهره بالعداء، و الإعلان بالتحدى، و هم عدو داخلى كثير العدد، و خطير جدا، يعرف مواضع الضعف، و مواضع القوه، و يكون بذلک قد أعطاهم المبرر للإنضمام إلى الأعداء، العاملين ضد الإسلام و المسلمين.

و واضح أن تصرفا كهذا ليس من الحكمه و لا من الحنكه فى شى ء،

1- راجع: مجمع الزوائد ج 9 ص 15 عن الطبرانى بإسناد حسن، و فى الصحيح بعضه بغير سياقه. و حياه الصحابه ج 2 ص 706 عن الترمذى فى الشمائل ص 25.

لأنه يأتى فى ظرف يحتاج فيه الإسلام إلى تمزيق أعدائه و تفريقهم؛ حيث لا يستطيع مواجهتهم جميعا فى آن واحد.

بقى أمران:

أحدهما: لقد نزلت آيات قرآنيه كثيره تفضح المنافقين، و تظهر أفاعيلهم، و تنقل أقاويلهم، و تبيّن أوصافهم بدقه و بتفصيل. كما أن النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) نفسه قد حاول أن يحدّ من فعاليه المنافقين ما أمكنه، و ذلک بتنبيه الصحابه إلى خططهم و مؤامراتهم، و الكشف عن حقيقتهم و وجودهم، و تحذير الناس منهم، و ذكر أفعالهم و أوصافهم باستمرار، حتى حينما كان النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى مكه.

بل لقد اتخذ صلى الله عليه و آله وسلم أحيانا إجراءات عمليه ضدهم، كهدم مسجد الضرار، و غير ذلک مما يظهر جليا فى الآيات القرآنيه الكثيره، و المواقف النبويه المختلفه.

و هذا بطبيعته يمثل حصانه و مناعه للمسلمين ضد النفاق و المنافقين و مكائدهم.

الثانى: إنه يظهر مما تقدم: أنه كان ثمه كتيبه لليهود بقياده ابن أبى، و قد أرجعها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم من الطريق. ثم رجع ابن أبى مع طائفه من المنافقين. بل يظهر من بعض النصوص: أن المنافقين قد رجعوا من نفس أحد (1).

و الذى نخشاه هو أن تكون هذه الروايه مكذوبه بهدف التغطيه على فساد ابن أبى و رجوعه بالمنافقين من وسط الطريق.

إرجاع الصغار:

و قد ردّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم من استصغرهم، و منعهم من الخروج إلى

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 219، و شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 230.

الحرب، مثل: ابن عمرو بن ثابت، و سمره بن جندب، و رافع بن خديج، ثم سمح صلى الله عليه و آله وسلم لرافع؛ لأنه رام. و كان يتطاول من الشغف على الخروج.

فيقال: إن سمره قال لزوج أمه: أذن لرافع وردنى، و أنا أصرعه؟! فأمرهما صلى الله عليه و آله وسلم بالمصارعه؛ فصرعه سمره بن جندب؛ فأذن له أيضا (1).

الريب فيما ينقل عن سمره:

و نحن نرتاب فيما نقل عن سمره بن جندب، و ذلک لما يلى:

1- إن ابن الأثير يذكر: أن صاحب هذه القضيه هو جابر بن سمره حليف بنى زهره (2) و ليس سمره بن جندب.

2- إن سمره لم يكن مستقيما و لا مراعيا للشرع فى تصرفاته و مواقفه. فحياه سمره، و تاريخه، و نفسيته، و روحيته، سواء فى حياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو بعد وفاته، كل ذلک يأبى عن نسبه مثل ذلک إليه.

أما فى حياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فإننا نجد: أنه هو صاحب العذق الذى كان فى حائط الأنصارى، و بيت الأنصارى فى ذلک الحائط أيضا؛ فكان سمره يمرّ إلى نخلته، و لا يستأذن، فكلّمه الأنصارى، فأبى، فشكاه إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فكلمه النبى صلى الله عليه و آله وسلم فأبى أن يستأذن. فساومه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و بذل له ما شاء من الثمن فأبى أيضا. فبذل له نخله فى الجنه فى مقابلها، فأبى أيضا.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم حينئذ للأنصارى: إذهب فاقلعها، و ارم بها إليه؛ فإنه لا ضرر و لا ضرار (3).

1- تاريخ الطبرى ج 2 ص 191، و السيره الحلبيه ج 2 ص 220، و تاريخ الخميس ج 1 ص 422، و مغازى الواقدى ج 1 ص 216، و شرح النهج ج 4 ص 227.

2- الكامل ج 2 ص 151.
3- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 78، و الكافى ج 5 ص 292 و 294، و من

كما أنه هو نفسه- كما فى الروضه- الذى ضرب رأس ناقه النبى صلى الله عليه و آله وسلم فشجها، فشكته إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (1)

و أما بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فإنه قتل من المسلمين ما لا يحصى؛ حتى إن زياد ابن أبيه استخلفه على البصره، و أتى الكوفه مده و جيزه، فقتل ثمانيه آلاف (2)، كما عن الطبرى. و قتل سبعه و أربعين رجلا من بنى عدى فى غداه واحده، كلهم قد جمع القرآن (3). و كان يقتل من يتشهد الشهادتين، و يبرأ من الحروريه (4).

و بعد موت زياد أقره معاويه على البصره سته أشهر ثم عزله؛ فقال:

لعن اللّه معاويه، لو أطعت اللّه كما أطعت معاويه لما عذبنى أبدا (5) و كان يخرج من داره مع خاصته ركبانا فلا يمر بطفل، و لا عاجز، و لا حيوان إلا سحقه هو و أصحابه، و هكذا إذا رجع. فلم يكن يمر عليه يوم إلا و له قتيل أو أكثر (6).

و بذل معاويه له مئه ألف، ليروى: أن آيه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ

1- قاموس الرجال ج 5 ص 8 عن الروضه.
2- تاريخ الأمم و الملوک ج 5 ص 237 ط دار المعارف بمصر.
3- قاموس الرجال ج 5 ص 8.
4- قاموس الرجال ج 5 ص 9.
5- تاريخ الأمم و الملوک ج 5 ص 291 ط دار المعارف.
6- قاموس الرجال ج 5 ص 9 عن الطبرى.

يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا. إلی قوله: وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ (1) نزلت فی علی (علیه السلام)، و أن آیه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (2)، نزلت فی ابن ملجم؛ فلم یقبل، فبذل له مئتی ألف، ثم ثلاثمائه. فلما بذل له أربعمائه ألف، قبل، و روی ذلک (3).

کما أن سمره هذا قد حضر مقتل الحسین، و کان من شرطه ابن زیاد، و کان یحرض الناس علی الخروج إلی قتال الإمام الحسین (علیه السلام) (4).

هذا هو سمره، و هذه هی نفسیته، و أفاعلیه، فإن کان حقا هو صاحب القضیه المتقدمه، و هو بعید فی الغایه، فلا بد و أن یکون هدفه هو الحرب من أجل المال أو الجاه، و غیره من المکاسب الدنیویه، مهما کانت تافهه و حقیره.

3- و إن من الأمور التی شاعت و ذاعت، و رواها المحدثون و المؤرخون بشکل واسع قول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) فی سمره، و أبی هریره، و أبی محذوره: آخرکم موتا فی النار. فکان سمره آخرهم موتا (5).

و تأویل ذلک: بأن سمره قد مات فی قدر مملوءه ماءا حارا (6). لا

1- البقره: 204.
2- البقره: 207.
3- شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 73.
4- راجع: قاموس الرجال ج 5 ص 8- 10 و شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 77 و 78 و 79.
5- راجع: قاموس الرجال، و الإصابه ج 2 ص 79، و شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 78.
6- راجع: الإصابه ج 2 ص 79، و الإستیعاب بهامشها ج 2 ص 78.

يصح، لأنه خلاف الظاهر، فإن ظاهر الكلام: أن المراد هو النار الأخرويه، كما هو المتبادر، لا أن موته بسبب أن النار تجعل الماء حارا، ثم يقع فيه؛ فإن ذلک- بالإضافه إلى أنه مجاز لا مبرر له إلا إراده تبرئه ساحه رجل له أمثال تلک الجنايات و العظائم- لا يصح، إذ لو كان هو المراد لكان الأصح هو التعبير بقوله: (بالنار)، لا (فى النار)، أو يقول: فى الماء الحار، و نحو ذلک.

فهذه الكرامه له، و التى تقول: إنه كان يتشوق للمشاركه فى الحرب، رغم صغر سنه، ثم مصارعته لرافع، لا تناسب كل ما أشرنا إليه آنفا، و لا تنسجم مع واقع سمره و نفسيته. و لعل سر تكرم محبيه عليه بهذه الفضيله، هو طاعته الخارقه لمعاويه، و معاونته لابن زياد، و تحريضه على قتل الحسين، و غير ذلک.

و لو أننا قبلنا صدور ذلک منه؛ فإنه- و لا شک- قد انقلب على عقبيه بعد ذلک، و لا تنفعه أمثال هذه الأمور، بعد أن كانت عاقبته هى: النار.

ملاحظه:

و لا يخفى: أن هذا الكلام منه صلى الله عليه و آله وسلم فى حق هؤلاء الثلاثه من شأنه أن يسقطهم عن الإعتبار جميعا، إذ لو كان واحد منهم مستقيم الطريقه لم يجز وضعه فى دائره من يحتمل فى حقه ذلک.

و هذا أسلوب فذ فى اسقاط خطط الذين يريدون تكريس رموز، و اشخاص يريدون أن يقوموا بدور غير مسؤول و يمس مستقبل الأمه، و يؤثر على دينها، و على كل وجودها و لو عن طريق تزوير نصوص الدين و أحكامه، و العبث برسومه و أعلامه:

الحراسه و قصه ذكوان:

و نزل صلى الله عليه و آله وسلم فى مكان فى الطريق، و عين محمد بن مسلمه فى

خمسين آخرين لحراسه الجيش. و يقولون: ثم قال: من يحرسنا الليله؟

فقام رجل، فقال: أنا.

فسأله عن اسمه، فقال: ذكوان.

فأجلسه.

ثم سأل الثانيه، فقام رجل، فقال: أنا.

فسأله عن اسمه فقال: أبو سبع.

فأجلسه.

و فى الثالثه قام رجل و تسمى بابن عبد القيس، فأجلسه.

ثم أمر بقيام الثلاثه. فقام ذكوان وحده.

فسأله عن الباقين.

فأخبره أنه هو صاحب الأسماء الثلاثه، فكان هو الذى حرسه (1).

قال المعتزلى: قلت: قد تقدم هذا الحديث فى غزوه بدر، و ظاهر الحال أنه مكرر، و أنه إنما كان فى غزاه واحده. و يجوز أن يكون قد وقع فى الغزاتين، و لكن على بعد (2).

الشک فی قصه ذکوان:

و نحن نستبعد قصه ذكوان هذه و ذلک لما يلى:

1- إننا لا نستطيع أن نصدق: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان ساذجا إلى حدّ

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 422/ 423، و السيره الحلبيه ج 2 ص 221، و مغازى الواقدى ج 1 ص 217، و شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 228.

2- شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 228/ 229.

أنه لا يستطيع أن يدرک: أن الذى أجابه فى المرات الثلاث، بل الأربع، هو شخص واحد، حتى سأله عن الباقين!!

2- ثم إننا لم نفهم المبرر لعدم إجابه غير ذكوان من المسمين الذين يبلغ عددهم حوالى سبعمائه رجل، و فيهم أعظم المؤمنين، و كثيرون من الغيارى على حياه الرسول و أصحابه، و يفدونه بأرواحهم، و بكل غال و نفيس.

و لم تكن الحراسه بذلک الأمر، الذى لا مناص من مواجهه الخطر على النفس فيه. و إن كان يحتمل فيها ذلک. و أين كان على (عليه السلام) عنه فى تلک الليله، مع أنه هو الذى كان يتولى حراسته عاده.

3- إننا لا نفهم المبرر لأمره صلى الله عليه و آله وسلم إياه بالجلوس فى المرات الثلاث!! و لم لم يوافق على طلبه من المره الأولى؟!

4- إن النزول فى الطريق، و بيات ليله فيه موضع شک أيضا إذ لم تكن المسافه بين المدينه و بين جبل أحد كبيره إلى حد يحتاج معها إلى أن يبيت فى الطريق إليه.

ص: 135

الفصل الثانی: نصر و هزیمه

اشاره

التعبئه للقتال:

اشاره

و يقولون: إنه لما وصل النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى منطقه القتال، اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل.

ثم عبأ أصحابه، و صار يسوى صفوفهم؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجا، فيؤخره.

و أمرهم أن لا يقاتلوا أحدا حتى يأمرهم.

و كان على يسار المسلمين جبل إسمه جبل عينين، و هو جبل على شفير قناه، قبلى مشهد حمزه، عن يساره (1). و كانت فيه ثغره؛ فأقام عليها خمسين رجلا من الرماه، عليهم عبد اللّه بن جبير، و أوصاه: أن يردوا الخيل عنهم، لا يأتوهم من خلفهم. و فى روايه قال: إن رأيتمونا تختطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، و إن رأيتمونا هزمنا القوم، و أوطأناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم (2).

و حسب نص آخر: احموا ظهورنا؛ فإن رأيتمونا نقتل؛ فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا (3).

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 423.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 423 عن البخارى.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 424، عن الطبرانى و الحاكم، و السيره الحلبيه ج 2 ص 222.

و كان شعاره يوم أحد: أمت. أمت.

و يقولون أيضا: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) قد ظاهر بين درعين، كما نص عليه الحاكم، و طائفه من المؤرخين.

و يقول الواقدى: إنه كان قد لبس قبل وصوله إلى أحد درعا، فلما وصل إلى ساحه الحرب لبس درعا أخرى، و مغفرا و بيضه فوق المغفر (1).

و من جهه أخرى: فقد عبأ المشركون قواهم، استعدادا للحرب، و أرسل أبو سفيان إلى الأنصار: خلوا بيننا و بين ابن عمنا؛ فننصرف عنكم؛ فلا حاجه بنا إلى قتالكم، فردوا عليه بما يكره (2).

و نذكر هنا ما يلى:

ألف: المظاهره بين درعين:

إننا نشك فى أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد ظاهر بين درعين فى الوقت الذى يرى فيه أن غالب أصحابه لا درع لهم يحميهم من سيوف المشركين، فضلا عن أن يكون لهم درعان. و لم يكن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ليميّز نفسه عنهم، بل كان من عادته أن يجعل نفسه كأحدهم. مع أنه يعلم: أنه هو المستهدف بالدرجه الأولى. و هذه هى أخلاق النبوه. و ذلک هو سيماء الأفذاذ من الرجال، و عباد اللّه الصالحين.

إلا أن يقال: إن المسلمين أنفسهم قد أصروا عليه بأن يظاهر بين درعين، من أجل الحفاظ عليه صلى الله عليه و آله وسلم ، كما كانوا يقومون بحراسته صلى الله عليه و آله وسلم ليلا من أجل ذلک أيضا .. و يكون صلى الله عليه و آله وسلم قد قبل منهم ذلک لتطمئن قلوبهم، و يهدأ روعهم.

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 219، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 230.
2- الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 151.

و نقول: إن ذلک لا یصح أیضا، لأن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کان ملاذا للناس حین الحرب، و کانوا یلجأون إلیه فی الشدائد و الأهوال. و لم یکن أحد أقرب منه إلی العدو، و کان یقدم أحباءه و أهل بیته فی الحرب، و لا نجد مبررا بعد هذا للمظاهره بین درعین، لا سیما مع وجود المنافقین، و من فی قلوبهم مرض، و مع وجود الیهود و غیرهم من الأعداء، الذین سوف لا یسکتون عن أمر کهذا، بل سوف یستفیدون منه لتضلیل الناس، و خداع ضعاف النفوس، و السذج و البسطاء. و لم یکن النبی صلی الله علیه و آله وسلم لیسجل علی نفسه سابقه کهذه أصلا.

ب: المنطق القبلی لدی أبی سفیان:

إن محاوله أبی سفیان استعمال المنطق القبلی حین قال: خلوا بیننا و بین ابن عمنا إنما کانت لتفریق الناس عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ لیتمکن من القضاء علی حرکته من أسهل طریق؛ فلا یتعرض للعداوات الحاده بینه و بین المدنیین، و لا للخسائر الکثیره فی الأرواح، و لا لتغییر المعادلات السیاسیه فی المنطقه. إلی غیر ذلک من الإعتبارات الکثیره فی جو کهذا.

و لکن فأله قد خاب، فقد وجد: أن الإسلام و المسلمین لا یأبهون لمنطق کهذا، و أصبح المسلم أخا للمسلم أیا کان، و من أی قبیله کانت.

أما أبو سفیان و أصحابه فعدوّ محارب، حتی و لو کانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشیرتهم، أو غیرهم.

أبو دجانه، و السیف:

اشاره

و یقولون: إنه صلی الله علیه و آله وسلم أخذ سیفا، و قال: من یأخذ هذا السیف بحقه، فطلبه جماعه، منهم الزبیر. و فی نصوص أخری: أبو بکر، و عمر، و تضیف روایه الینابیع علیا أیضا؛ فلم یعطهم إیاه.

فسأله أبو دجانه: ما حقه؟

فقال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. فطلبه أبو دجانه؛ فأعطاه إياه، فجعل يتبختر بين الصفين، فقال صلى الله عليه و آله وسلم : إنها لمشيه يبغضها اللّه إلا فى هذا الموطن.

فقاتل أبو دجانه قتالا عظيما، حتى حمل على مفرق رأس هند- التى كانت تحوش المسلمين بهجماتها- ثم عدل السيف عنها؛ لأنها صرخت، فلم يجبها أحد؛ فكره أن يضرب بسيف رسول اللّه إمرأه لا ناصر لها (1).

ملاحظات على هذه الروايه:

و نقول:

1- إن قضيه عرضه السيف على أصحابه، و منعه من البعض، و إعطائه لأبى دجانه قد تكون صحيحه.

و لكن ما تقدم عن الينابيع، من ذكر على (عليه السلام) فيمن لم يعطه صلى الله عليه و آله وسلم السيف فى غير محله. كيف؟ و سيأتى: أنه لم يثبت أمام ذلک الجيش الهائل سوى أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه. و هذا يقّرب:

أنه (عليه السلام) كان يدرک: أنه لم يكن هو المقصود للنبى صلى الله عليه و آله وسلم فى دعوته للمسلمين، لأخذ السيف بحقه؛ لأنه كان يعرف موقعه و دوره فى المعركه.

1- راجع نصوص هذه الروايه المختلفه فى: لباب الآداب ص 176، و تاريخ الخميس ج 1 ص 424/ 425، و السيره الحلبيه ج 2 ص 222/ 223/ 225، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 257، و البدايه و النهايه ج 4 ص 16/ 17، و فيهما ذكر عمر و الزبير، و مغازى الواقدى ج 1 ص 259، و حياه الصحابه ج 1 ص 575- 577 عن غير واحد، و ينابيع الموده، إلى غير ذلک من المصادر الكثيره التى لا مجال لتعدادها.

و لنا أن نحتمل هنا- بسبب ما عرفناه و ما ألفناه من هؤلاء الرواه و المحدثين-: أن إضافه إسم على فى الروايه، قد كانت من أجل الحفاظ على كرامه و شخصيه الطالبين و الممنوعين الحقيقيين عن السيف فى هذا الموقف.

فإنهم لم تكن مواقفهم الحربيه تأبى عن مثل هذا، حيث لم تؤثر عنهم مواقف حربيه شجاعه فى ساحات الجهاد، بل أثر عنهم العكس من ذلک تماما.

2- إننا لا نفهم: لماذا يرفض رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إعطاء السيف للزبير، و لأبى بكر، و عمر، بعد طلبهم إياه، قبل أبى دجانه، و لماذا لا يجربهم، ليظهر مواهبهم و مواقفهم؟! و لماذا يواجههم أمام الناس بهذا الرفض الفاضح و القاسى، حتى لقد وجدوا فى أنفسهم من منعه لهم؟.

و لربما يقال: إنه أراد أن يعطيه أنصاريا؛ ليقتدى به الأنصار.

و جوابه: إنه قد كان اللازم حينئذ: أن يوضح ذلک لهم بكلمه، أو بإشاره، حتى لا يتعرض الممنوعون لسوء ظن الناس بهم، أو حتى لا ينسبوا للفشل و العجز، و تصير كرامتهم فى معرض الإمتهان.

و إن كنا سنرى: أن هؤلاء الممنوعين لم يكونوا فى المستوى المطلوب، و كان أبو دجانه أولى منهم بهذا التكريم، لأن هذه القضيه قد جرت لو صحت بعد عوده المسلمين من الهزيمه. و سيأتى بعض الكلام فى ذلک إن شاء اللّه.

3- إن ما ذكروه: من أن هندا كانت تقاتل المسلمين و تحوشهم قد كذبته أم عماره رحمها اللّه؛ فراجع (1).

و لا ندرى من أين حصلت هند على هذه البساله النادره، التى

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 272، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 268.

تجعلها فی عداد أعظم فرسان التأریخ؟ و لماذا لم یعدها المؤرخون من فرسان الدهر، و شجعان ذلک العصر؟!

کما أن من المعلوم: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد کان یوصی سراياه و بعوثه وصایا عدیده، منها: أن لا یقتلوا إمرأه، و لا و لا إلخ.

4- إن من الواضح مدی التشابه بین ما تذکره هذه القضیه عن تبختر أبی دجانه بین الصفین، و قول النبی صلی الله علیه و آله وسلم له، و بین ما کان من تبختر علی (علیه السلام) یوم الخندق، فاعترض عمر علی ذلک، و نبّه النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی مشیته (علیه السلام). فأجابه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بهذا الجواب بعینه. و ستأتی مصادر هذه القضیه هناک، و أنها ثابته بلا ریب.

و یبعد أن تتعدد الواقعه بکل خصوصیاتها. کما أنه بعد قضیه أبی دجانه فی أحد لا یبقی مورد لا عتراض عمر فی الخندق، إذ نستبعد عدم اطلاعه علی ما جری فی أحد، إن لم یکن هو نفسه هو الذی اعترض آنئذ کما تعودناه منه فی المواقف المختلفه، حتی لیندر أن تجد فی التاریخ اعتراضا علی النبی لغیره!!.

و لا أقل من حضوره و شهوده الأحداث عن قرب، فإنه ممن طلب السیف، و رفض طلبه؛ فإذا کان ما جری یوم الخندق هو الصحیح، و إذا کان ثمه تبدیل و تغییر فی الأسماء و الأشخاص فقط؛ فلا عجب، فإنما هی شنشنه نعرفها من أخزم.

و علی کل حال، فإن مشیه علی (علیه السلام) یوم الخندق، کان الهدف منها هو الإفتخار بعظمه و بعزه الإسلام، و ذل أعدائه حتی فی حال انتصارهم من جهه. ثم الحرب النفسیه لأعدائه، و التأثیر علی معنویاتهم من جهه أخری.

نشوب الحرب، و قتل أصحاب اللواء:

اشاره

و كان أول من رمى بسهم فى وجوه المسلمين أبو عامر الفاسق فى خمسين ممن معه، بعد أن حاول استماله قومه من الأوس؛ فردّوا عليه بما يكره، فتراموا مع المسلمين، ثم ولوا مدبرين.

و حرض أبو سفيان بنى عبد الدار، حاملى لواء المشركين على الحرب، و جعل النساء يضربن بالدفوف، و يحرضنهم بالأشعار.

و طلب طلحه بن أبى طلحه، حامل لواء المشركين البراز، فبرز إليه على (عليه السلام) فقتله. فسر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بذلک، و كبّر تكبيرا عاليا.

و يقال: إن طلحه سأل عليا: من هو؟. فأخبره فقال: قد علمت يا قضم: أنه لا يجسر علىّ أحد غيرک (1).

و قد ضربه على (ع) على رأسه، ففلق هامته إلى موضع لحيته، و انصرف على (عليه السلام) عنه، فقيل له: هلا ذففت عليه؟! قال: إنه لما صرع استقبلنى بعورته؛ فعطفتنى عليه الرحم. و قد علمت أن اللّه سيقتله، و هو كبش الكتيبه (2).

1- فعن أبى عبد اللّه (عليه السلام): أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان بمكه لم يجسر عليه أحد؛ لموضع أبى طالب، و أغروا به الصبيان، و كانوا إذا خرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يرمونه بالحجاره و التراب، و شكا ذلک إلى على (ع)، فقال: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، إذا خرجت فاخرجنى معک، فخرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و معه أمير المؤمنين (ع)، فتعرض الصبيان لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين، و كان يقضمهم فى وجوههم، و آنافهم، و آذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم، و يقولون: قضمنا على، قضمنا على، فسمى

لذلک: (القضم). راجع: البحار ج 20 ص 52، و تفسیر القمی ج 1 ص 114، و أشار إلی ذلک أیضا فی نهایه ابن الأثیر.
2- مغازی الواقدی ج 1 ص 226، و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 236 و غیر ذلک.

و فی روایه أخری: إنه صلوات اللّه و سلامه علیه قال: إنه ناشدنی اللّه و الرحم؛ فاستحییت. و عرفت أن اللّه قد قتله (1).

و قیل: إن ذلک کان حینما قتل (علیه السلام) أبا سعید بن أبی طلحه. و ثمه کلام آخر فی المقام لا أهمیه له.

قال ابن هشام: (لما اشتد القتال یوم أحد، جلس رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم تحت رایه الأنصار، و أرسل إلی علی: أن قدّم الرایه، فتقدم علی، و قال:

أنا أبو القصم (و الصحیح: أبو القضم)؛ فطلب أبو سعید بن أبی طلحه- و کان صاحب لواء المشرکین- منه البراز، فبرز إلیه علی، فضربه، فصرعه).

ثم ذکر قصه انکشاف عورته حسبما تقدم (2).

و اقتتل الناس، و حمیت الحرب. و حارب المسلمون دفاعا عن دینهم، و عن وطنهم، الذی فیه کل مصالحهم، و یتوقف علی حفظه مستقبلهم و وجودهم. حاربوا فئه حاقده، ترید الثأر لقتلاها فی بدر، و هی أکثر منهم عددا، و أحسن عدّه.

ثم شد أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم علی کتائب المشرکین، فجعلوا یضربون وجوههم، حتی انتقضت صفوفهم، ثم حمل اللواء عثمان بن أبی طلحه، أخو طلحه السابق، فقتل، ثم أبو سعید أخوهما، ثم مسافع؛ ثم کلاب بن طلحه بن أبی طلحه، ثم أخوه الجلاس، ثم أرطأه بن شرحبیل، ثم شریح بن قانط، ثم صواب، فقتلوا جمیعا؛ و بقی لواؤهم مطروحا علی الأرض، و هزموا، حتی أخذته إحدی نسائهم، و هی عمره بنت علقمه

1- تاریخ الطبری ج 2 ص 194، و الکامل لإبن الأثیر ج 1 ص 152، و وفاء الوفاء ج 1 ص 293، و الأغانی ج 14 ص 16.
2- تاریخ الخمیس ج 1 ص 427.

الحارثیه، فرفعته، فتراجعت قریش إلی لوائها، و فیها یقول حسان:

و لو لا لواء الحارثیه أصبحوایباعون فی الأسواق بالثمن البخس و یقال: إن أصحاب اللواء بلغوا أحد عشر رجلا (1).

قال الصادق (علیه السلام)، بعد ذکره قتل أمیر المؤمنین (علیه السلام) لأصحاب اللواء: (و انهزم القوم، و طارت مخزوم، فضحها علی (علیه السلام) یومئذ) (2).

کما أن رماه المسلمین الذین کانوا فی الشعب قد ردّوا حملات عدیده لخیل المشرکین، حیث رشقوا خیلهم بالنبل، حتی ردّوها علی أعقابها.

و قبل المضی فی الحدیث نسجل هنا ما یلی:

ألف: بنو مخزوم، و أهل البیت:

و لعل ما تقدم هو سرّ حقد خالد بن الولید المخزومی- الذی کان علی میمنه المشرکین فی أحد- علی أمیر المؤمنین (علیه السلام)، الذی قتل عددا من فراعنتهم (3).

و قد تقدم فی أوائل هذا الجزء حین الکلام عن خطبه علی (ع) لبنت أبی جهل بعض ما یشیر إلی حقد خالد هذا، فلا نعید.

و قد روی الحاکم، عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قوله: (إن أهل بیتی سیلقون من بعدی من أمتی قتلا و تشریدا. و إن أشد قومنا لنا بغضا:

بنو أمیه، و بنو المغیره، و بنو مخزوم) (4).

1- تاریخ الخمیس ج 1 ص 427.
2- الإرشاد للمفید ص 52، و البحار ج 20 ص 87 عنه.
3- شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 84.
4- مستدرک الحاکم ج 4 ص 487.

ب: الزبير و المقداد على الخيل:

و ثمه روايه تفيد: أن الزبير و المقداد كانا على الخيل، و حمزه بالجيش بين يديه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أقبل خالد الذى كان على ميمنه المشركين، و عكرمه بن أبى جهل على الميسره، فهزمهم الزبير و المقداد، و حمل النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فهزم أبا سفيان (1).

و نحن لا نصدق هذه الروايه؛ فقد تقدم: أنه لم يكن مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم خيل. و جاء فى بعض الروايات: أنه كان ثمه فرس واحد، أو فرسان: فرس للنبى، و الآخر لأبى برده بن نيار كما تقدم.

إلا أن يقال: إن المراد: أنه كان فى مقابل خيل المشركين: الزبير و المقداد. و لكن ذلک بعيد عن سياق الكلام، و لا سيما إذا لم يكن معهما خيل.

أما العشره أفراس التى غنمها المسلمون يوم بدر، فلعلها قد بيعت، أو نفقت، أو كان بعضها فى حوزه من لم يشاركوا فى حرب أحد، ممن رجع مع ابن أبىّ أو غيرهم.

ثم إننا لا ندرى أين كان على (عليه السلام)، الذى قتل نصف قتلى المشركين أو أكثر كما سيأتى؟!. و لماذا لا تتعرض له هذه الروايه، و لا تدلنا على دوره فى هذه الحرب؟!.

ج: إخلاص على (ع)، و عطفه على كبش الكتيبه:

و أما أن عليا انصرف عن قتل حامل لواء المشركين، لأنه قد عطفته عليه الرحم، فلا يمكن أن يصح؛ لأن عليا لم يكن ليرحم من حادّ اللّه، و رسوله، و كان كبش كتيبه المشركين، الذين جاؤا لاستئصال شأفه الإسلام

1- الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 152.

و المسلمين. و نحن نعلم: أن عليا (ع) كان فى كل أعماله مخلصا للّه تعالى كل الإخلاص. و قد قدمنا الإشاره إلى موقفه حينما قتل عمرو بن عبد ودّ فلا نعيد.

فالظاهر أن الصحيح: هو أنه ناشده اللّه و الرحم، و استقبله بعورته فانصرف عنه. و هو بلاء تعرّض له أمير المؤمنين مع غيره أيضا، كعمرو بن العاص، و بسر بن أبى أرطأه فى وقعه صفين، كما هو معلوم.

نعم لقد انصرف عنهم جميعا، بدافع من كرم النفس، و طاعه اللّه.

فهو حين يقتل قومه يقتلهم طاعه للّه، و حين ينصرف عنهم ينصرف لكرم النفس و النبل و الشرف، و طاعه للّه أيضا. حيث لم يكن ثمه حاجه للتذفيف عليه، مع مشاهده ما لا يحسن مشاهدته منه- عورته- و قد علم أن اللّه سيقتله من ضربته تلك، التى فلقت هامته إلى موضع لحيته.

و لا ننسى أن نشير هنا إلى أنه إذا بلغ السيف إلى موضع لحيته، فإنه لن يكون قادرا على مناشده أحد.

د: من قتل أصحاب اللواء:

اشاره

إن من الثابت: أن عليا أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام، هو الذى قتل جميع أصحاب اللواء و كانوا أحد عشر رجلا، و لا يعتنى بتفصيلات طائفه من المؤرخين فى من قتل هذا، و من قتل ذاک، و نستند فى ذلک إلى ما يلى:

1- قال الطبرى، و ابن الزبير، و غيرهما: (و كان الذى قتل أصحاب اللواء على، قال أبو رافع: قال: فلما قتلهم أبصر النبى صلى الله عليه و آله وسلم جماعه من المشركين إلخ).

و ستأتى المصادر الكثيره جدا لهذا النص حين الكلام عن مناداه جبرئيل:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلا على و قد نصّ على أنه (عليه السلام) هو الذى قتل أصحاب اللواء عدد جمّ من المؤرخين و غيرهم (1)، و بعضهم- كالإسكافى- ذكر ذلک فى مقام الحجاج و الإحتجاج. و لو كان ثمه مجال لإنكار ذلک، لم يجرؤ على إيراده فى مقام كهذا.

3- و عن أبى عبد اللّه، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعه، قتلهم على بن أبى طالب عن آخرهم إلخ (2).

و يمكن تأييد ذلک بما سيأتى إن شاء اللّه، من أن أمير المؤمنين (ع) قد قتل نصف بل أكثر قتلى المشركين فى معركه أحد.

لماذا التزوير!؟.

فإذا كان هذا هو الصحيح فى هذه القضيه، و إذا كنا نلاحظ كثيرا:

أنهم فى مقام تفصيلاتهم الأخرى فى هذا المقام، و فى غيره أيضا، يحاولون إعطاء كثير من الإمتيازات لأولئک الذين لم تكن لهم علاقات حسنه بأهل البيت (ع). بل كان لغالبهم عداوات كبيره مع على و أهل بيته، و علاقات وثيقه بأعدائهم و مناوئيهم.

إذا كان كذلک، فإننا نستطيع أن نعرف سرّ محاوله صرف الأنظار هنا

1- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 293 عن الإسكافى، و ليراجع: آخر العثمانيه للجاحظ ص 340، و شرح التجريد للقوشجى ص 486، و مجمع البيان ج 2 ص 513، و البحار ج 20 ص 26 و 49 و 69 و 87، و تفسير القمى ج 1 ص 113، و الإرشاد للشيخ المفيد ص 52، و عن الخصال ج 2 ص 121 و 124.
2- الإرشاد للشيخ المفيد ص 52، و البحار ج 20 ص 87 عنه.

عن رجل الجهاد الحقیقی، الذی کان و لا یزال شوکه جارحه فی أعین أعداء الدین الحق، الذین یحاربون اللّه و رسوله بالسلاح تاره، و بالکذب و الدعایات المسمومه أخری، و بالتحریف و التزویر ثالثه، و هکذا.

و من الممکن أن یکون بعض ما ذکروه عن غیر علی صحیحا أیضا، و أنهم قد قتلوا بعض المشرکین. و لکن من المؤکد: أنه لم یکن لهم دور بهذا المستوی المعروض فعلا، و لا هم قتلوا أصحاب اللواء. و لکن مناوئی أهل البیت قد بدلوا الأسماء کیدا منهم و حقدا.

و من هنا فلا مانع من أن یکون أحدهم، و هو حمزه، قد قتل بطلا من غیر أصحاب اللواء من المشرکین بأن ضربه بالسیف فقطع یده و کتفه، حتی بلغ مؤتزره، فبدا سحره (أی رئته)، ثم رجع، و قال: أنا ابن ساقی الحجیج (1).

و لسوف یأتی إن شاء اللّه المزید من الکلام فیما یرتبط بهذا الموضوع.

ه: مبارزه أبی بکر لولده:

اشاره

و یقولون: إن أبا بکر دعا ابنه عبد الرحمان للبراز یوم أحد، و کان عبد الرحمان من أشجع قریش، و أشدهم رمایه (2)!! فقال له النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

متّعنا بنفسک، أما علمت أنک منی بمنزله سمعی من بصری، فأنزل اللّه تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاکُمْ لِما یُحْیِیکُمْ (3).

1- السیره النبویه لدحلان (بهامش السیره الحلبیه) ج 2 ص 28، و أنساب الأشراف ج 1 ص 54.
2- السیره الحلبیه ج 2 ص 168.
3- السیره الحلبیه ج 2 ص 169 و 224 و فیها عن علی ما یؤید هذا، و العثمانیه للجاحظ ص 62 و لم یذکر نزول الآیه و کذا فی الکامل لإبن الأثیر ج 2 ص 156، و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 256 مثله، و مغازی

الواقدى ج 1 ص 257، و ملحق العثمانيه ص 330 و 340، و البحار ج 20 هامش ص 103 عن كشف الغمه، و عن المقريزى فى الإمتاع.

و قد ذكرت قصه شبيهه بهذه لأبى بكر و إبنه فى يوم بدر أيضا. لكن فيها: أن عبد الرحمان هو الذى دعا أباه للبراز،. و لكن لم يذكر فيها نزول الآيه بهذه المناسبه (1). كما أن أكثر المصادر لم تذكر قوله: أما علمت أنک منى بمنزله إلخ.

و فى بعض السير: أن أبا بكر قال لولده يوم بدر و هو مع المشركين:

أين مالى يا خبيث؟. فقال له عبد الرحمان كلاما معناه: إنه لم يبق إلا عده الحرب، التى هى السلاح، و فرس سريعه الجرى، و جنان يقاتل عليه شيوخ الضلال (2).

و لنا على ما ذكر ملاحظات:

1- أما بالنسبه لمال أبى بكر الذى طالب به ولده، فيردّه قولهم: إن أبا بكر حمل ماله كله حين هاجر من مكه إلى المدينه، حتى إن أباه أبا قحافه لما جاء و سأل: إن كان أبقى لأهله شيئا، اضطرت أسماء لأن تضع الحصى فى كيس و تلمسه إياه على أنه نقود (3) و قد تقدم بعض الحديث حول ثروه أبى بكر حين الكلام على قضيه الغار، فليراجع ما ذكرناه هناک.

2- و أما نزول الآيه، فى أبى بكر فى هذه المناسبه فلا ندرى: هل

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 168، و الإستيعاب هامش الإصابه ج 2 ص 399/ 400 و راجع: غزوه بدر، فقد أشرنا إلى هذه الروايه هناک أيضا.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 169، و سيره ابن هشام ج 2 ص 291.
3- تقدمت مصادر ذلک فى هذا الكتاب فى فصل هجره الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم حين الحديث حول شراء أبى بكر للموالى و نفقاته.

نصدق هذا؟! أم نصدق قولهم: إن أبا بكر سمع والده أبا قحافه يذكر النبى صلى الله عليه و آله وسلم بشرّ؛ فلطمه لطمه سقط منها، فنهاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يعود لمثلها.

فقال: و اللّه، لو حضرنى سيف لقتلته به فنزلت الآيه (1).

و هذا يعنى أن الآيه مكيه و ليست مدنيه قد نزلت فى أحد، لأن أبا قحافه قد بقى فى مكه إلى حين الفتح.

كما أن هذا ينافى ما قيل فى تفسير هذه الآيه، من أن المراد:

الدعوه إلى الحرب، أو إلى القرآن (2). و مقتضى ما ذكر فى قصته: أنه دعاه لترک الحرب، و ليبقى حيا و يمتعهم بنفسه.

3- قال ابن ظفر فى الينبوع: (لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزه، و إنما هو شى ء ذكر فى كتب التفسير) (3).

4- و لما ذكر الجاحظ فى عثمانيته هذه الحادثه متبجحا بها، أجابه الإسكافى بقوله: (ما كان أغناک يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبى بكر، فإنه لو تسمعه الإماميه لأضافته إلى ما عندها من المثالب، لأن قول النبى (صلى اللّه عليه و آله): (إرجع) دليل على أنه لا يحتمل مبارزه أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزه ابنه، و أنت تعلم حنو الإبن على الأب، و تبجيله له، و إشفاقه عليه، و كفه عنه، لم يحتمل مبارزه الغريب الأجنبى.

و قوله: (و متعنا بنفسک) إيذان بأنه كان يقتل لو خرج، و رسول اللّه كان أعرف به من الجاحظ. فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذى

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 169.
2- راجع الدر المنثور ج 3 ص 176 عن ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ، و ابن إسحاق.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 169.

صلی بالحرب، و مشی إلی السیف بالسیف، فقتل الساده و القاده، و الفرسان و الرجاله) (1).

5- و أخیرا .. فإن عائشه تقول: ما أنزل اللّه فینا شیئا من القرآن، غیر أن اللّه أنزل عذری (2). و حتی عذرها هذا لا یمکن أن یکون قد نزل فیها کما اثبتناه فی کتابنا حدیث الإفک.

فکیف تکون الآیه قد نزلت بهذه المناسبه؟!.

هزیمه المشرکین:

اشاره

و یقولون: إنه لما قتل أصحاب اللواء، و انتکست رایه المشرکین، صاروا کتائب متفرقه، و صار أصحاب الثغره یرمون المشرکین، و (اقتتل الناس قتالا شدیدا، و أمعن فی الناس حمزه، و علی، و أبو دجانه فی رجال من المسلمین، و أنزل اللّه نصره علی المسلمین، و کانت الهزیمه) (3).

و علی حد تعبیر الدیار بکری: (و قاتل علی فی رجال من المسلمین) (4).

و انهزموا، و اتبعهم المسلمون، یضعون السیف منهم حیث شاؤا، حتی أجهضوهم، و وقعوا ینتهبون العسکر، و یأخذون ما فیه من الغنائم.

و قد روی کثیر من الصحابه ممن شهد أحدا، قال کل واحد منهم:

1- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 294 و ص 281، و لیراجع آخر کتاب العثمانیه ص 340 و لیراجع ص 230.
2- صحیح البخاری ط سنه 1309 ج 3 ص 121، و تفسیر ابن کثیر ج 4 ص 159، و الدر المنثور ج 6 ص 41، و فتح القدیر ج 4 ص 21. و راجع: الغدیر ج 8 ص 247.
3- الکامل لإبن الأثیر ج 1 ص 153.
4- تاریخ الخمیس ج 1 ص 427.

و اللّه، إنى لأنظر إلى هند و صواحبها منهزمات، و ما دون أخذهن شى ء لمن أراده، و لكن لا مرد لقضاء اللّه (1).

و يذكرون هنا أيضا: أن سعد بن أبى وقاص قتل بطلا آخر، رماه بسهم، ثم أخذ يسلبه درعه، فنهض إليه نفر، فمنعوه سلبه، و كان أجود سلب لمشرک درع فضفاضه، و مغفر، و سيف جيد، يقول سعد: (و لكن حيل بينى و بينه).

و يذكرون كذلک: أن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، قد قتل أحد فرسان المشركين؛ فنذرت أم المقتول: أن تشرب فى قحف رأس عاصم الخمر، و جعلت لمن جاءها به مئه من الإبل؛ فلما قتل يوم الرجيع، و أرادوا أن يأخذوا لها رأسه حمته الدبر- أى جماعه النحل و الزنابير- و ثمه تفصيلات أخرى تقال هنا لا مجال لتتبعها.

و سنتكلم عن قضيه حمايه الزنابير لرأس عاصم فى الجزء التالى من هذا الكتاب إن شاء اللّه.

و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

ألف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد!

و مع أن الفرصه كانت متاحه لسبى نساء قريش فى أحد، و لكن لم يسب أحد منهن. بل نجد: أنه لم يسب لقريش أحد طيله حروبها مع المسلمين فى مده عشر سنين.

و هذا فى الحقيقه لطف إلهى، و نعمه عظيمه على الإسلام و على المسلمين، و ذلک:

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 229، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 239 عنه، و مجمع البيان ج 2 ص 513، و غير ذلک كثير.

أولا: لأن سبى نساء قريش لسوف يوقع بعض المسلمين من المهاجرين فى حرج نفسى و إجتماعى، ربما تكون له آثار سيئه على موقعه فى الإسلام و المسلمين. بل ربما يوجب ذلک حرجا لبعض المسلمين من الأنصار من أهل المدينه أنفسهم، لأن العلاقات النسبيه عن طريق التزويج كانت موجوده بين مكه و المدينه. حتى إن بعض قتلى اللواء فى أحد كانت أمهم أوسيه.

ثم إن ذلک سوف يؤثر على موقف كثير من المكيين من الإسلام، رفضا أو قبولا؛ فإن دخولهم على مجتمع قد عاملهم هذه المعامله القاسيه، فى أكثر القضايا حساسيه، عاطفيا، و اجتماعيا، (بل ربما توجب لهم- على حد فهمهم و زعمهم- عار الدهر) سوف يكون صعبا جدا، و لا سيما إذا كان لا بد و أن يطلب منهم: التعامل مع هذا المجتمع بروح الصفاء، و المحبه و الأخوه. و أنّى يمكنهم ذلک بعد الذى كان.

ثانيا: إنه إذا كان لم يسب لقريش أحد، و لم تستطع أن تنسى ثارات بدر، و أحد، و سائر المعارک. حتى إن حرب صفين- كما قالت أم الخير بنت الحريش- كانت لإحن بدريه، و أحقاد جاهليه، و ضغائن أحديه، و ثب بها معاويه حين الغفله؛ ليدرک ثارات بنى عبد شمس (1).

بل إن مجزره كربلاء، و فاجعه قتل الإمام الحسين (عليه السلام) و أهل بيته و أصحابه، كانت لها دوافع بدريه، و إحن أحديه أيضا، فقد قال اللعين يزيد بن معاويه:

ليت أشياخى ببدر شهدواجزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا و استهلوا فرحاثم قالوا: يا يزيد لا تشل

1- العقد الفريد ط دار الكتاب ج 2 ص 115، و صبح الأعشى ج 1 ص 297، و بلاغات النساء ص 57، و فى الغدير ج 9 ص 371، و نهايه الأرب ج 7 ص 241.

قد قتلنا القرم من أشياخهم و عدلنا ميل بدر فاعتدل و لما وصل رأس الحسين (عليه السلام) إلى المدينه رمى مروان بالرأس نحو قبر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و قال: يا محمد يوم بيوم بدر (1) و قيل: إن الذى قال هذا هو الأشدق، كما فى مثالب أبى عبيده (2).

هذا كله عدا عن واقعه الحره، و سائر المواقف العدائيه لقريش تجاه أهل البيت، و أصحابهم، و شيعتهم. فلو أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان قد سبى أحدا من قريش؛ فما هى الحاله التى يمكن تصورها لزينب، و سبايا كربلاء؟! اللواتى تجرّعن الغصص، و واجهن أفظع المصائب و البلايا، على يد يزيد الغادر الأثيم، و أعوانه، أعوان الشيطان؟! و مع ذلک نجدهم يقولون: إنه إمام مجتهد، أو أنه كان مجتهدا متأولا مخطئا (3). مع أنهم يقولون بالتصويب فى الإجتهاد. و هل ليزيد حظ من العلم، فضلا عن نيل شرف الإجتهاد؟! فإنا للّه و إنا إليه راجعون!!

ب: مقارنه:

قال المعتزلى: (قلت: شتان بين على و سعد، هذا يجاحش على السلب، و يتأسف على فواته، و ذاک يقتل عمرو بن عبدود يوم الخندق، و هو فارس قريش، و صنديدها، و مبارزه؛ فيعرض عن سلبه؛ فيقال له:

كيف تركت سلبه، و هو أنفس سلب؟! فيقول: كرهت أن أبزّ السبّى ثيابه.

1- شرح النهج للمعتزلى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ج 4 ص 71، 72 عن الإسكافى.
2- راجع: الغدير ج 10 ص 264.
3- الفصل لإبن حزم ج 4 ص 89، و تاريخ ابن كثير 7/ 279 و 8/ 223 و ج 13 ص 9، و الغدير 9/ 93/ 394 عنهم. و العواصم من القواصم. و كذا قالوا فى ابن ملجم أيضا كما ذكره فى الغدير عنهم أيضا، فراجع الصفحات المشار إليها.

فکأن حبیبا [یعنی أبا تمام الطائی رحمه اللّه] عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهایوم الکریهه فی المسلوب لا السلب (1))

الهزیمه بعد النصر:

و یقولون: لما رأی أصحاب الثغره المشرکین قد انهزموا، و أن المسلمین یغنمون، اختلفوا، فبعضهم ترک الثغره للغنیمه.

و فی معالم التنزیل: إنهم قالوا: نخشی أن یقول رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

من أخذ شیئا فهو له، و لا یقسم الغنائم- کما لم یقسمها یوم بدر (2).

و قال بعضهم: و کانوا فوق العشره، أو دونها-: لا نخالف أمر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم .

و لما سأل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم التارکین لمراکزهم عن سبب ذلک، قالوا: ترکنا بقیه إخواننا و قوفا، فقال: بل ظننتم: أنا نغل؛ فلا نقسم لکم.

فأنزل اللّه تعالی: وَ ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَغُلَّ، وَ مَنْ یَغْلُلْ یَأْتِ بِما غَلَ- الآیه- و قال بعضهم: و أنزل اللّه: مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیا، وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الْآخِرَهَ.

فلما رأی خالد قله من علی الثغره، و خلاء الجبل، و اشتغال المسلمین بالغنیمه، و رأی ظهورهم خالیه، صاح فی خیله، فمر بهم، و تبعه عکرمه فی جماعه؛ فحملوا علی من بقی فی الثغره؛ فقتلوهم جمیعا، ثم حملوا علی المسلمین من خلفهم. و رأت قریش المنهزمه عوده

1- شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 237.
2- الظاهر: أن هذه جمله إعتراضیه، زادها الرواه تبرعا، و إلا فقد تقدم: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد قسم الغنائم فی بدر، بل لقد ادّعوا- و إن کان ذلک کذبا-: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد أسهم لمن لم یکن قد حضرها، فکیف بغیره. فراجع.

رجالها للحرب، و رفعت الحارثيه لواءهم الذى كان ملقى على الأرض؛ فعادوا إلى الحرب من جديد.

و إذا كان المسلمون قد تفرقوا، و انتقضت صفوفهم، و لم يعودوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، و فقدوا الإرتباط بقيادتهم الحكيمه، و هم فى طلب المغنم، فمن الطبيعى أن لا يتمكنوا من مقاومه هذه الحمله الضاريه، و أن يضيعوا بين أعدائهم، فكان همّ كل واحد منهم أن ينجو بنفسه فقد- أهّمتهم أنفسهم- على حد تعبير القرآن الكريم.

لا سيما و أن أحد المشركين قد قصد مصعب بن عمير و هو يذب عن رسول اللّه، فظن أنه الرسول فقتله، (فيقال: إن اللواء كان معه، فأخذه أبو الروم.

و يقال: بل أخذه ملک فى صوره مصعب. و الذى عليه المحققون:

أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم أعطاه عليا (ع)، و قد قدمنا أن الظاهر هو أن هذا اللواء خاص، و ليس هو لواء الجيش، الذى كان مع على (ع). و نادى قاتل مصعب- أو غيره-: أن محمدا قد قتل؛ فازداد المشركون جرأه، و هزم المسلمون الذين، لم يستطيعوا جمع شملهم، و لمّ شعثهم. و ثبت على (ع) وحده معه صلى الله عليه و آله وسلم ، يدافع عنه.

و خلص العدو إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كلمت شفته، و شج فى وجهه، و نشبت حلقتان من الدرع فى وجهه الشريف، و دثّ بالحجاره، حتى وقع لشقه. كذا يقولون.

و يقولون أيضا: إن أبا عبيده هو الذى انتزع حلقتى الدرع من وجهه الشريف فسقطت ثنيتاه، فكان أحسن الناس هتما. و قيل: بل انتزعهما أبو بكر، و قيل: طلحه، و قيل: عقبه بن وهب (1).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 235، و مغازى الواقدى ج 1 ص 247، و شرح النهج

و لا بد أن يكون انتزاعها بعد عوده المسلمين من هزيمتهم، كما سنرى. كما أن الذى كسر رباعيته صلى الله عليه و آله وسلم لم يولد له ولد، إلا وابتلى بالهتم، كما يقال.

تصحيح و توضيح:

و قد تصدّى الإمام الصادق (عليه السلام) لتصحيح بعض ما كان يشاع حول أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد ترک موضعه و تراجع حتى بلغ الغار الذى فى جبل أحد، فأوضح (عليه السلام) أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يتزحزح من موقفه و لم يتراجع قيد شعره.

كما أنه (عليه السلام) لم يكن قد نقص من خلقته شى ء، و لم تكسر رباعيته، فقد روى عن الإمام الصادق (ع): أنه قد ردّ ذلک، فقد قال له الصباح بن سيابه: (كسرت رباعيته كما يقول هؤلاء؟!

قال: لا و اللّه، ما قبضه اللّه إلا سليما، و لكنه شج فى وجهه.

قلت: فالغار فى أحد الذى يزعمون: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم صار إليه؟!

قال: و اللّه، ما برح مكانه. و قيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: (اللهم أهد قومى) إلخ (1).

و لعلهم أرادوا بذلک أن يثبتوا الهزيمه للنبى ليخف العار عن المنهزمين الذين يحبونهم.

الرسول يدعوهم فى اخراهم:

و حين هزم المسلمون، جعل الرسول صلى الله عليه و آله وسلم يدعوهم فى أخراهم:

1- البحار ج 20 ص 96، و إعلام الورى ص 83.

إلیّ عباد اللّه، إلی عباد اللّه، إلیّ یا فلان، إلیّ یا فلان، و هم یصعدون و لا یلوون، و لا یعرّج علیه أحد، و النبل یأتی إلیه من کل ناحیه.

و استمروا فی هزیمتهم حتی الجبل، و فیهم: أبو بکر، و عمر، و طلحه، و سعد بن أبی وقاص، و غیرهم. أما عثمان فقد استمر فی هزیمته ثلاثه أیام، و ستأتی نصوص ذلک کله بعد صفحات إن شاء اللّه تعالی.

علی (ع)، و کتائب المشرکین:

اشاره

و حین انهزم الناس غضب، (صلی اللّه علیه و آله و سلّم)، و نظر إلی جنبه، فإذا علی (علیه السلام)؛ فقال: ما لک لم تلحق ببنی أبیک؟! فقال (علیه السلام): یا رسول اللّه، أکفر بعد إیمان؟! إن لی بک أسوه (1).

و یقول النص التاریخی: کان الذی قتل أصحاب اللواء علی، قاله أبو رافع.

و صارت تحمل کتائب المشرکین علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فیقول: یا علی، اکفنی هذه؛ فیحمل علیهم، فیفرقهم، و یقتل فیهم.

حتی قصدته کتیبه من بنی کنانه، فیها بنو سفیان بن عویف الأربعه فقال له صلی الله علیه و آله وسلم : اکفنی هذه الکتیبه، فیحمل علیها، و إنها لتقارب خمسین فارسا، و هو (علیه السلام) راجل، فما زال یضربها بالسیف حتی تتفرق عنه ثم تجتمع علیه هکذا مرارا حتی قتل بنی سفیان بن عویف الأربعه و تمام العشره منها، ممن لا یعرف بأسمائهم فقال جبریل (علیه السلام):

یا محمد، إن هذه المواساه، لقد عجبت الملائکه من مواساه هذا الفتی!

1- البحار ج 20 ص 95 و 107 عن إعلام الوری، و روضه الکافی ص 110.

فقال صلى الله عليه و آله وسلم : و ما يمنعه، و هو منى و أنا منه؟!

فقال جبريل: و أنا منكما.

ثم سمع مناد من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلّا على فسئل صلى الله عليه و آله وسلم عنه؛ فقال: هذا جبريل (1).

قال المعتزلى: (... قلت: و قد روى هذا الخبر جماعه من المحدثين، و هو من الأخبار المشهوره، و وقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن إسحاق، و رأيت بعضها خاليا منها، و سألت شيخى

1- النص المتقدم فى أكثره للمعتزلى فى شرح النهج ج 14 ص 250/ 251 عن الزاهد اللغوى غلام ثعلب، و عن محمد بن حبيب فى أماليه، و راجع ج 13 ص 293، و راجع الروايه فى الأغانى ط ساسى ج 14 ص 18، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 197، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 154، و فرائد السمطين، الباب الخمسون ج 1 ص 257، و مجمع الزوائد ج 6 ص 114 و 122 عن البزار و عن الطبرانى، و كنز العمال ج 15 ص 126، و البدايه و النهايه ج 6 ص 5، و اللآلى المصنوعه ج 1 ص 365، و تفسير القمى ج 1 ص 116، و البحار ج 20 ص 54 و 95 و 105 و 107 و 102 عن القمى، و علل الشرايع ص 7 باب 7، و الإرشاد ص 46، و إعلام الورى و تفسير فرات ص 24/ 26، و روضه الكافى ص 110، و عيون أخبار الرضا ج 1، و حياه الصحابه ج 1 ص 559، و ربيع الأبرار ج 1 ص 833، و مناقب الخوارزمى ص 103، إلا أن فيه: أن ذلک كان فى بدر. و الغدير ج 2 ص 59- 61 عن العديد من المصادر، و سيره ابن هشام ج 2 ص 106، و تاريخ ابن عساكر ترجمه على (ع) بتحقيق المحمودى ج 1 ص 148/ 149/ 150، و فى هامشه عن الفضائل لأحمد بن حنبل، الحديث رقم 241، و المعجم الكبير للطبرانى ج 1 ص 318، و غايه المرام ص 457، و فضائل الخمسه من الصحاح السته ج 1 ص 343، و الرياض النضره المجلد الثانى ج 3 ص 131، و عن على بن سلطان فى مرقاته ج 5 ص 568 عن أحمد فى المناقب.

عبد الوهاب بن سكينه رحمه اللّه عن هذا الخبر، فقال: هذا الخبر صحيح إلخ) (1).

و بعد أن صدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تلك الكتائب لم يعد منهم أحد (2).

و أصيب أمير المؤمنين بجراح كثيره، قال أنس بن مالک: (أتى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بعلى (ع) يومئذ و فيه نيف و ستون جراحه، من طعنه، و ضربه، و رميه. فجعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يمسحها و هى تلتئم بإذن اللّه تعالى كأن لم تكن (3).

و قبل أن نتابع حديثنا نسجل ما يلى:

ألف: استشهاد حمزه رضوان اللّه عليه:

اشاره

و بعد قتل أصحاب الألويه، و اشتداد الحرب، قال وحشى: و اللّه، إنى لأنظر إلى حمزه يهدّ الناس هدّا، بسيف ما يبقى شيئا، مثل الجمل الأورق. فاختبأ وحشى خلف شجره، أو حجر، و رصد حمزه حتى مرّ عليه، بعد قتله سباع بن عرفطه بن عبد العزى، و قبله أبا نيار، فأتاه من ورائه (4) فدفع عليه حربته، فأصابت ثنته ... فأقبل حمزه نحوه، فغلب، فوقع؛ فلما مات جاءه وحشى، و أخذ حربته، و شغل المسلمون عن وحشى بهزيمتهم (5).

1- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 251.
2- الإرشاد للشيخ المفيد ص 53، و البحار ج 20 ص 88.
3- البحار ج 20 ص 23، و مجمع البيان ج 2 ص 509.
4- البدء و التاريخ ج 4 ص 201.
5- إرشاد المفيد ص 50، و البحار ج 20 ص 84.

و رجع وحشى إلى العسكر، و مكث فيه، و لم يكن له بغيره حاجه.

و أعطته هند ثوبها و حليها، و وعدته عشره دنانير بمكه.

نعم، عشره دنانير لقاتل أسد اللّه و أسد رسوله !!.

استطراد حول وحشى:

و لما عاد وحشى إلى مكه أعتق. و يقال: إنه ندم على ما فعل، لأنه لم يعتق (1). فلما كان فتح مكه هرب إلى الطائف؛ فقيل له: (ويحک، إنه و اللّه لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه) فذهب مع الوفد إلى المدينه.

و قبل أن يقع نظر النبى صلى الله عليه و آله وسلم عليه شهد شهاده الحق. فلما رآه النبى (يقال: إنه طلب منه: أن يحدثه كيف قتل حمزه، ففعل) و قال له صلى الله عليه و آله وسلم :

غيّب وجهک عنى، فكان يتنكبه حيث كان؛ لئلا يراه حتى قبضه اللّه (2).

قال ابن إسحاق: فبلغنى: أن وحشيا لم يزل يحدّ فى الخمر حتى خلع من الديوان. فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت: أن اللّه لم يكن ليدع قاتل حمزه. ثم مات غريقا فى الخمر (3).

و نعلق على ما تقدم بأمور:

الأول: قد يقال: إن كلمه عمر فى حق وحشى تشير إلى أن اللّه تعالى سوف يخذل قاتل حمزه، و لا يمدّه بالتوفيقات و العنايات و الألطاف؛ بل يطبع على قلبه بما عصى و اعتدى.

1- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 244، و الطبرى ج 2 ص 195.
2- راجع فى ذلک: تاريخ الخميس ج 1 ص 426، و السيره الحلبيه ج 2 ص 249، و حياه الصحابه ج 1 ص 572، و البدايه و النهايه ج 4 ص 18 عن ابن إسحاق. و قال فى آخره: و أخرجه البخارى، عن جعفر بن عمر.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 249، و تاريخ الخميس ج 1 ص 426، و إسعاف الراغبين، بهامش نور الأبصار ص 86.

و لكن الحقيقه هى خلاف هذا التوجيه، فإن عمر- على ما يظهر- كان يذهب إلى أبعد من ذلک، فهو يقول: إن اللّه سوف لا يدع قاتل حمزه، بل سوف يلاحقه فى كل مكان لينتقم منه بصوره مباشره، و سوف لا يدعه و شأنه، و لن يفسح له المجال لإصلاح نفسه، و لعمل الخير، و ملازمه التقوى.

إذن، فشرب وحشى للخمر هو نتيجه لهذا التصميم الإلهى على الإنتقام من هذا الرجل. و معنى ذلک هو أن شربه للخمر كان من فعل اللّه سبحانه، و وحشى كان مجبورا على ذلک.

نقول هذا لأن لدينا الكثير من الدلائل و الشواهد على أن عمر كان لا يزال يعتقد بالجبر الإلهى، و أن جهود النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم تفلح فى قلع هذه الرواسب من نفسه، و نفوس الكثيرين ممن كانوا قد عاشوا فى الجاهليه، و تربوا على مفاهيمها و أفكارها. و قد ذكرنا طائفه من النصوص و المصادر لهذا الموضوع فى كتابنا: (أهل البيت فى آيه التطهير، أواخر الفصل الخامس من القسم الأول).

و الذى نعتقده و هدانا إليه القرآن و الإسلام و العقل، هو أن اللّه تعالى لم يكن ليجبر عباده على شى ء، و إنما هم يعصون و يطيعون بمل ء إختيارهم. و لسنا هنا بصدد تحقيق ذلک.

الثانى: إن وحشيا قد أسلم؛ لأن من عاده النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن لا يقتل أصحابه، كما أنه لما طلب عمر من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يقتل ابن أبىّ المنافق، أجابه صلى الله عليه و آله وسلم : دعه، لا يتحدث الناس: أن محمدا يقتل أصحابه (1).

1- المصنف ج 9 ص 469 عن ابن المدينى، و الحميدى عن ابن عيينه، و أخرجه مسلم. و صحيح البخارى ط سنه 1309 ج 3 ص 132، و مجمع الزوائد ج 6 ص 231.

و لما رجعوا من أحد إلى المدينه، و أرجف بهم المنافقون، و أظهروا الشماته، طلب عمر بن الخطاب من النبى (صلى اللّه عليه و آله): أن يأمره بقتلهم، فرفض صلى الله عليه و آله وسلم ذلک؛ لأنه مأمور أن لا يقتل من يتشهد الشهادتين (1).

و حين كان صلى الله عليه و آله وسلم يقسّم مالا، اعترض عليه أحدهم بأنه لا يعدل، فغضب صلى الله عليه و آله وسلم حتى احمرت وجنتاه، فقال: و يحک فمن يعدل إذا لم أعدل؟!

فقال أصحابه: ألا تضرب عنقه؟.

فقال: لا أريد أن يسمع المشركون أنى أقتل أصحابى (2).

و قد قال صلى الله عليه و آله وسلم ذلک أيضا حين أراد عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبىّ أن يقتل أباه فراجع (3).

نعم، و هذه هى الخطه الحكيمه و الصحيحه، لأن قتله لأصحابه، معناه:

1- أن لا يرغب أحد بعد فى الدخول فى الإسلام لأنه لا يرى فيه عصمه لنفسه، و لا يطمئن لمستقبله و وجوده. كما أن من دخل فيه يجد نفسه مضطرا للتخلى عنه، و اختيار طريق الردّه، فيما لو صدر منهم أى عمل سى ء أحيانا له مساس بالحاله العامه، أو بشخص النبى صلى الله عليه و آله وسلم دون ما يقع فى نطاق التعدى على حقوق الآخرين و حرماتهم.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 256 و لهذا نظائر أيضا لا مجال لتتبعها ستأتى فى أواخر هذا الجزء، أواخر فصل بعد ما هبت الرياح.
2- كنز العمال ج 11 ص 295 عن ابن جرير، و البدايه و النهايه ج 7 ص 297 و 298 عن أحمد، و مسلم، و النسائى.
3- الدر المنثور ج 6 ص 225 عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و سعيد بن منصور، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و البيهقى فى الدلائل.

2- أن يفسح المجال أمام أعداء الإسلام للقيام بحمله دعائيه ضده، و منع الناس من التعرف عليه و الإهتداء بهديه، حيث يطعن أعداؤه عليه بأنه صلى الله عليه و آله وسلم كسائر الملوک الذين يستفيدون من الناس حتى يحققوا أهدافهم، ثم يقتلون من ناصرهم على الظن و التهمه.

3- إن ذلک ربما يدفع ضعفاء النفوس، ممن أظهروا الإسلام إلى التخلى عنه، ابتعادا بأنفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم.

4- أضف إلى ما تقدم: أن ذلک منه صلى الله عليه و آله وسلم لربما يتخذ من قبل حكام الجور و الإنحراف ذريعه لقتل الأبرياء، و التخلص من خصومهم السياسيين، ثم يحتجون بأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قد فعل ذلک.

5- كما أنه لا يبقى مجال للتعصبات القبليه، التى ربما تؤدى إلى خروج قبيله بكاملها من الإسلام. و لعله لأجل ذلک نجد أبا سفيان لا يثأر لأبى أزيهر الدوسى، و كان فى جواره، و منع ولده من ذلک أيضا، و قال له:

(أتريد أن تفرق بين قريش؛ فيقوى علينا محمد؟ لعمرى ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم) (1).

6- هذا كله عدا عن أنه صلى الله عليه و آله وسلم لو فعل ذلک، لخسر أبناء المقتولين، و إخوانهم، و كثيرا من عشائرهم، و أصبحت علاقاتهم به لا تقوم على أساس الحب، بل على أساس الخوف من سلطانه، الأمر الذى سوف يدفع الكثيرين منهم للبحث عن منافذ للفرار، و التخلص من هيمنه رجل قتل أحباءهم بالأمس، و لربما تصل النوبه إليهم اليوم أو غدا.

الثالث: إن موقف الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) من وحشى، و قوله له: غيّب وجهک عنى، إن دل على شى ء؛ فإنما يدل على أن وحشيا لم يكن مسلما حقا؛ إذ لا يمكن أن يقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ذلک

1- نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 323.

لمسلم مؤمن؛ بسبب ما كان قد ارتكبه حين كفره، فإن الإسلام يجبّ ما قبله.

و عليه فإن التشهّد بالشهادتين، و إن حقن دم وحشي، إلا أنّه إنما أسلم حينما رأى البأس، بعد أن أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمه.

فإسلامه و إيمانه لا ينفعه؛ لأنه فى الحقيقه لم يكن مستندا إلى الإختيار، و لا إلى القناعه الوجدانيه و العقليه بهذا الدين. و أعتقد: أنه لو لا شبهه: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم إنما قتل مسلما، و ما سوف يوجب ذلک من تبلبل فى الأفكار، و من ضرر على الإسلام، لكان للنبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يقتله. و إن أعماله الشنيعه و القبيحه، و سيرته الخبيثه بعد ذلک لتدل دلاله واضحه على أنه لم يسلم، و إنما استسلم، تماما كما كان الحال بالنسبه لطلقاء مكه، أبى سفيان و أصحابه.

ب: هل يدعو النبى صلى الله عليه و آله وسلم على قومه؟!:

و قد رووا عن أنس: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم جعل يمسح الدم عن وجهه، و يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، و هو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل اللّه تعالى: لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْ ءٌ، أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ، أَوْ یُعَذِّبَهُمْ، فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ (1).

1- راجع: الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 227، و فتح البارى ج 8 ص 171 و ج 7 ص 281، و صحيح البخارى ج 3 ص 16، و تاريخ الخميس ج 1 ص 429 عن ابن إسحاق، و الترمذى، و النسائى، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 4، و مغازى الواقدى ج 1 ص 245، و مجمع البيان ج 2 ص 501، و البحار ج 20 ص 21، و السيره الحلبيه ج 2 ص 234، و الدر المنثور ج 2 ص 70/ 71 عن: ابن أبى شيبه، و أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن جرير، و النسائى، و ابن المنذر، و النحاس فى ناسخه، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و البيهقى فى الدلائل، و نصب الرايه ج 2 ص 129.

و قیل: إنه صلی الله علیه و آله وسلم جعل یلعن أبا سفیان، و صفوان بن أمیه، و سهیل بن عمرو، و الحرث بن هشام- و أضافت بعض الروایات: عمرو بن العاص- فنزلت الآیه، فتیب علیهم کلهم (1).

و قیل: إنه صلی الله علیه و آله وسلم همّ أن یدعو علیهم، فنهاه اللّه تعالی بهذه الآیه؛ لعلمه بأن فیهم من یؤمن، فکف عن الدعاء علیهم (2).

و نحن نشک فی صحه ما تقدم، و ذلک لما یلی:

1- تناقض الروایات المتقدمه.

2- إنهم یقولون: إن سبب نزول الآیه هو: أنه صلی الله علیه و آله وسلم کان یقنت فی صلاته بعد الرکوع، و یدعو علی مضر، و فی صلاه الفجر یدعو علی بعض الأحیاء العربیه، فنزل قوله تعالی: لَیْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْ ءٌ (3).

و سیأتی ذلک فی الجزء الآتی من هذا الکتاب فی فصل القنوت و الدعاء علی القبائل.

و فی نص آخر: إنه صلی الله علیه و آله وسلم کان یلعن فلانا و فلانا من المنافقین، الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 6 167 ب: هل یدعو النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی قومه؟!: ..... ص : 166

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 234، و الدر المنثور ج 2 ص 71 عن: أحمد، و البخاری، و الترمذی، و البیهقی فی الدلائل، و ابن جریر، و النسائی، و ابن أبی حاتم، و صحیح البخاری ج 3 ص 16، و راجع ج 4 ص 171 و 74 و ج 2 ص 73، و فتح الباری ج 8 ص 170، و نصب الرایه ج 2 ص 127 و 129، و نیل الأوطار ج 2 ص 398، و راجع: سنن البیهقی ج 2 ص 207 و 208، و الجامع الصحیح للترمذی ج 5 ص 227 و 228، و مسند أحمد ج 2 ص 93.
2- السیره الحلبیه ج 2 ص 234/ 241، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 429، و الدر المنثور ج 2 ص 71 عن ابن جریر.
3- الدر المنثور ج 2 ص 71 عن البخاری و مسلم، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و النحاس فی ناسخه، و البیهقی فی سننه، و مجمع

البيان ج 2 ص 501، و البحار ج 20 ص 21 عنه.

فأنزل اللّه سبحانه الآیه (1).

و فی أخری: أن الآیه قد نزلت، حینما أساء رجل من قریش الأدب مع النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، حیث کشف عن استه بحضرته، فدعا علیه صلی الله علیه و آله وسلم ثم أسلم، فحسن إسلامه (2).

3- إنهم یقولون: إنه صلی الله علیه و آله وسلم قد قال حین شج فی وجهه: اللهم اهد قومی فإنهم لا یعلمون (3).

4- و أخیرا لو کانت الآیه المبارکه المذکوره نازله (ردّا علی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، لم یبق ثمه مناسبه بینها و بین الآیه التی قبلها.

و لم یمکن تفسیر هذه الآیه تفسیرا معقولا و مقبولا، و خصوصا قوله تعالی: أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ، فإنه عطف علی الآیه قبلها، و الآیتان هما:

لِیَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا، أَوْ یَکْبِتَهُمْ، فَیَنْقَلِبُوا خائِبِینَ. لَیْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْ ءٌ، أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ، أَوْ یُعَذِّبَهُمْ، فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ. وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ، یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ، وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ (4).

1- الدر المنثور ج 2 ص 71 عن النحاس فی ناسخه، و عبد بن حمید و المحلی ج 4 ص 144، و سنن البیهقی ج 2 ص 98، و 207، و المنتقی ج 1 ص 503، و لیس فیه عباره: (ناسا من المنافقین) و راجع: سنن النسائی ج 2 ص 203، و صحیح البخاری ج 3 ص 74 و ج 4 ص 171، و الإحسان فی تقریب صحیح ابن حبان ج 5 ص 325/ 326، و مسند أحمد ج 2 ص 147 و 93، و عن شرح معانی الآثار ج 1 ص 242.
2- الدر المنثور ج 2 ص 71 عن ابن إسحاق، و النحاس فی ناسخه.
3- تاریخ الخمیس ج 1 ص 432 عن ابن عائذ، و السیره الحلبیه ج 2 ص 256، و مجمع البیان ج 2 ص 501، و البحار ج 20 ص 21 و 96 عنه، و عن إعلام الوری.
4- آل عمران: 127- 129.

و المعنى: أن نصر اللّه لكم ببدر، و إمداده لكم بالملائكه، و غير ذلک من أمور، إنما هو ليقطع اللّه منهم طرفا، و يقلّل عدتهم بالقتل و الأسر، أو ليخزيهم و يغيظهم، أو ليتوب عليهم، أو ليعذبهم.

فأما القطع و الكبت؛ فلأن الأمر إليه (أى إلى اللّه) لا لک يا محمد، لتمدح أو تذم، و قد ذكر هذا بنحو الجمله الإعتراضيه بين الأقسام المتقدمه. و أما التوبه و العذاب؛ فلأن اللّه هو المالک لكل شى ء؛ فيغفر لمن يشاء، و يعذب من يشاء (1).

فلا ربط للآيه إذن بالكلام المنسوب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم . و لو كان الكلام منفصلا عما قبله كما تقتضيه الروايات المتقدمه، لورد سؤال: إن قوله: (أو يتوب عليهم) معطوف على ماذا؟! (2).

هذا، و يجب أن لا ننسى أن ثمه يدا تحاول أن تثبت الإيمان للأربعه المتقدم ذكرهم، و هم: أبو سفيان، و صفوان بن أميه، و سهيل بن عمرو، و الحرث بن هشام- و لغيرهم من أعوانهم- ممن صارت السلطه فيما بعد إلى قومهم و أبنائهم. مع أنهم من الطلقاء و المنافقين المؤلفه قلوبهم، و مع أنه قد صدرت منهم أمور تدل على أنهم لم يسلموا، و إنما استسلموا كما سنذكره عن خصوص أبى سفيان فى أواخر غزوه أحد إن شاء اللّه تعالى.

استطراد هام:

و مما يلفت النظر هنا قولهم المتقدم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم جعل يلعن صفوان و أبا سفيان إلخ. فنزلت الآيه، فتيب عليهم كلهم.

1- راجع تفسير الميزان ج 4 ص 9.
2- سنعود إلى توضيح هذه الآيه فى الجزء الخامس من هذا الكتاب، فى فصل القنوت و الدعاء على القبائل.

و أعجب من ذلک: أن نجد ابن کثیر یدعی، بالنسبه لدعاء النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی معاویه بقوله: (لا أشبع اللّه بطنه، قال: فما شبع بعدها) (1): أن معاویه قد انتفع بهذا الحدیث دنیا و آخره: أما فی الدنیا فکان بعد ما یأکل الکثیر یقول: و اللّه ما أشبع و إنما إعیاء، و هذه نعمه و معده یرغب فیها کل الملوک. و أما فی الآخره، فقد أتبع مسلم هذا الحدیث بالحدیث الذی رواه البخاری، و غیرهما من غیر وجه، عن جماعه من الصحابه: أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قال: اللهم إنما أنا بشر (و فی روایه: اللهم إنما محمد بشر یغضب کما یغضب البشر) فأیما عبد سببته، أو جلدته، أو دعوت علیه، و لیس لذلک أهلا، فاجعل ذلک کفاره و قربه تقربه بها عندک یوم القیامه) (و فی نص: سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له زکاه و رحمه.

أو: فاجعل ذلک له قربه إلیک) (2). قال ابن کثیر: (فرکّب مسلم من الحدیث الأول و هذا الحدیث فضیله لمعاویه، و لم یورد له غیر ذلک) (3).

و ثمه نصوص منقوله عن مصادر کثیره حول شبع بطن معاویه لا مجال لإیرادها هنا. و قد علق علیها العلامه الأمینی بما هو مفید فلیراجع (4).

أما نحن فنکتفی هنا بالإشاره إلی الحدیث الآخر، فنسجل ما یلی:

1- صحیح مسلم ج 8 ص 27، و البدایه و النهایه ج 8 ص 119.
2- راجع هذه النصوص فی: صحیح مسلم ج 8 ص 27، و ج 2 ص 391 کتاب البر و الصله، و الغدیر ج 11 ص 89، و ج 8 ص 252 عنه، و مسند أحمد ج 5 ص 437 و 439، و ج 6 ص 45، و ج 2 ص 390 و 488 و 493. و 496، و ج 3 ص 33 و 391 و 400، و صحیح البخاری ج 4 ص 78، و دلائل الصدق ج 1 ص 416، و راجع: نسب قریش لمصعب ص 219، و أسد الغابه ج 5 ص 485، و المصنف ج 5 ص 214، و ج 11 ص 189، و ج 9 ص 469.
3- البدایه و النهایه ج 8 ص 119 و الغدیر عنه.
4- راجع: الغدیر ج 11 ص 89/ 90.

1- روی عنه صلی الله علیه و آله وسلم أنه قال: المؤمن لا یکون لعانا (1) و قال، و قد أبی الدعاء علی المشرکین: إنی لم أبعث لعانا، و إنما بعثت رحمه (2)، فلم یلعنهم و لا دعا علیهم. و قال صلی الله علیه و آله وسلم لما لعنت جاریه ناقتها: لا تصاحبنا ناقه علیها لعنه (3)، و روی عنه صلی الله علیه و آله وسلم ما هو قریب من ذلک حینما سمع رجلا لعن ناقته (4).

و قال سلمه بن الأکوع: کنا إذا رأینا الرجل یلعن أخاه، رأینا أن قد أتی بابا من الکبائر (5).

و جاء فی اللعنه أحادیث کثیره لا مجال لتتبعها (6).

2- و قد ذکر فی الروایه: السباب. مع أنه صلی الله علیه و آله وسلم قال: سباب المؤمن فسوق.

و قال صلی الله علیه و آله وسلم : المستّبان شیطانان یتهاتران و یتکاذبان. و غیر ذلک (7).

1- مستدرک الحاکم ج 1 ص 12 و 47، و الغدیر ج 11 ص 90 عنه. و بقیه المصادر ستأتی فی الجزء السادس فی فصل القنوت و الدعاء علی القبائل.
2- الغدیر ج 11 ص 91 و ج 8 ص 252، و صحیح مسلم ج 8 ص 24، و صحیح البخاری ج 4.
3- الغدیر ج 11 ص 92، و صحیح مسلم ج 8 ص 23، و راجع: الترغیب و الترهیب ج 3 ص 474، و مسند أحمد ج 6 ص 72 و 258 و 138 و ج 4 ص 429 و 420 و 423، و سنن الدارمی ج 2 ص 288، و سنن أبی داود ج 3 ص 26، و دلائل الصدق ج 1 ص 416 و 417.
4- الترغیب و الترهیب ج 3 ص 474، و الغدیر ج 11 ص 92.
5- الغدیر ج 11 ص 92، و الترغیب و الترهیب ج 3 ص 472.
6- راجع هذه الأحادیث فی الغدیر للعلامه الأمینی ج 11 ص 89- 93 و ج 8 ص 252 عن کثیر من المصادر، و دلائل الصدق ج 1 ص 416.
7- الغدیر ج 11 ص 91 و ج 8 ص 252 عن البخاری ج 1، و مسلم، و الترمذی،

3- و أما أن النبى بشر يرضى و يغضب، فإنه صلى الله عليه و آله وسلم هو نفسه قال لعبد اللّه بن عمرو: أكتب عنى فى الغضب و الرضا، فوالذى بعثنى بالحق نبيا، ما يخرج منه إلّا حق، و أشار إلى لسانه (1).

4- و كان صلى الله عليه و آله وسلم كما وصفه أمير المؤمنين لا يغضب للدنيا؛ فإذا أغضبه الحق، لم يعرفه أحد، و لم يقم لغضبه شى ء حتى ينتصر له (2).

5- و عنه صلى الله عليه و آله وسلم : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده (3).

6- و روى البخارى فى كتاب الأدب: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن سبّابا، و لا فحّاشا، و لا لعانا (4).

7- و قد قال تعالى: الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً.

و بعد هذا فإننا نعرف: أنه لا قيمه لقولهم: إن من خصائصه صلى الله عليه و آله وسلم

1- الغدير ج 11 ص 91 و ج 6 ص 308 و 309، و سنن الدارمى ج 1 ص 125، و إحياء العلوم ج 3 ص 171 عن أبى داود، و مستدرک الحاكم ج 1 ص 104/ 105، و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه)، و جامع بيان العلم ج 1 ص 85 و راجع: ج 2 ص 62 و 63، و ليراجع أيضا: سنن أبى داود ج 3 ص 318، و الزهد و الرقائق ص 315، و المصنف للصنعانى ج 7 ص 34 و 35 و ج 11 ص 237.
2- الغدير ج 11 ص 92 عن الترمذى فى الشمائل.
3- صحيح البخارى ج 1 ص 6.
4- صحيح البخارى ج 4 ص 37 و 38، و دلائل الصدق ج 1 ص 417 و 416، و صحيح مسلم ج 8 ص 24، و الغدير ج 11 ص 91 و ج 8 ص 252.

جواز لعن من شاء بغير سبب (1).

قال المظفر رحمه اللّه: (نعم ربما يلعن بعض المنافقين و فراعنه الأمه، الذين ينزون على منبره نزو القرده، لكشف حقائقهم؛ إذ يعلم بابتلاء الأمه بهم، كبنى أميه الشجره الملعونه فى القرآن.

لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذى صيروا فيه اللعنه زكاه، ليعمّوا على الناس أمرهم، و يجعلوا لعن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لهم لغوا، و دعاءه على معاويه بأن لا يشبع اللّه بطنه باطلا، فجزاهم اللّه تعالى عن نبيهم ما يحق بشأنهم) (2).

و لا تذهب نفسک عليهم حسرات:

و مما يلفت النظر هنا: أننا نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، مع ما نالته به قريش، كان يقول- و فى تلک اللحظات بالذات-: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

و ما ذلک إلا لأنه رجل هادف، و طبيب دوّار بطبّه، لا يكرههم، و لا يعاديهم، لأنهم عدو، و إنما هو يكره كفرهم، و انحرافهم، و أعمالهم الشاذه، التى تعود أولا و أخيرا بالدمار عليهم و على إخوانهم من بنى الإنسان. و لقد كان يذوب حسره و شفقه عليهم، حتى عاتبه اللّه تعالى بقوله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ (3).

نعم، إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يرأف على عدوّه، و تذهب نفسه حسرات

1- الغدير ج 11 ص 93 عن الخصائص الكبرى ج 2 ص 244، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 395.
2- دلائل الصدق ج 1 ص 417، و راجع الغدير ج 11 ص 89- 94.
3- فاطر: 8.

علیه، و یهتم و یبذل کل غال و نفیس فی سبیل إنقاذه. و لیس أشد علی الإنسان من أن یعیش قضیه شخص، و یعیش مشکلته، و یبذل کل ما فی وسعه من أجل إنقاذه، و إذا به یری ذلک الغیر یعادیه و یعلن الحرب علیه، و یعمل علی قتله، من أجل أن یحتفظ بذلک الإنحراف بالذات، و فی سبیل الإبقاء علی تلک المشاکل نفسها.

و من أجل ذلک احتاج الأنبیاء إلی أعظم مراتب الصبر، کما یظهر من الآیات القرآنیه.

و قد أشرنا من قبل إلی أنه فی حرب الجمل، حینما حارب علی (علیه السلام) البغاه، خرج صائح یحذر جیش عائشه من سیف الأشتر، و جندب بن زهیر (1).

و نری: أن هذا الصائح إنما فعل ذلک عن رأی علی (علیه السلام) و رضاه، لأنه یرید إعلاء کلمه اللّه تعالی بأقل قدر ممکن من الخسائر؛ لأنه یحب لهم الهدایه، و لا یرید أبدا لهم الضلاله و الغوایه. و کان (ع)- کأخیه- تذهب نفسه حسرات علیهم، کما یظهر من کلماته المرّه المعبره عن غصته و آلامه.

هذا، عدا عن أن ذلک من أسالیب الحرب النفسیه، التی تعجّل فی کسر شوکتهم، و تحطیم کبریائهم.

لم یثبت فی أحد غیر علی (ع):

و أما عن الذین ثبتوا یوم أحد، فنجد الروایات مختلفه جدا، و تذکر أرقاما متعدده من واحد إلی ثلاثین.

و الصحیح هو أن علیا وحده هو الذی ثبت یوم أحد، و فرّ الباقون.

و یدل علی ذلک:

1- لباب الآداب ص 187، و الإصابه ج 1 ص 248، و الجمل ص 194.

1- قال القوشجی، بعد أن ذکر قتل علی (علیه السلام) لأصحاب اللواء: (فحمل خالد بن الولید بأصحابه علی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فضربوه بالسیوف، و الرماح و الحجر، حتی غشی علیه، فانهزم الناس عنه سوی علی (ع)؛ فنظر النبی صلی الله علیه و آله وسلم بعد إفاقته، و قال: اکفنی هؤلاء، فهزمهم علی عنه، و کان أکثر المقتولین منه) (1).

2- و قد قالوا: (کان الفتح یوم أحد بصبر علی (رض)) (2).

و قد یقال: إن هذا النص لا یدل علی فرارهم، و إنما هو یدل علی عظیم جهاد علی (ع) و صبره ..

3- عن ابن عباس، قال: لعلی أربع خصال، هو أول عربی و عجمی صلی مع النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و هو الذی کان لواؤه معه فی کل زحف، و هو الذی صبر معه یوم المهراس (أی یوم أحد)، انهزم الناس کلهم غیره، و هو الذی غسله و أدخله قبره (3).

4- ما سنذکره- بعد الحدیث عن موقف علی- من أن من یذکرونهم: أنهم ثبتوا؛ لا ریب فی فرارهم، کما تدل علیه النصوص.

و قبل أن نشیر إلی هذه الناحیه لا بد من إلماحه موجزه إلی ما یمکن أن یقال حول ثبات علی (ع) فی هذا الموقف.

انه منی، و أنا منه:

إن قول النبی صلی الله علیه و آله وسلم عن علی (ع): إنه منی و أنا منه، لا بد أن نتدبر

1- شرح التجرید ص 486، و دلائل الصدق ج 2 ص 357 عنه.
2- نور الأبصار ص 87، و الإرشاد للمفید ص 51 و 52، و البحار ج 20 ص 69 و 86 و 87 و 113، و الإحتجاج ج 1 ص 199/ 200.
3- مستدرک الحاکم ج 3 ص 111، و مناقب الخوارزمی ص 21/ 22، و راجع: إرشاد المفید ص 48، و تیسیر المطالب ص 49.

معناه و مغزاه. و هو قريب من قوله صلى الله عليه و آله وسلم : حسين منى و أنا من حسين.

و لعل المراد: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو من شجره النبى، و سائر الناس من شجر شتى، هذه الشجره التى أصلها ثابت و فرعها فى السماء. و هو (عليه السلام) من طينه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، لحمه لحمه، و دمه دمه.

و هو من النبى صلى الله عليه و آله وسلم سلوكا، و عقيده، و مبدأ، و نضالا، و أدبا، و خلوصا، و صفاء، إلخ. كما أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم هو الذى صنع عليا، و علّمه، و ثقفه، و أدبه.

و من الجهه الأخرى، فإن النبى صلى الله عليه و آله وسلم أيضا من على، حيث إن الوجود الحقيقى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم إنما هو بوجود دينه، و مبدئه، و فكره، و عقيدته، و سلوكه، و مواقفه؛ فهذا النبى هو من على، و على هو الذى سوف يبعثه من جديد من خلال إحيائه لمبادئه، و فضائله، و آدابه، و علومه، و غير ذلک.

و هكذا كان؛ فلو لا على لم يبق الإسلام، و لا حفظ الدين. حتى إننا نجد أحدهم يصلى خلف على (عليه السلام) مره؛ فيقول: إنه ذكّره بصلاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (1). هذه الصلاه التى لم يبق منها إلا الأذان، و حتى الأذان فإنهم قد غيّروه (2).

و يلاحظ هنا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قدّم قوله: (إنه منى)، تماما كما قدم قوله: (حسين منى)، لأن صناعه النبى صلى الله عليه و آله وسلم لهم سابقه على إحيائهم لدينه. فثقافه، و فكر، و نفسيه، و دين، و خصائص، و آداب النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، لسوف يبعثها على و الحسين (عليهما السلام)؛ و هكذا العكس.

و من هنا صح للنبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يقول: أنا و أنت يا على أبوا هذه

1- و (2) راجع مصادر ذلک فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

الأمه (1).

كما أنه ليس من البعيد أن يكون جبريل قد كان يستفيد و يتعلم من النبى صلى الله عليه و آله وسلم و على (ع)؛ و لأجل ذلک قال: و أنا منكما. و قد ناشدهم أمير المؤمنين بهذه القضيه بالذات فى قضيه الشورى (2)، و ذلک يؤكد مغزاها العميق، و مدلولها الهام.

لا سيف الا ذو الفقار:

و إن مناداه جبرئيل ب (لا سيف إلا ذو الفقار إلخ)، لها مغزى عميق أيضا، فإنها تأتى تماما فى مقابل ما فعله الذين فرّوا و جلسوا يتآمرون- هل يرسلون ابن أبىّ لأبى سفيان ليتوسط لهم عنده؟ أم أن كونهم من قومهم، و بنى عمهم يجعلهم لا شى ء عليهم، أم يرجعون إلى دينهم الأول؟- كما سيأتى- فإن كل ذلک يدل على أن الذى كان سيفه خالصا للّه حقا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه لا سيف خالصا للّه، و فى سبيل اللّه، إلا سيفه ذو الفقار.

و هذا السيف هو الذى قال عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى رسالته إلى بعض عماله، يتهدده على تلاعبه بأموال الأمه، مشيرا إلى هذا: (و لأضربنک بسيفى الذى ما ضربت به أحدا إلا دخل النار) (3).

لأنه لا يقتل به إلا مستحقها، و لأجل هذا صار لهذا السيف شرف و مجد، و تفرّد بين سائر السيوف بأنه فى يد على الذى هو نفس النبى

1- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج 2 بحث: الحب فى التشريع الإسلامى و بحث آخر فى نفس الكتاب حول: الوحده الإسلاميه أسسها و منطلقاتها.
2- البحار ج 2 ص 69، عن الخصال ج 2 ص 121 و 124.
3- نهج البلاغه ج 3 ص 74 بشرح عبده الكتاب رقم 41.

صلى الله عليه و آله وسلم .

كما أن أمير المؤمنين (ع) هو الذى كان اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، أحب إليه من كل شى ء حتى من نفسه؛ و جراحه الكثيره جدا شاهد صدق على ذلک.

أما غير على (ع)، فقد كانت نفسه- بدرجات متفاوته طبعا- أحب إليه من اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله. و لأجل ذلک تخلى عن كل ذلک، حينما رأى نفسه تلک فى خطر. بل لقد همّ بعضهم بأن يتخلى حتى عن دينه، حيث قال: (إرجعوا إلى دينكم الأول)!

بل نجد البعض يرى: أن عشيرته الكافره أحب إليه من اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، و من دينه؛ فنراه يقول: (نلقى إليهم بأيدينا، فإنهم قومنا و بنو عمنا) (1).

و يلاحظ: أن أكثر ذلک الكلام قد كان من المهاجرين على وجه العموم!!.

كما أن أولئک كلهم لا فتوّه لهم، و لا رجوله عندهم. و على (ع) وحده هو الفتى، لأنه يملک نفسه، و لا تملكه نفسه، أما هم، فإن نفوسهم تملكهم؛ فتهلكهم.

و لعل مما يشير إلى ما ذكرنا: أننا نجد اللّه تعالى يؤكد فى الآيات النازله فى أحد على أنه قد كان ثمه اتجاه إلى امتحان أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وسلم هؤلاء، و تمحيصهم. ثم هو يبين لهم مدى ارتباطهم بنبيهم الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) و يبين لهم: أن أمر هذا النبى صلى الله عليه و آله وسلم لا يهمهم، بل هو إن مات أو قتل انقلبوا على أعقابهم. و نحن نكتفى هنا بذكر الآيات

1- راجع: السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش السيره الحلبيه) ج 2 ص 33، و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 227، و المغازى للواقدى ج 1 ص 280، و راجع: البحار ج 20 ص 27 و غير ذلک.

التاليه:

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَ تِلْکَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ، وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ، وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ، وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ. وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ؛ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ إلخ (1).

و خلاصه الأمر: إننا نجد هؤلاء يفرون هنا، و لا يثبت إلا على (عليه السلام)، و يتركون النبى صلى الله عليه و آله وسلم عرضه للشدائد و البلايا، و على (عليه السلام) وحده هو الذى يثبت، و يدفع عن هذا الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و يرد عنه، تماما كما كان (عليه السلام) فى بدر يحارب، ثم يرجع ليتفقد الرسول صلى الله عليه و آله وسلم كما تقدم.

و الدليل على أنهم قد اهمّتهم أنفسهم، و لم يهتموا بحفظ نفس الرسول: أننا نجدهم- بعد سنوات- لا يعنيهم موت الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، فى قليل و لا كثير، حتى لقد أخرج ابن سعد، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، قال: جاء على بن أبى طالب (رض) يوما متقنعا متحازنا، فقال له أبو بكر (رض): أراک متحازنا.

فقال على: إنه عنانى ما لم يعنک!!

قال أبو بكر: اسمعوا ما يقول، أنشدكم اللّه، أترون أحدا كان أحزن على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم منى (2)؟!

1- آل عمران: 140- 144.
2- حياه الصحابه ج 2 ص 84، و كنز العمال ج 7 ص 159 عن ابن سعد.

فإن عليا لم يكن يراهم محزونين على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و لا مهتمين بأمره، و لا حتى حين وفاته، بل لم يكن يعنيهم أمره أصلا، حتى اضطر أبو بكر إلى هذا الإستشهاد؛ لإنقاذ موقفه. و لا بد أن يكون قد استشهد من هم على رأيه، و على مثل موقفه، من المقربين إليه.

بل نجد النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه يلمح للصحابه: أن غيرهم يحبه أكثر منهم. فقد روى أنه قال: إن قوما يأتون من بعدى، يودّ أحدهم أن يفتدى رؤيتى بأهله و ماله (1).

بل إننا نجده صلى الله عليه و آله وسلم يفضل الذين يأتون بعده و لم يروه، على أصحابه، كما يظهر من عدد من الروايات (2).

القّارون فى أحد:

اشاره

و مما يدل على أنه لم يثبت غير على (ع): أن من تحاول بعض الروايات التأكيد على ثباتهم لا ريب فى فرارهم، فيلاحظ التعمّد و الإصرار على ثبات طلحه، و سعد بن أبى وقاص، و غيرهم.

و نكتفى هنا بذكر عباره الشيخ الطوسى رحمه اللّه، حيث قال: (ذكر البلخى: أن الذين بقوا مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم يوم أحد، فلم ينهزموا ثلاثه عشر رجلا، خمسه من المهاجرين: على (ع)، و أبو بكر، و طلحه، و عبد الرحمان بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و الباقون من الأنصار.

فعلى و طلحه لا خلاف فيهما، و الباقون فيهم خلاف) (3).

و فى نص آخر: (أفرد النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى تسعه، سبعه من الأنصار

1- مجمع الزوائد ج 10 ص 66 عن البزار، و حياه الصحابه ج 2 ص 417 عنه.

2- مجمع الزوائد ج 10 ص 66 و 67 عن أبى يعلى و البزار، و أحمد، و حياه الصحابه ج 2 ص 416 و 417.
3- التبيان ج 3 ص 25.

و رجلين من قريش). ثم ذكر أن السبعه من الأنصار قد قتلوا أيضا (1).

و رغم ذلک کله نقول: لا ينبغى الريب فى أن عليا (ع) وحده هو الذى ثبت و فرّ الباقون جميعا؛ حتى طلحه و غيره. و لبيان ذلک؛ نقول:

فرار سعد:

إن مما يدل على فرار سعد:

1- ما تقدم من أنه لم يثبت سوى على (عليه السلام).

2- عن السدى: لم يقف إلا طلحه، و سهل بن حنيف (2).

و لعل عدم ذكر على (عليه السلام) بسبب أن ثباته إجماعى، لم يرتب فيه أحد.

3- و عند الواقدى: أنه لم يثبت سوى ثمانيه، و عدّهم، و ليس فيهم سعد. أما الباقون ففرّوا و الرسول يدعوهم فى أخراهم (3).

4- و يعدّ الإسكافى، و ابن عباس، و غيرهم من ثبت يوم أحد، و ليس فيهم سعد (4).

5- و سلمه بن كهيل يقول: لم يثبت غير إثنين، على، و أبو دجانه (5).

1- تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 412 عن أحمد، و راجع ص 415 عن دلائل النبوه للبيهقى بنحو آخر.
2- تاريخ الطبرى ج 2 ص 201، و دلائل الصدق ج 3 ص 356 غنه.
3- مغازى الواقدى ج 1 و شرح النهج عنه، و دلائل الصدق ج 2 ص 356 عن الأول.
4- راجع شرح النهج ج 13 ص 293، و آخر العثمانيه ص 239.
5- المصدر المتقدم.

6- عن سعد، قال: لما جال الناس عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم تلک الجوله تنحيت، فقلت: أذود عن نفسى، فإما أن استشهد، و إما أن أنجو.

إلى أن قال: فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أين كنت اليوم يا سعد؟!

فقلت: حيث رأيت (1).

فرار طلحه:

و يدل على فراره:

1- جميع ما تقدم فى أنه لم يثبت سوى على (ع).

2- و يدل على ذلک أيضا قول سلمه بن كهيل المتقدم.

3- إنتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب، و طلحه بن عبيد اللّه، فى رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا بأيديهم، فقال:

ما يحبسكم؟

قالوا: قتل رسول اللّه.

فقال: فما تصنعون بالحياه بعده؟! قوموا، فموتوا على مثل ما مات عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . ثم استقبل القوم؛ فقاتل حتى قتل (2).

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 26، و دلائل الصدق ج 2 ص 356.
2- تاريخ الطرى ج 2 ص 199، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 156، و الثقات لإبن حبان ج 1 ص 228، و السيره النبويه لإبن كثير ج 3 ص 68، و تاريخ الخميس ج 1 ص 434 عن ابن إسحاق، و سيره ابن هشام ج 3 ص 88، و الدر المنثور ج 2 ص 81 عن ابن جرير، و قاموس الرجال ج 2 ص 125، و

دلائل الصدق ج 2 ص 356 عن الدر المنثور، و البدایه و النهایه ج 4 ص 34، و حیاه الصحابه ج 1 ص 531 عنه. و لکن قد اقتصر فی مغازی الواقدی ج 1 ص 280، و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 286 علی ذکر عمر فقط، و تفسیر القرآن العظیم ج 1 ص 314، و سیره ابن إسحاق ص 330، و الأغانی ج 14 ص 19.

و يروى السدى: أنه خاف هو و عثمان أن يدال عليهم اليهود و النصارى، فاستأذنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بالخروج إلى الشام ليأخذ أحدهما العهد لنفسه من اليهود، و يأخذه الآخر من النصارى، فرفض صلى الله عليه و آله وسلم طلبهما (1).

فرار أبى بكر:

و يدل على فراره:

1- جميع ما تقدم فى ثبات أمير المؤمنين (عليه السلام). و ما تقدم فى فرار سعد، ما عدا الحديث الأخير المختص بسعد.

2- عن عائشه: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاک كان يوم طلحه. ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد؛ فرأيت رجلا يقاتل مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فقلت: كن طلحه، حيث فاتنى ما فاتنى، يكون رجلا من قومى (2).

و حسب نص آخر، عن عائشه، عن أبيها: لما جال الناس عن

1- نهج الحق ص 306 و 307، و تفسير الخازن ج 1 ص 471، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 68 من دون تصريح بالإسم.
2- منحه المعبود فى تهذيب مسند الطيالسى ج 2 ص 99، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 155، و السيره النبويه لإبن كثير ج 3 ص 58، و تاريخ الخميس ج 1 ص 431، عن الصفوه، و ابن أبى حاتم، و البدايه و النهايه ج 4 ص 29 عن الطيالسى، و كنز العمال ج 10 ص 268 و 269 عن الطيالسى، و ابن سعد، و ابن السنى، و الشاشى، و البزار، و الدار قطنى فى الأفراد، و أبى نعيم فى معرفه الصحابه، و الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و ابن عساكر، و الضياء فى المختاره. و قد صرح فى مقدمه الكنز بصحه ما يعزوه لبعض هؤلاء، و حياه الصحابه ج 1 ص 272 عن ابن سعد و عن الكنز عمن تقدم بإضافه ابن حبان، و دلائل الصدق ج 2 ص 359 عن الكنز أيضا.

رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يوم أحد كنت أول من فاء إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فبصرت به من بعد، فإذا برجل قد اعتنقنى من خلفى مثل الطير، يريد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فإذا هو أبو عبيده. قال الحاكم: صحيح الإسناد (1).

و لكن ما أراده أبو بكر لم يصل إليه، فإن طلحه كان قد فرّ أيضا كما فرّ هو، و لكنه فاء إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قبله.

ثم إننا لا نستطيع أن نوافق أبا بكر على هذه الروح القبليه التى كانت تستبد به، و تهيمن على فكره و عقله و روحه، حتى فى هذه اللحظات الحرجه و الخطيره، حيث يتمنى أن يكون رجلا من قومه !!.

3- قال الأمير أسامه بن منقذ: لما دوّن عمر الدواوين، جاء طلحه بنفر من بنى تميم يستفرض لهم. و جاء أنصارى بغلام مصفر سقيم، فسأل عنه عمر؛ فأخبر أنه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له فى أربعه آلاف، و فرض لأصحاب طلحه فى ستمائه؛ فاعترض طلحه. فأجابه عمر:

(إنى رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، و أنا و أبو بكر قد تحدثنا: أن رسول اللّه قتل؛ فقال: يا أبا بكر، و يا عمر، ما لى أراكما جالسين؟! إن كان رسول اللّه قتل؛ فإن اللّه حى لا يموت إلخ) (2).

4- قال زيد بن وهب لإبن مسعود: و أين كان أبو بكر و عمر؟ قال:

كانا ممن تنحى (3).

5- قال المظفر رحمه اللّه ما معناه: إنه كيف يتصور ثبات أبى بكر فى ذلك اليوم الهائل، و حومه الحرب الطاحنه التى لم يسلم فيها حتى

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 27، و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحه، و دلائل الصدق ج 2 ص 359 عن المستدرک، و مجمع الزوائد ج 6 ص 112 عن البزار.
2- لباب الآداب ص 179، و ليراجع: حياه محمد لهيكل ص 265.
3- الإرشاد للشيخ المفيد ص 50، و البحار ج 20 ص 84 عنه.

النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فضلا عن علی (علیه السلام) کیف یتصور ثباته فی ظروف کهذه، و ما أصاب و ما أصیب، و کیف یسلم، و هو قد ثبت لیدفع عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم السیوف، و الرماح و الحجاره؟ و لا سیما مع ما یزعمه أولیاؤه من أنه قرین النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی طلب قریش له، حتی بذلوا فی قتله ما بذلوه فی قتل النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؟ ثم أتراهم ینعون إصبع طلحه، و لا ینعون جراحه أبی بکر (1)؟!.

6- روی مسلم: أن رسول اللّه قد أفرد فی أحد فی سبعه من الأنصار و رجلین من قریش (2).

قال الشیخ المظفر: (إن أحد الرجلین علی، و الآخر لیس أبا بکر؛ إذ لا روایه، و لا قائل فی ثباته، و فرار سعد أو طلحه) (3).

هذا و قد ذکر فی سحّ السحابه: أن الأنصار قد قتلوا جمیعا واحدا بعد واحد (4).

و لکن روایه أخری تقول: إنهم سبعه من الأنصار، و رجل من قریش، و ستأتی الروایه حین الحدیث عن عدم ثبات أحد من المهاجرین سوی علی (علیه السلام).

7- و یرد الإسکافی علی الجاحظ بقوله: (أما ثباته یوم أحد؛ فأکثر المؤرخین و أرباب السیر ینکرونه) (5).

1- راجع: دلائل الصدق للشیخ المظفر ج 2 ص 360.
2- صحیح مسلم ج 5 ص 178 فی أول غزوه أحد، و دلائل الصدق ج 2 ص 359، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 346 عن سح السحابه.
3- دلائل الصدق ج 2 ص 359.
4- تاریخ الخمیس ج 1 ص 436.
5- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 293، و لیراجع آخر العثمانیه ص 339.

8- لقد رووا بسند صحيح، عن ابن عباس؛ فى قوله: (و شاورهم فى الأمر): أبو بكر و عمر. (1)

قال الرازى: (و عندى فيه إشكال؛ لأن الذين أمر اللّه رسوله بمشاورتهم، هم الذين أمره بالعفو عنهم، و يستغفر لهم. و هم المنهزمون؛ فهب أن عمر كان من المنهزمين؛ فدخل تحت الآيه، إلا أن أبا بكر ما كان منهم؛ فكيف يدخل تحت هذه الآيه) (2).

و أجابه المظفر بقوله: (إن الإشكال موقوف على تقدير ثبات أبى بكر، و هو خلاف الحقيقه. هذا، و الآيه ظاهره فى الأمر بمشاورتهم للتأليف، كما يظهر من كثير من أخبارهم، و مثله الأمر بالعفو عنهم، و الإستغفار لهم) (3).

فرار عمر:

و يدل على فراره:

1- ما تقدم فى ثبات أمير المؤمنين فقط.

2- ما تقدم فى فرار طلحه، و ما جرى بينهم و بين أنس بن النضر.

3- ما تقدم فى فرار أبى بكر، فى حديث فرض عمر لإبن أنس بن النضر. و كذلک ما ذكره ابن مسعود. ثم ما قاله المظفر. ثم ما قاله مسلم، و علق عليه المظفر. ثم ما ذكره ابن عباس، و علق عليه الرازى، و أجابه

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 70، و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحه، و صححاه على شرط الشيخين، و الدر المنثور ج 2 ص 90 عن الحاكم، و البيهقى فى سننه، و ابن الكلبى، و التفسير الكبير للرازى ج 9 ص 67 عن الواحدى فى الوسيط عن عمرو بن دينار، و دلائل الصدق ج 2 ص 359 عمن تقدم.
2- تفسير الرازى ج 9 ص 67.
3- دلائل الصدق ج 2 ص 359.

المظفر.

4- ما تقدم فی فرار سعد.

5- عن کلیب قال: خطبنا عمر، فکان یقرأ علی المنبر آل عمران، و یقول: إنها أحدیه. ثم قال: تفرقنا عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم یوم أحد؛ فصعدت الجبل، فسمعت یهودیا یقول: قتل محمد. فقلت: لا أسمع أحدا یقول: قتل محمد، إلا ضربت عنقه.

فنظرت، فإذا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و الناس یتراجعون إلیه؛ فنزلت:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ (1).

و فی نص آخر: لما کان یوم أحد هزمناهم (2)، ففررت حتی صعدت الجبل، فلقد رأیتنی: أنزو کأننی أروی (3). و فی لفظ الواقدی:

إن عمر کان یحدث، فیقول: لما صاح الشیطان: قتل محمد، قلت:

أرقی الجبل کأننی أرویه (4).

و نحن هنا لا ندری من أین جاء ذلک الیهودی الملعون، الذی نقل عنه عمر قوله: قتل محمد!! مع أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد رفض مشارکه الیهود فی هذه الحرب، کما رفض ذلک فی غیرها.

کما أننا لا ندری کیف نفسر تهدید عمر لهذا الیهودی بالقتل، مع

1- الدر المنثور ج 2 ص 80، و دلائل الصدق ج 2 ص 358، و کنز العمال ج 2 ص 242 عن ابن المنذر، و حیاه الصحابه ج 3 ص 497 عن الکنز ج 1 ص 238، و فتح القدیر ج 1 ص 388.
2- لعل الصحیح: هزمنا ففررت. کما یقتضیه سیاق الکلام.
3- الدر المنثور ج 2 ص 88 عن ابن جریر، و کنز العمال ج 2 ص 242، و دلائل الصدق ج 2 ص 358، و حیاه الصحابه ج 3 ص 497، و کنز العمال ج 2 ص 242، و جامع البیان ج 4 ص 95، و التبیان ج 3 ص 25/ 26.

4- شرح النهج ج 15 ص 22.

أنه هو نفسه قد فر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أسلمه لأعدائه، فأين كان حماس عمر عنه فى الدفاع عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) ضد المشركين؟! و لم لم يقتل أحدا منهم؟ و لا حتى طيله السنوات العشر، فى عشرات الغزوات و السرايا التى اشترک فيها؟!

إن ذلک لعجيب حقا، و أى عجيب!!

6- قال المعتزلى: قال الواقدى: لما صاح إبليس: إن محمدا قد قتل، تفرق الناس. إلى أن قال: و ممن فر عمر و عثمان (1).

لكن يلاحظ أن إسم عمر قد حذف من المطبوع من مغازى الواقدى، و أثبته المعلق فى هامش الصفحه على أنه قد ورد فى بعض نسخ المغازى دون بعض (2).

فليراجع ذلک بدقه، فقد تعودنا منهم مثل هذا الشى ء الكثير!!

7- و بعد أن ذكر الواقدى إعتراض عمر على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى قضيه الحديبيه، قال عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم : (ثم أقبل على عمر، فقال: أنسيتم يوم أحد؛ إذ تصعدون و لا تلوون على أحد، و أنا أدعوكم فى أخراكم) (3)؟!.

8- ما سيأتى من عدم قتل خالد لعمر، حينما كان عمر منهزما.

9- و جاءته إمرأه أيام خلافته، تطلب بردا من برد كانت بين يديه، و جاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأه، و ردّ ابنته. فقيل له فى ذلک،

1- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 24، و دلائل الصدق ج 2 ص 358، و راجع: غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج 4 ص 113.
2- راجع: مغازى الواقدى ج 1 ص 277.
3- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 24، و دلائل الصدق ج 2 ص 358، و مغازى الواقدى ج 2 ص 609.

فقال: إن أب هذه ثبت يوم أحد، و أب هذه فر يوم أحد، و لم يثبت (1).

10- و قد اعترف عمر برعبه من على (عليه السلام)، حينما تبع الفارّين و هو يقول لهم: شاهت الوجوه، و قطّت، و بطّت، و لطّت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟ و يقول: بايعتم، ثم نكثتم؟ فو اللّه لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ .. (2).

و قد اعترف الجاحظ بفرار عمر فى عثمانيته أيضا فراجع (3).

11- و على كل حال، فإن فرار عمر من الزحف يوم أحد، و حنين، و خيبر، معروف، و يعدّه العلماء من جمله المطاعن عليه؛ لأن الفرار من الزحف من جمله الكبائر الموبقه، و لم يستطع المعتزلى أن يجيب على ذلک، بل اعترف به، و اكتفى بالقول:

(و أما الفرار من الزحف، فإنه لم يفر إلا متحيزا إلى فئه، و قد استثنى اللّه تعالى ذلک؛ فخرج به عن الإثم) (4).

و لكن قد فات المعتزلى: أن ما جرى يوم أحد، لا يمكن الإعتذار عنه بما ذكر، لعدم وجود فئه لهم إلا الرسول صلى الله عليه و آله وسلم نفسه،، و قد تركوه، و فرّوا عنه، و لأن اللّه تعالى قد ذمّهم على هذا الفرار، و علّله بأن الشيطان قد استزلّهم ببعض ما كسبوا، ثم عفا عنهم، و لو كان لا إثم فى هذا الفرار؛ فلا حاجه إلى هذا العفو. هذا، و قد حقق العلامه الطباطبائى: أن المراد بالعفو هنا معنى عام، يشمل العفو عن المنافقين أيضا، فراجع (5).

1- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 22.
2- البحار ج 20 ص 53، و تفسير القمى ج 1 ص 114/ 115.
3- العثمانيه ص 169.
4- شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 179/ 180.
5- راجع تفسير الميزان ج 4 ص 51.

و قد كان ثمه حاجه إلى التسامح فى هذا الفرار، لأنه الأول من نوعه، و يأتى فى وقت يواجه الإسلام فيه أعظم الأخطار داخليا و خارجيا، مع عدم وجود إمكانات كافيه لمواجهتها، و مواجهه آثار مؤاخذتهم بما اقترفوا.

و استمع أخيرا إلى ترقيع الرازى الذى يقول: (و من المنهزمين عمر، إلا أنه لم يكن فى أوائل المنهزمين و لم يبعد، بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبى صلى الله عليه و آله وسلم) (1).

بارک اللّه فى هذا الثبات، لكن لا فى ساحه المعركه، بل فوق الجبل (!!).

ثم إننا لا ندرى ما الفرق بين أن يكون المنهزم فى أول الناس أو فى وسطهم، أو فى آخرهم؟! و ما الفرق بين أن يبعد فى هزيمته و بين أن لا يبعد!!

فرار الزبير:

و بعد هذا فلا نرى حاجه لإثبات فرار الزبير فى أحد. بعد أن عرفنا أنه لم يثبت سوى أمير المؤمنين (عليه السلام). أو على و أبو دجانه، و غير ذلک من نصوص تقدمت مع مصادرها.

و إن كان ثمه محاولات لإظهار الزبير على أنه فارس الإسلام، و رجل الحرب الذى لا يبارى و لا يجارى، حتى إننا لنجد عمر بن الخطاب يعتبره يعدل ألف فارس. و عند مصعب الزبيرى!!: أنه أشجع الفرسان، و على أشجع الرجاله.

بل و يدّعون: أنه قد افتتح إفريقيه وحده (2).

1- التفسير الكبير ج 9 ص 51.
2- راجع لباب الآداب لأسامه بن منقذ ص 173- 175.

مع أن مما لا شک فيه: أن إفريقيه قد فتحت على عهد عثمان فى سنه سبع أو ثمان و عشرين على يد عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح (1)!!.

و نحن نعرف: أن الهدف هو إيجاد شخصيات بديله، أو فى قبال الإمام على (عليه السلام)، الذى هو أشجع البشر، بعد إبن عمه محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلّم). و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره، و يرد كيد الخائنين للحقيقه و التاريخ.

فرار عثمان:

و أما عثمان، فلا يختلف فى فراره فى أحد إثنان. و هو موضع إجماع المؤرخين، و كان يعيّر به. و قد رجع بعد ثلاثه أيام، فقال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم): لقد ذهبتم فيها عريضه (2)!!.

و عن ابن عباس و غيره: إن آيه: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

1- راجع: تاريخ الطبرى و فتوح البلدان.
2- راجع: تفسير المنارج 4 ص 191، و الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 244، و فتح القدير ج 1 ص 392، و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 414، و تفسير التبيان ج 3 ص 26، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 203، و الإرشاد للشيخ المفيد ص 50، و البحار ج 20 ص 84، و البدآيه و النهايه ج 4 ص 28، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 21 عن الواقدى لكن مغازى الواقدى المطبوع لم يصرح بالأسماء بل كنى عنها فى ج 1 ص 277 لكن فى الهامش قال: فى (نسخه عمر و عثمان)، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 158، و السيره الحلبيه ج 2 ص 227، و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 55، و الدر المنثور ج 2 ص 88 و 89 عن ابن جرير و ابن المنذر، و ابن إسحاق و راجع: سيره ابن إسحاق ص 332، و جامع البيان ج 4 ص 96، و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج 4 ص 113، و التفسير الكبير للرازى ج 9 ص 50 و 51، و أنساب الأشراف ج 1 ص 326. و راجع عن فراره يوم أحد و تخلفه يوم بدر: محاضرات الراغب ج 3 ص 184، و مسند أحمد ج 2 ص 101 و ج 1 ص 68، و الصراط المستقيم للبياضى ج 1 ص 91.

الْجَمْعانِ نزلت بعثمان (1).

بل فی بعض النصوص: أن طلحه أراد أن یتنصّر، و عثمان أراد أن یتهوّد (2).

لم یثبت من المهاجرین سوی علی (ع):

یقول حسان بن ثابت عن الأنصار؛ مشیرا إلی فرار المهاجرین:

سمّاهم اللّه أنصارا لنصرهم دین الهدی، و عوان الحرب یستعر

و جاهدوا فی سبیل اللّه و اعترفواللنائبات فما خافوا و لا ضجروا

و الناس إلب علینا ثم لیس لناإلا السیوف و أطراف القنا وزر

و لا یهرّ جناب الحرب مجلسناو نحن حین تلظّی نارها سعر

و کم رددنا ببدر دونما طلبواأهل النفاق و فینا أنزل الظفر

و نحن جندک یوم النعف من أحدإذ حزبت بطرا أشیاعها مضر

فما و نینا و ما خمنا، و ما خبروامنا عثارا وجل القوم قد عثروا (3) و أخیرا فقد تقدم: أن أبا بکر، و سعدا، و عمر، و عثمان، و طلحه و الزبیر کلهم من المهاجرین. و هنا نص یقول: إنه لم یثبت أحد من المهاجرین إلا رجل واحد، و سبعه من الأنصار قتلوا کلهم. و لا ریب فی أن هذا المهاجری هو علی (ع)؛ للإجماع.

و النص هو: أخرج الإمام أحمد، عن أنس: أن المشرکین لما رهقوا النبی صلی الله علیه و آله وسلم یوم أحد- و هو فی سبعه من الأنصار، و رجل من

1- الدر المنثور ج 2 ص 88، و فتح القدیر ج 1 ص 392، و راجع: جامع البیان ج 4 ص 96.
2- قاموس الرجال ج 5 ص 169.
3- دیوان حسان بن ثابت ص 57.

قریش- قال: من یردهم عنا، و هو رفیقی فی الجنه؟ فجاء رجل من الأنصار؛ فقاتل حتی قتل. فلما رهقوه أیضا قال: من یردهم عنا، و هو رفیقی فی الجنه؟ .. فأجابه أنصاری آخر، و هکذا، حتی قتل السبعه.

فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : ما أنصفنا أصحابنا (1).

سر الاختلاف فی من ثبت:

و بعد، فإننا یمکن أن نفهم: أن رجعه المسلمین إلی المعرکه بعد هزیمتهم لم تکن دفعه واحده، و إنما رجع الأول فرأی علیا. ثم یرجع آخر؛ فیری علیا و أبا دجانه مثلا، ثم یرجع آخر فیری خمسه، و هکذا؛ فکل منهم ینقل ما رآه. حتی وصل العدد لدی بعض الناقلین إلی ثلاثین.

کما أن ما یؤثر عن بعض الصحابه من مواقف نضالیه؛ لعله قد کان بعد عودتهم إلی ساحه القتال.

ثبات أبی دجانه:

و لعل ذکر أبی دجانه فی بعض الأخبار، مرجعه ذلک. و إلا، فإننا نجد ابن مسعود ینکر ثباته، فقد قال: انهزم الناس إلا علی وحده. و ثاب إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم نفر، و کان أولهم: عاصم بن ثابت، و أبو دجانه (2).

و لکن یعکّر؛ علی هذه الروایه: أنه قد جاء فی المطبوع من کتاب الإرشاد للمفید: أن أبا دجانه قد ثبت هو و سهل بن حنیف، کانا قائمین

1- البدایه و النهایه ج 4 ص 26، و حیاه الصحابه ج 1 ص 533، و تقدمت الروایه عن صحیح مسلم ج 5 ص 178 إلا أن فیه: رجلین من قریش. و کذا فی تاریخ الخمیس أیضا.
2- قاموس الرجال ج 5 ص 7. و لکن یبدو أن فی الإرشاد تحریفا، فراجع ص 50 منه، و قارنها مع ما نقله عنه فی البحار ج 20، و قاموس الرجال.

على رأسه، بيد كل واحد منهما سيف ليذب عنه (1). و ثاب إليه من أصحابه المنهزمين أربعه عشر رجلا (2).

و نحن لا نستبعد: أن يكون أبو دجانه قد ثبت، و لكن لا كثبات على (عليه السلام). و إنما حارب أولا بسيفه، ثم لما فرّ المسلمون صار يقى النبى صلى الله عليه و آله وسلم بنفسه، و يترّس عليه (3)، كما تقدم عن سلمه بن كهيل أيضا؛ حيث كان على (ع) يصد الكتائب، و يجندل الأبطال، حتى نزل فى حقه:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلا على أو أن أول عائد إليه صلى الله عليه و آله وسلم هو عاصم بن ثابت كما تقدم، فصار هو و سهل بن حنيف يذبان عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى أن كثر المسلمون. و بعد عوده المسلمين من فرارهم أعطاه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) السيف بحقه، و منعه عمر، و الزبير، و أبا بكر، عقابا لهم، و تقديرا و اهتماما فى عوده أبى دجانه إلى ساحه الحرب، و مجال الطعن و الضرب معززا و مكرما.

إلا أن يقال: إن أبا بكر و عمر لم يعودا إلى الحرب بعد فرارهما أصلا، فلا بد أن يكون عرض السيف على أبى دجانه و عليهم قد كان فى المواجهه الأولى.

نحن، و شعر حسان المتقدم:

و أمام تصريحات المؤرخين الكثيره جدا، و المقطوع بصحتها

1- و فى ربيع الأبرار ج 1 ص 833/ 834: أن عمارا كان بين يدى النبى صلى الله عليه و آله وسلم يذب عنه، و المقداد كان عن يمينه صلى الله عليه و آله وسلم .
2- البحار ج 20 ص 83، و الإرشاد للمفيد ص 50.
3- تفسير فرات ص 24/ 25، و البحار ج 20 ص 104/ 105.

و تواترها، لا يسعنا قبول قول حسان المتقدم، الذى يقول فيه: إن الأنصار قد ثبتوا، و ينسب الفرار إلى خصوص المهاجرين. إلا أن يكون مراده: أن المهاجرين أو أكثرهم لم يرجعوا إلى ساحه القتال، و استمروا فوق الجبل، و الذين ثابوا إلى الحرب هم خصوص الأنصار. و لعل كره العدو عليهم؛ قد ضعضعتهم، فانهزموا، ثم لما علموا بحياه الرسول كروا على عدوهم من دون أن يصعدوا الجبل، و لعل هذا هو الأقرب و الأظهر.

تأويلات سقيمه للفرار:

و يقول البعض هنا ما ملخصه: إن فرقه استمروا فى الهزيمه حتى المدينه، فما رجعوا حتى انقضى القتال. و فرقه صاروا حيارى حينما سمعوا بقتل النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فصار همّ الواحد منهم: أن يذب عن نفسه، و يستمر فى القتال إلى أن يقتل. و فرقه بقيت مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم تراجعت إليهم الفرقه الثانيه شيئا فشيئا لما عرفوا أنه حى. و ما ورد فى الإختلاف فى العدد، فمحمول على تعدد المواطن فى القصه؛ فقولهم: (فروا) أى بعضهم، أو أطلق ذلک باعتبار تفرقهم (1).

و نحن لا نريد أن نطيل فى الرد على ذلک؛ فإن ما تقدم مما دل على أنه لم يثبت إلا فلان، أو فلان و فلان، و أن هذا قد فرّ، و ذاک كذلک، و هكذا، يدفعه. و إلا لكان الفرار منحصرا فى الثلاثه، بعثمان و صاحبيه.

كما أنه لو صحّ ما ذكره فلا يبقى لعتاب اللّه لهم جميعا بقوله: إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْراكُمْ، معنى و لا فائده.

لماذا كانت الهزيمه:

1- إن من الواضح: أن السبب الأول لما لحق بالنبى صلى الله عليه و آله وسلم

1- راجع: وفاء الوفاء ج 1 ص 292، و تاريخ الخميس ج 1 ص 430.

و للهزيمه التى لحقت بالمسلمين، و ما جرى عليهم من النكبات، و القتل الذريع، حتى لقد قتل منهم سبعون، و جرح أعداد هائله- أيضا- هو:

أنهم عصوا، و تنازعوا، ففشلوا. قال تعالى: وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ؛ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ (1) بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ، وَ تَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ، وَ عَصَيْتُمْ، مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا، وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَهَ (2).

و تصريح القرآن بأنهم قد عصوا، و تنازعوا من بعد ما كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى، يكذّب ما يدعيه البعض: من أنهم قد تخيلوا انتهاء أمد أمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و إن هذا إجتهاد منهم (3). فإنه لو كان اجتهادا لما كان معصيه، مع أن القرآن يصرح بالمعصيه.

و القول بأن المراد بالمعصيه: المخالفه مطلقا، و لو عن اجتهاد؛ خلاف ظاهر كلمه: (عصيتم).

فالنصر كان معهم، و حليفهم حتى تنازع الرماه، لأن بعضهم كان يريد الدنيا، و بعضهم يريد الآخره.

أضف إلى ذلك: أن أمر الرسول كان صريحا لهم فى أن لا يتركوا مراكزهم، حتى يرسل إليهم، حتى و لو رأوهم مهزومين، أو حتى لو رأوهم يغنمون، و لذا قال رفقاؤهم: لا نخالف أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إنهم تخيلوا انتهاء أمد أمره صلى الله عليه و آله وسلم ؟!.

و هكذا، فقد كانت معصيه بعض الرماه، و تنازعهم سببا فى كل ما نال المسلمين من كوارث و نكبات آنئذ، قد أشرنا و لسوف نشير إن شاء اللّه

1- الحس: القتل على وجه الإستيصال.
2- آل عمران: 152.
3- البوطى فى: فقه السيره ص 261.

إلى شطر منها.

2- و أيضا، فقد كان لاغترارهم بأنفسهم، و بكثرتهم، أثر كبير فى حلول الهزيمه بهم، فقد قالوا للنبى صلى الله عليه و آله وسلم : قد كنت فى بدر فى ثلاثمئه رجل؛ فأظفرک اللّه بهم، و نحن اليوم بشر كثير، نتمنى هذا اليوم، و ندعو اللّه له، و قد ساقه اللّه إلى ساحتنا هذه (1). و قد أشار اللّه تعالى فى سوره آل عمران إلى هذا التمنى للموت. فراجع الآيات (2).

و واضح: أن الإغترار بالكثره يفقد العناصر المشاركه شعور الإعتماد على النفس، و يجعلهم يعيشون روح التواكل، و اللامسؤوليه.

3- ثم إن اللّه تعالى ما زال يؤيد المسلمين بنصره، حتى عصوا الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، طمعا فى الدنيا، و إيثارا لها على الآخره. فكان لا بد فى هذه الحاله من إعاده التمحيص لهم، و ابتلائهم؛ ليرجعوا إلى اللّه تعالى، و ليميز اللّه المؤمن من المنافق؛ و ليزداد الذين آمنوا إيمانا؛ لأن الإنسان ربما يغفل عن حقيقه العنايات الإلهيه، و الإمدادات الغيبيه، حين يرى الإنتصارات تتوالى، فينسب ذلک إلى قدرته الشخصيه. و لأجل ذلک نجد: أنهم حين غلبوا شكّوا فى هذا الأمر، و قالوا: (هل لنا من الأمر شى ء)؟ فجاءهم الجواب القاطع: قُلْ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ. نعم، لا بد إذن من إعادتهم إلى اللّه تعالى، و تعريفهم بحقيقه إمكاناتهم، و قدراتهم. و لسوف نعود عن قريب لبحث هذه النقطه إن شاء اللّه تعالى.

و من جهه ثانيه، فقد تقدم فى غزوه بدر كلام هام للعلامه الطباطبائى، و فيه مقارنه بين بدر، و أحد و غيرها. و بيان لسر الإنتصار أولا، ثم ما ظهر من إمارات الضعف أخيرا، فليراجع.

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 211، و سيره المصطفى ص 396.
2- آل عمران الآيات: 143 و 152 و 153.

4- و إن الإنضباطيه- خصوصا حين يكون القائد حكيما، فكيف إذا كان نبيا- هى أساس النجاح. و لربما تكون مخالفه أفراد معدودين، سببا فى دمار جيش بكامله، كما كان الحال فى قضيه أحد.

5- كما أن عنايه اللّه تعالى بهم، و تسديده لهم، لا يعنى الغاء جميع الأسباب الطبيعيه كليه، كما لا يعنى أن هذه العنايه، و ذلک الإمداد مطلق غير مشروط؛ بل هو مشروط قطعا بالسعى من قبلهم نحو الهدف الأسمى، و البذل و التضحيات التى تؤهلهم لأن يكونوا موضعا لعنايات اللّه و ألطافه، إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ، وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ.

أو على الأقل لا بد لا ستمرار هذه العنايه الإلهيه من حفظ الحد الأدنى من الإرتباط بالقياده، و تنفيذ أوامرها. و إلا لم يكن لهذه المواقف و الحرب أثرها النفسى، و الإجتماعى، و التربوى المطلوب.

6- قد ظهر مما تقدم: أن الذين تركوا مراكزهم قد ظنوا- أو ظن بعضهم-: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم سيغلّ، أى يخونهم، فلا يقسم لهم. و هذا يدل على أن من بين هؤلاء من لم يكن على درجه حسنه من المعرفه و الوعى، و لربما الإيمان أيضا. و لو كان كذلک، فلا أقل من أن أخلاقياته و روحياته، بما فى ذلک الإعراض عن الدنيا و الإيثار، لم تكن بالمستوى المطلوب، إن لم نقل: إنه منافق يظهر الإيمان لأجل مصالح يراها، و يبطن الكفر.

و لعل الآيه تشير إلى ظنهم السى ء هذا، و تقرعهم عليه بأنه: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ (1).

1- آل عمران: 161.

الفصل الثالث: فی موقع الحسم

اشاره

الرعب القاتل:

قد تقدم معنا: أن عمر بن الخطاب قد كان و هو فارّ مرعوبا من أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذى تبع الفارّين، و هو يقول لهم: شاهت الوجوه، و قطت، و لطّت، و بطت. إلى أين تفرّون؟ إلى النار؟ و يقول:

بايعتم، ثم نكثتم؛ فو اللّه لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ.

و لكنهم قد استمروا فى هزيمتهم لا يلوون على شى ء، و الرسول يدعوهم فى أخراهم. حتى بلغوا الجبل، و بلغوا صخره فيه.

و فشا فى الناس: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) قد قتل؛ فقال بعض المسلمين، من أصحاب الصخره فى الجبل: ليت لنا رسولا إلى عبد اللّه بن أبىّ؛ فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان قبل أن يقتلونا. و قال أناس من المنافقين: لو كان نبيّا ما قتل، إرجعوا إلى دينكم الأول. و فى النهر: أن فرقه قالوا: نلقى إليهم بأيدينا، فإنهم قومنا، و بنو عمنا (1).

و هذه الكلمه، تدل دلاله واضحه على أن هذه الفرقه كانت من المهاجرين، لا من الأنصار.

فجاءهم أنس بن النضر، فقال لهم: إن كان محمد قد قتل؛ فما تصنعون بالحياه بعده؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه، و موتوا على ما مات

1- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 227، و راجع: البحار ج 20 ص 27، و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج 4 ص 96.

علیه. ثم قال: اللهم إنی اعتذر إلیک مما یقول هؤلاء، یعنی المسلمین.

و أبرأ إلیک مما جاء به هؤلاء، یعنی المنافقین. ثم قاتل حتی قتل. و قد تقدمت بعض مصادر هذه القضیه حین الکلام عن فرار طلحه.

و قیل: إن حمزه هو الذی قال: اللهم إنی أبرأ إلیک مما جاء به هؤلاء النفر، أبو سفیان و أصحابه. و أعتذر إلیک مما صنع هؤلاء بانهزامهم (1).

و هذا یعنی: أن حمزه قد قتل بعد فرار الصحابه عن الرسول صلی الله علیه و آله وسلم .

و قد تقدم: أنه قد قتل بعد أصحاب اللواء؛ فلا مانع من أن یکون الناس قد انهزموا، فقتله وحشی، و هو عائد من بعض حملاته. ثم صار علی (ع) یدفع کتائب المشرکین عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم کما تقدم.

عوده المسلمین الی القتال:

ثم إن کعب بن مالک کان أول من عرف النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، رأی عینیه تزهران من تحت المغفر، فصاح: یا معشر المسلمین، أبشروا؛ فهذا رسول اللّه.

فأمره النبی بالسکوت؛ لحراجه الموقف و خطورته.

ثم صار المسلمون یفیئون إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم زرافات و وحدانا، و جعل صلی الله علیه و آله وسلم یذرهم و یحضهم علی القتال؛ فقاتلوا علی قلتهم خیر قتال.

و لکن الذین کانوا علی الجبل فوق الصخره لم یعودوا- أو أکثرهم- إلی القتال، و لا ترکوا مرکزهم.

و قبل أن نستمر فی الحدیث عن المعرکه الحاسمه، لا بأس بالإلماح إلی بعض المواقف البطولیه التی سجلها بعض المسلمین، مع

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 246.

محاوله التركيز على بعض الجوانب الإيجابيه فيها، ثم نشير إلى بعض المختلقات فى هذا المجال، و لا سيما حول طلحه، و سعد بن أبى و قاص، فنقول:

مواقف و بطولات:

1- مع أنس بن النضر، و ابن السكن و أصحابه:

إن موقف أنس بن النضر ليدل على فهمه العميق للإسلام، و إدراكه أن الإسلام لا يرتبط بالشخص و الفرد، حتى و لا بالنبى نفسه، الذى جاء به من عند اللّه من حيث هو شخص و فرد (1). تماما على عكس الرؤيه التى كانت لدى الذين فرّوا، حتى انتهوا إلى الصخره. فالحق- عند أنس هذا- لا يعرف بالرجال، و إنما تعرف الرجال بالحق.

قال أمير المؤمنين: (إنک لم تعرف الحق، فتعرف من أتاه، و لم تعرف الباطل، فتعرف من أتاه) (2).

و هذه النظره على درجه من البعد و العمق، فإنه إذا تجسد الدين بالشخص، فإن القضاء على ذلک الشخص يكون كافيا فى القضاء على ذلک الدين. و هذه هى إحدى السياسات التى ينتهجها أعداء اللّه و الإنسان فى حربهم للّه و رسوله، على مدى الأجيال.

هذا، و لا يقل موقف ابن السكن و الرجال الخمسه الأنصاريين عن موقف أنس؛ فإنه لما تفرق القوم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و هاجمه المشركون، قال صلى الله عليه و آله وسلم : من رجل يشرى نفسه ابتغاء مرضاه اللّه؟ فقام زياد بن السكن- أو ولده عماره- فى خمسه من الأنصار، فقاتلوا حتى قتلوا،

1- و إن كان الإرتباط به من حيث هو رسول و قائد حرب، و معلم، أمر ضرورى و لا بد منه.
2- نهج البلاغه الحكمه رقم 262.

ثم جاءت فئه؛ ففرقوا القوم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

2- أبو دجانه:

و قد تقدم: أن أبا دجانه كان أول عائد مع عاصم بن ثابت، و قد ترّس على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و صار يقيه بنفسه من وقع السهام، و هو منحن عليه لا يتحرک، حتى كثر فى ظهره النبل، حتى استحق أن يعطيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم سيفا، و يمنعه غيره ممن فرّ، إهانه لهم، و تكريما له.

و ما ذلک إلا لأن الإسلام و نبى الإسلام، لا يضيعان عمل عامل، أيّا كان، و مهما كان. و لا يهتم هذا الدين، و هذا النبى صلى الله عليه و آله وسلم للدعاوى الفارغه التى يطلقها هذا أو ذاک، و إنما يهتمان بتقييم الإنسان على أساس ما يقدمه على صعيد الواقع، و نفس الأمر.

و أبو دجانه قد تعرض للإمتحان و نجح فيه. أما غيره؛ فقد أثبت الإمتحان عدم جدارته، أو استحقاقه لما يعدّ نفسه له ممن يتستر خلف دعاوى فارغه لا أكثر و لا أقل، حتى إذا جد الجد رأيته يتعجل الهزيمه، و يكون أبطأ من غيره فى العوده، أو لا يعود أصلا إلا بعد حسم الموقف.

فكان لا بد من إعطاء الضابطه للمسلمين جميعا، و إفهامهم: أن الإسلام واقعى بالدرجه الأولى، و إن مصب اهتماماته هو المضمون و المحتوى. و إنه يقيّم الإنسان على أساس أعماله، لا على أساس دعاواه و أقواله، و لا على أسس أخرى، ربما لا يكون له خيار فيها فى كثير من الأحيان.

فطلحه، و سعد، و أبو بكر، و عمر، و الزبير، و عثمان إلخ. و إن كانوا من المهاجرين الذين ربما يعطون أو يعطيهم الناس امتيازا لذلک؛ و إن كانوا قرشيين؛ و كان لهم بالنبى صلى الله عليه و آله وسلم صله من نوع ما بسبب أو نسب. إلا أن كل ذلک إذا لم يكن معه الإخلاص، و إذا لم يكن اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله أحب إليهم من كل شى ء حتى من أنفسهم، فإنه يبقى منحصرا

فی نطاقه الخاص، و لا ینبغی أن یتعداه إلی غیره، بحیث یخوّلهم الحصول علی امتیازات لا یستحقونها.

و أخیرا، فقد ذکر المؤرخون: أن سلمان الفارسی أیضا قد کان یقوم بنفس دور أبی دجانه فی حمایه الرسول صلی الله علیه و آله وسلم ، حیث جعل نفسه وقایه لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم من وراء ظهره، من سهام الکفار، و أذاهم، و یقول:

نفسی فداء لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم (1).

3- أم عماره: و مقام فلان !! و فلان !!

اشاره

و قاتلت أم عماره، نسیبه بنت کعب. و کان معها سقاء فیه ماء، فلما رأت قله من کان مع الرسول، قامت تذب عنه مع هؤلاء القله، و جرحها ابن قمیئه فی عاتقها، حینما اعترضته مع آخرین، ممن کان یذب عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم .

بل لقد روی غیر واحد: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم نظر فی أحد إلی رجل من المهاجرین یفرّ، قد ألقی ترسه خلف ظهره، فناداه: (یا صاحب الترس، ألق ترسک، و فر إلی النار)؛ فرمی بترسه.

فقال صلی الله علیه و آله وسلم : (لمقام نسیبه أفضل من مقام فلان، و فلان).

و أراد ولدها عماره الفرار، فردته، و أخذت سیفه؛ فقتلت به رجلا؛ فقال صلی الله علیه و آله وسلم : (بارک اللّه علیک یا نسیبه). و کانت تقی النبی صلی الله علیه و آله وسلم بیدیها، و صدرها، و ثدییها (2).

قال المعتزلی: (لیت الراوی لم یکنّ هذه الکنایه، و کان یذکرهما

1- تاریخ الخمیس ج 1 ص 436.

2- قاموس الرجال ج 11 ص 38 عن القمی، و راجع: شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 266 و 269، و مغازی الواقدی ج 1 ص 269 و 273، و تفسیر القمی ج 1 ص 116، و البحار ج 20 ص 134 و 54.

بإسمهما، حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهه. و من أمانه المحدث أن يذكر الحديث على وجهه، و لا يكتم منه شيئا؛ فما باله كتم إسم هذين الرجلين) (1)؟!.

و يرى المجلسى: أن المراد بهما هنا: أبو بكر و عمر، إذ لا تقيه فى غيرهما؛ لأن خلفاء سائر بنى أميه و غيرهم من الخلفاء، ما كانوا حاضرين فى هذا المشهد؛ ليكنّى بذكرهم تقيه من أولادهم و أتباعهم (2).

و هذا أيضا هو رأى محمد بن معد العلوى (3).

و نزيد نحن: أن عثمان لما كان قد فر بإجماع المؤرخين؛ فقد اضطروا إلى التصريح بإسمه، ثم حاولوا تبرير هذا الفرار بالتوبه عليه، و غفران ذنبه.

و مع ذلک، و مع أننا نجد رواياتٍ عديده تصرح بأن آيه: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ، إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا قد نزلت فى عثمان، و خارجه بن زيد، و رفاعه بن المعلى، أو فى عثمان، و سعد بن عثمان، و عقبه بن عثمان الأنصاريين (4).

فإننا نجد روايه ذكرها ابن إسحاق تقول: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فلان!! و سعد بن عثمان، و عقبه بن عثمان (5).

و روايه أخرى عن عكرمه تقول: نزلت فى رافع بن المعلى، و غيره

1- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 226، و البحار ج 2 ص 133 عنه.
2- البحار ج 20 ص 134.
3- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 23/ 24.
4- الدر المنثور ج 2 ص 88 و 89 عن مصادر كثيره.
5- الدر المنثور ج 2 ص 89 عن ابن جرير، و ابن المنذر.

من الأنصار، و أبى حذيفه بن عتبه، و رجل آخر (1).

كما أن الواقدى نفسه قد كنّى عن عثمان فى فراره ب (فلان) (2).

فترى أنهم يهتمون فى التكنيه حتى عن عثمان المجمع على فراره، دون غيره ممن تذكرهم الروايه. و بعد هذا، فكيف لا يكنّون عمّن هم أعظم من عثمان، و أجلّ عندهم.

و يذكر أخيرا: أن لفلان، و فلان!! فرارا آخر فى عرض الجبل، حينما جاءهم المشركون، و ندب الرسول المسلمين إلى قتالهم (3)، و قد ردهم اللّه عنهم من دون حاجه إلى ذلک، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

كما أن الظاهر: أن ابن عباس قد كنّى عنهما، حينما ذكر: أن الناس قد تركوا ثلاث آيات محكمات، و أبوا إلّا فلان بن فلان، و فلان بن فلان (4).

جهاد المرأه:

و فى إلماحه موجزه هنا نقول: إن من المعلوم: أنه ليس فى الإسلام على المرأه جهاد، إلا حينما يكون كيان الإسلام فى خطر أكيد. و لقد أدركت أم عماره مدى الخطر الذى يتهدد الإسلام، من خلال الخطر الذى يتعرض له النبى صلى الله عليه و آله وسلم (5). و لذلک فقد اندفعت للدفاع عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ،

1- الدر المنثور ج 2 ص 88 عن ابن جرير.
2- راجع: مغازى الواقدى ج 1 ص 277 مع هامشه.
3- نفس المصدر ص 295.
4- راجع: المصنف ج 1 ص 379/ 380. و ثمه تعبيرات أخرى عنهما بفلان و فلان. ذكرها فى البحار، و روضه الكافى، لا مجال لذكرها هنا.
5- إذ لم يكن كل المسلمين و لا جلّهم- كما أظهرته حرب أحد- فى مستوى و عى أمير المؤمنين (ع) و أنس بن النضر، و أبى دجانه و أمثالهم.

بنفسها و ولدها، و كل وجودها.

و ليت شعرى، كيف لم يدرک هذه الحقيقه كبار الصحابه من المهاجرين و الأنصار؟! و كيف سمحوا لأنفسهم بالفرار فى هذا الظرف الحرج و الخطر جدا على مستقبل الإسلام، الدين الحق؟!.

و قد كان المهاجرون يرون لأنفسهم، و يرى لهم الناس امتيازا على غيرهم، و أنهم فى موقع المعلم و المرشد. و هم الذين عاشوا مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و استفادوا من تعاليمه، و رأوا من معجزاته أكثر من غيرهم. و إذا كانت هذه الأنصاريه التى لا جهاد عليها، و التى لم تعاشر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و لم تر من معجزاته و كراماته ما رآه هؤلاء، قد وقفت هذا الموقف الرسالى الرائد دونهم. فمن الطبيعى أن يكون مقامها أفضل من مقام فلان و فلان من كبارهم. كما أن من الطبيعى أيضا: أن يفرّ ذلک المهاجرى إلى النار، و يكون جهادها طريقها إلى الجنه.

كما أننا سوف لا نصدّق بعد هذا ما يقال، من أن الفضل إنما هو بطول الصحبه للرسول، أو بغير ذلک من عناوين، بل سوف نصر على أن الفضل- كما قرره القرآن- إنما هو بالتقوى، و العمل الصالح، عن علم و وعى، و عن قناعه وجدانيه راسخه.

ملاحظه: و نشير أخيرا: إلى أن خروج أم عماره إلى أحد لعله كان إستثنائيا، و لضروره خاصه. و مما يوضح لنا ذلک: أننا نجد إمرأه من عذره إستأذنت الرسول فى أن تخرج فى جيش كذا و كذا، فلم يأذن لها صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فقالت: يا رسول اللّه، إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوى الجرحى و المرضى، أو أسقى المرضى.

قال: لو لا أن تكون سنّه، و يقال: فلانه خرجت، لأذنت لک، و لكن اجلسى (1).

1- حياه الصحابه ج 1 ص 618، و مجمع الزوائد ج 5 ص 323 و قال: رواه الطبرانى

و قد تكلمنا حول هذا الموضوع فى غير هذا الكتاب. فليراجع (1).

4- أم سليط:

و ممن شارک فى حرب أحد أيضا أم سليط، فإنها كانت تزفر القرب، أى تحملها على ظهرها، تسقى الناس منها (2).

5- حنظله الغسيل:

و استشهد فى أحد حنظله بن أبى عامر الفاسق، و كان قد دخل بزوجته جميله بنت عبد اللّه بن أبى ليله أحد، و خرج و هو جنب، حين سمع الهائعه؛ فأعجله ذلک عن الغسل. بل يقال: إنه كان قد غسل أحد شقيه، فسمع الهائعه؛ فترک غسله، و خرج. و يقال: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أخبرهم: أن صاحبهم (حنظله) لتغسله الملائكه. كما و يقال: إنه استأذن النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى أن يقتل أباه أبا عامر الفاسق، فلم يأذن له (3).

و نقول:

1- إن النبى كما منع حنظله الغسيل من قتل أبيه، كذلک هو قد منع ابن عبد اللّه بن أبى من قتل أبيه أيضا (4).

1- راجع: الآداب الطبيه فى الإسلام فصل التمريض و المستشفى.
2- راجع: التراتيب الإداريه ج 1 ص 103.
3- الإصابه ج 1 ص 361، و تاريخ الخميس ج 1 ص 427/ 428، و السيره الحلبيه ج 2 ص 240/ 241. و غير ذلک من المصادر الكثيره.
4- الإصابه ج 1 ص 361.

و نقول: إنه إذا كان هدف الإسلام هو الحفاظ على إنسانيه الإنسان، و تكامله فى مدارج الإنسانيه، فلا بد أن تكون مواقفه و وسائله منسجمه مع ذلک الهدف الأسمى؛ لأن الوسيله فى نظر الإسلام لا تنفصل عن الهدف، و إنما هى جزء منه.

إذن، فلا بد أن يتعامل مع كل أحد حتى مع أبيه، و ولده، و عشيرته، و ماله، و كل ما يحيط به، تعاملا إنسانيا صحيحا، و منسجما مع أهدافه تلک.

فإذا كانت علاقته بماله، أو بأبيه،، أو بولده سوف تفصله عن هدفه، أو تفرض عليه موقفا يتناقض معه، أو يعيق عن الوصول إليه، فلا بد من رفض تلک العلاقه و تدميرها؛ لأن الإبقاء عليها إنما يعنى تدمير الإنسانيه، و الخروج عنها إلى ما هو أحط من الحيوان. و هذا هو ما أشار إليه تعالى فى قوله عمن اتخذ إلهه هواه: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ، أَوْ يَعْقِلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (1).

إذن، فلا جامع و لا قدر مشترک بين الإنسان المسلم الذى يعتبر نفسه إنسانا، بكل ما لهذه الكلمه من معنى، و يتصرف على هذا الأساس؛ و بين غيره ممن رضى لنفسه أن يكون أضل من الأنعام، و يتصرف على هذا الأساس، و مجرد وجود علاقه نسبيه بينهما لا يبرر تخلى هذا عن إنسانيته فى سبيل إرضاء ذاک.

و أما إذا كانت مواقف ذلک الإنسان المنحرف و تصرفاته تساهم فى تدمير الإنسانيه أينما كانت، و حيثما وجدت، و القضاء على خصائصها و منجزاتها، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، أو حتى الأجيال القادمه.

فإن من الطبيعى أن نرى ذلک الولد الإنسان: يهتم بالقضاء على هذا الوالد، و يعمل فى هذا السبيل بصدق، و بجديه، و إلا فإنه سيتضح لنا: أن

1- لقمان: 44. راجع بحث العصمه فى فصل بحوث تسبق السيره بعد غزوه بدر.

إنسانيته لم تكتمل بعد، أو على الأقل: إن وعيه الإنسانى يحتاج إلى تعميق و تركيز. كما أن العاطفه التى تعتبر الوقود الذى يفجر طاقات الإنسان فى هذا السبيل، تحتاج إلى شحن و إثاره من جديد.

فلا عجب إذن، أن يستأذن بعض المسلمين فى قتل آبائهم المنحرفين، الذين يحاربون دين اللّه تعالى، و إنما العجب من أن لا يفعلوا ذلک؛ لأنهم حينئذ يكونون قد خالفوا مقتضى فطرتهم، و ما يحكم به عقلهم السليم. هذا الحكم الذى أيده و أكده الإسلام، دين الفطره؛ حين قال فى القرآن الكريم:

قُلْ: إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ، وَ إِخْوانُكُمْ، وَ أَزْواجُكُمْ، وَ عَشِيرَتُكُمْ، وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها، وَ تِجارَهٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها، وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهادٍ فِى سَبِيلِهِ؛ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (1).

2- و أما سر أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يأذن لهم بقتل آبائهم، فقد قدمنا بعض ما يفيد فى ذلک حين الكلام عن وحشى، قاتل حمزه، حيث أخبروه: أن محمدا لا يقتل أصحابه.

و نزيد هنا: أن نفس قتل الولد لوالده ليس أمرا طبيعيا، و لا ينسجم مع مشاعر و نفسيه الإنسان العادى، الذى لم يترب تربيه إلهيه، و لم ينصهر فى حب اللّه تعالى. نعم، إذا أخلص ذلک الإنسان للّه، و انقطعت كل علائقه الماديه الأرضيه؛ فإنه حينئذ يرى ذلک أمرا ضروريا، و ينساق إليه بعقله، و بفطرته، و بعاطفته أيضا. و قليل ما هم.

و لربما يثور الإنسان العادى عاطفيا، إذا رأى من قريبه و حبيبه موقفا سيئا، يتنافى مع الفطره و الدين و العقل، و لكن سرعان ما تشده العوامل

1- التوبه: 24 راجع كتاب: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج 2 بحث: الحب فى التشريع الإسلامى.

الأرضيه إليها، و يعود ليزن الأمور بالموازين الأرضيه الماديه من جديد.

و لذلک رأينا: المسلمين ينهزمون جميعا فى أحد، و فى مواطن أخرى باستثناء أمير المؤمنين (عليه السلام)، و يتركون نبيهم، الذى هو فى الحقيقه رمز وجودهم.

و هذا يدل على أن الروابط الأرضيه قد شدتهم إليها، و لم يتمكنوا من التخلص منها، و لا التغلب عليها. اللهم إلا من كان فى مستوى رفيع من التربيه الإلهيه؛ و وصل إلى حد: أن أصبح اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله، أحب إليه من كل شى ء، و ليس هو إلا أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما قلنا.

و لكى لا يعرّض النبى صلى الله عليه و آله وسلم و الإسلام الذى هو واقعى بالدرجه الأولى هذا الإنسان إلى تجربه قاسيه و مريره، ربما تكون أكبر منه، و قد يخفق فى الخروج منها بسلامه و معافاه، فقد أعفاه من هذه الأمور، لطفا به و رفقا. و اللّه هو اللطيف الخبير.

6- بين عبد اللّه بن جحش، و ابن أبى وقاص:

و قد دعا عبد اللّه بن جحش ربه: أن يقتل، و يجدع أنفه، و تقطع أذنه حتى إذا لقى اللّه، و سأله: فيم جدع أنفک و أذنک؟ فيقول: فيک، و فى رسولک؛ فأمّن له سعد بن أبى وقاص. و هكذا جرى له.

و دعا سعد بن أبى وقاص ربه: أن يقتل أحد المشركين، و يأخذ سلبه؛ فأمّن عبد اللّه على دعاء سعد.

فشتان ما بين سعد و عبد اللّه، فإن عبد اللّه قد جاء يطلب الموت، و جاء سعد يطلب ما يرى أنه يفيد فى استمرار تمتعه بمباهج الحياه، و زبارجها و بهارجها.

و نعود فنذكّر هنا بما قاله المعتزلى- و هو يتحدث عن على (عليه السلام)-: هذا يجاحش على السلب، و يأسف على فواته، و ذاک لا

يلتفت إلى سلب عمرو بن عبدود، و هو أنفس سلب، و يكره أن يبزّ السبىّ ثيابه، فكأن حبيبا عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهايوم الكريهه فى المسلوب لا السلب (1) و نزيد هنا: أن الذى يجاحش على السلب، و يدعو اللّه أن يقتل مشركا من أجل سلبه، و يأتى إلى الحرب بهذه النفسيه، لا يتورع- حين يفوته ذلک، و يواجه خطر الموت- من أن يفر من الحرب، و يترک الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لسيوف المشركين تنوشه من كل جانب و مكان؟!.

كما أن من تكون الدنيا عنده أهون من عفطه عنز، و لا تساوى الخلافه عنده شسع نعله، و يكون من الرسول و الرسول منه، و لا سيف إلا سيفه. كيف، و لماذا يفرّ يا ترى؟! فلا عجب إذن إذا رأينا هذا يثبت، و يتلقى السيوف بنحره و جسده، و ذاک يفر طلبا للسلامه، و لأجل الإحتفاظ بالحياه.

مواقف و بطولات سعد الموهومه:

و يذكرون لسعد بن أبى وقاص فى حرب أحد فضائل و كرامات، و مواقف و بطولات، نعتقد أن يد السياسه قد ساهمت فى صنعها، و نذكر على سبيل المثال:

إنهم يقولون: إنه بعد أن عاد المسلمون إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم دافع سعد عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و رمى بين يديه بالسهام، و أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان يناوله النبل، و يقول (2): إرم فداک أبى و أمى؛ فرمى دون رسول اللّه حتى

1- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 237 ملخصا.
2- راجع: المغازى للواقدى ج 1 ص 241، و السيره الحلبيه ج 2 ص 229، و تاريخ الخميس ج 1 ص 433.

اندثت سیه قوسه.

و فی المشکاه عن علی (ع): ما سمعت النبی صلی الله علیه و آله وسلم جمع أبویه لأحد إلا لسعد (1).

بل یروی البعض: أنه قال له ذلک ألف مره، لأنه رمی ألف سهم (2).

کما أن ابن عرقه رمی بسهم، فأصاب ذیل أم أیمن، فانکشف، فضحک. فأمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم سعدا بأن یرمی، و دعا له بأن یسدد اللّه رمیته، و یجیب اللّه دعوته؛ فرمی ابن عرقه فی ثغره نحره؛ فانقلب لظهره، و بدت عورته، فضحک صلی الله علیه و آله وسلم (3).

و لکننا نشک فیما ذکر آنفا، و ذلک بملاحظه النقاط التالیه:

1- یقولون: سئل سعد عن سرّ استجابه دعائه دون الصحابه، فقال: ما رفعت إلی فمی لقمه إلا و أنا أعلم من أین جاءت، و من أین خرجت (4).

أی لأنه قد جاء فی الحدیث: أن سرّ عدم استجابه الدعاء، هو أن من کان مأکله و ملبسه حراما فأنّی یستجاب له (5).

فأی ذلک نصدق؟! هل نصدق أن استجابه دعائه کانت لدعائه

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 229.
2- مجمع الزوائد ج 6 ص 113؛ و مغازی الواقدی ج 1 ص 241، و شرح النهج للمعتزلی ج 14، و الکامل لإبن الأثیر ج 2 ص 160، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 433، و السیره الحلبیه ج 2 ص 229، و غیر ذلک کثیر.
3- السیره الحلبیه ج 2 ص 229.
4- المصدر السابق.
5- المصدر السابق.

صلى الله عليه و آله وسلم له؟! أم نصدق أنها من أجل أنه لم يكن يأكل حراما؟!.

و حاول الحلبى أن يجيب: بأن دعاء النبى صلى الله عليه و آله وسلم يرجع: إلى أنه دعا له أن يستجاب له بسبب عدم أكله للحرام، و تمييزه للحرام عن غيره (1)!!.

و هو تأويل بارد، كما ترى، و لا نرى حاجه للتعليق عليه.

2- لا ندرى إذا كان الوقت يتسع لرمى ألف سهم، و لقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم له ذلک، و هو يناوله السهام فى ذلک الوقت الحرج جدا؟!.

و لا ندرى أيضا من أين حصل سعد على تلک السهام الألف التى رمى بها؟!، و هل كانت تتسع كنانته، و كنانه النبى صلى الله عليه و آله وسلم - لو كانت- لهذه الكميه؟!.

و لا نعرف أيضا إن كانت تلک السهام تصيب المشركين؛ فيستجاب دعاء الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) له أم لا؟!.

و إذا كانت تصيبهم، فكم قتل سعد؟ و كم جرح؟! و لماذا لم ينهزم المشركون لهذه النكبه التى حلت بهم؟!.

3- إذا كان سعد مستجاب الدعوه، فلماذا لم يدع اللّه ليفرج عن عثمان حين الحصار؟ أو ليهدى معاويه إلى الحق و التسليم لعلى (ع)؛ ليحقن دماء عشرات الألوف من المسلمين، و يجنب الأمه تلک الكوارث العظيمه التى تعرضت لها؟!.

و عند ما عرض عليه أمير المؤمنين (عليه السلام): أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، طلب منه أن يعطيه سيفا يميز بين الكافر و المؤمن (2)؛ فلم لم يدع اللّه أن يعطيه سيفا كهذا؛ فيستجيب اللّه له، ما دام أنه كان

1- المصدر السابق.
2- قاموس الرجال ج 4 ص 315 عن وقعه صفين لنصر بن مزاحم.

مستجاب الدعوه؟!.

4- عن ابن الزبير: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم قال للزبير- يوم الخندق، حينما أتاه بخبر بنى قريظه-: فداک أبى و أمى (1)، فأى الروايتين نصدق؟! أم نصدقهما معا؟! أم ننظر إليهما معا بعين الشک و الريب، لما نعلمه من تعمد الوضع و الإختلاق لصالح هؤلاء؟! أعتقد أن هذا الأخير هو الأمر المنطقى، و الطبيعى، و المعقول.

و احتمال أنه صلى الله عليه و آله وسلم و إن كان قد قال ذلک للزبير يوم الخندق، لكن عليا (عليه السلام) لم يسمعه، فنقل ما سمعه فقط بالنسبه لسعد، أو أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد أراد تفديه خاصه.

لا يجدى؛ إذ قد جاء فى روايه أخرى قوله: فما جمع صلى الله عليه و آله وسلم أبويه لأحد إلا لسعد (2). و هذا يدل على أنه يخبر عن علم، و إلا لكان عليه أن يقول: إنه لم يسمع ذلک إلا بالنسبه لسعد، كما أنه لو كان أراد تفديه خاصه لكان عليه البيان.

5- كيف يكون سعد قد قتل حبان بن العرقه فى حرب أحد، كما يقول الواقدى، مع أن الواقدى نفسه و غيره يقولون: إن حبان بن العرقه قد رمى سعد بن معاذ فى أكحله فى غزوه الخندق، فقال صلى الله عليه و آله وسلم : عرق اللّه وجهک فى النار (3)؟!.

فإن حرب الخندق كانت بعد أحد بالإتفاق.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 229.
2- نفس المصدر.
3- مغازى الواقدى ج 2 ص 269 و 525، و تاريخ الخميس ج 1 ص 433، و الإصابه ج 2 ص 37 و 38.

اشاره هامه:

و أما لماذا حشد هذه الفضائل لسعد، فذلک أمر واضح، فإن سعدا قد کان من الفئه المناوئه لأمیر المؤمنین (علیه السلام)، و أهل بیته، حتی لقد کتب (علیه السلام) لوالی المدینه: أن لا یعطی سعدا من الفی ء شیئا (1).

و حینما دخل علیه سعد یطالبه بعطائه ردّه مع صاحبیه، بعد کلام طویل، و لم یعطه شیئا (2).

و حینما دعاه عمار إلی بیعه سید الوصیین، أظهر سعد الکلام القبیح (3).

و أیضا فقد صارمه عمار المعروف بجلاله مقامه و علو شأنه (4).

کما أنه قد أخذ من بیت المال مالا و لم یؤده، و عزله عمر عن العراق، و قاسمه ماله (5).

و کان ممن قعد عن علی (علیه السلام) و أبی أن یبایعه، فأعرض عنه (علیه السلام)، و قال: (و لو علم اللّه فیهم خیرا لأسمعهم، و لو أسمعهم لتولّوا و هم معرضون) (6).

و سعد هو أحد السته الذین جعل عمر الأمر شوری بینهم، فوهب

1- إختیار معرفه الرجال ص 39، و قاموس الرجال ج 4 ص 412/ 413 عنه.
2- صفین ص 551/ 552، و قاموس الرجال ج 4 ص 313 عنه.
3- الإمامه و السیاسه ج 1 ص 53.
4- عیون الأخبار لإبن قتیبه ج 3 ص 111، و قاموس الرجال ج 4 ص 313/ 314 عنه.
5- راجع: قاموس الرجال ج 4 ص 414 عن الأغانی، و عن أنساب السمعانی.
6- راجع: قاموس الرجال ج 4 ص 315/ 316. و راجع: شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 9.

حقه لإبن عمه عبد الرحمان بن عوف (1).

و شكا أهل الكوفه سعدا إلى عمر بأنه لا يحسن يصلى (2).

إذن، فانحراف سعد عن على (عليه السلام)، و ممالأته لأعدائه هو الذى جعل لسعد هذه الشخصيه، و رزقه هذه الفضائل و الكرامات.

و هذا هو بعينه السر أيضا بما رزقه الكرماء طلحه بن عبيد اللّه من كرامات ستأتى الإشاره إليها إن شاء اللّه.

و لعل أبا طلحه أيضا قد ارتزق فضائله و كراماته عن نفس هذا الطريق، طريق العداء لعلى (ع)، و الإنحراف عنه، كما هو معلوم بالمراجعه (3).

كرامات طلحه:

و يذكرون لطلحه بن عبيد اللّه أيضا فى أحد كرامات كثيره، نذكر منها:

1- أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قد سمّاه فى أحد ب (طلحه الخير)؛ لأنه أنفق سبعمائه ألف درهم (4).

و لا ندرى كيف و علام أنفق طلحه سبعمائه ألف درهم، التى كانت تكفى لتجهيز جيش بكامله، يكون أضعاف أضعاف جيش المسلمين فى

1- راجع على سبيل المثال: شرح النهج للمعتزلى ج 1 ص 188.
2- الأوائل ج 1 ص 310، و المصنف لعبد الرزاق ج 2 ص 360، و فى هامشه عن البخارى عن أبى عوانه و العقد الفريد ج 6 ص 249، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 569، و الثقات ج 2 ص 220.
3- راجع: قاموس الرجال للعلامه التسترى، و غيره من كتب التراجم.
4- تاريخ الخميس ج 1 ص 432، و السيره الحلبيه ج 2 ص 238.

أحد. أوليس قد جهزت قريش جيشا مؤلفا من ثلاثه أو خمسه آلاف مقاتل معهم ثلاثه آلاف بعير، و مئه فرس، و سبعمائه دارع بخمسه و عشرين ألف دينار (1)؟!. أى بما يساوى ثلث المبلغ الذى يدّعى أن طلحه قد أنفقه؟

و على أبعد الأقوال: إنها أنفقت خمس مئه ألف درهم.

و من الواضح أن سبعمائه ألف درهم فى تلك الأيام تعدل ميزانيه دوله بكاملها.

و كيف نصدق ذلک، و نحن نرى ابن سعد يروى فى الطبقات عن أنس: أن أبا بكر استعمله على الصدقه، فقدم و قد مات أبو بكر، فقال عمر (رض): يا أنس، أجئتنا بالظهر؟

قلت: نعم.

قال: جئتنا بالظهر، و المال لک. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 6 219 كرامات طلحه: ..... ص : 218

قلت: هو أكثر من ذلک. قال: و إن كان هو لک.

و كان المال أربعه آلاف فكنت أكثر أهل المدينه مالا (2).

فإذا كان أنس أغنى أهل المدينه بالأربعه آلاف، و ذلک فى زمان عمر، الذى اتسع فيه الأمر على الناس، و حصلوا على الأموال الكثيره.

فهل يمكن أن نصدق أن مهاجريا قدم المدينه بلا مال، يصير من الثراء بحيث يبذل سبعمائه ألف درهم بعد فتره و جيزه جدا من قدومه؟!

و لا سيما فى وقت كان يعانى فيه المسلمون صعوبات جمه، حتى إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان يربط الحجر على بطنه من الجوع (راجع حديث الغار، حين البحث فى ثروه أبى بكر).

1- تقدم ذلک فى فصل: قبل نشوب الحرب، فراجع.
2- حياه الصحابه ج 2 ص 235، و كنز العمال ج 5 ص 405.

و لماذا لم تنزل فی طلحه آیه تشید بهذه الفضیله له، کما نزلت فی علی (ع) حینما تصدّق بالخاتم فی الصلاه (1) و حینما تصدّق بأربعه دراهم. إلی آخر ما تقدمت الإشاره إلیه (2).

و بذلک یعلم أیضا: مدی صحه الأرقام الخیالیه التی تذکر عن تجهیز عثمان لجیش العسره، و غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه. و سنتعرض لذلک کله فی مواضعه إن شاء اللّه تعالی.

2- و أما روایات شلل إصبع طلحه، و ما أصابه فی أحد. فهی متناقضه؛ فلا ندری هل شلت إصبعه؟ أو إصبعاه؟ أو یده؟ أو قطعت إصبعه؟! ثم هنالک الخلاف فی عدد الجراح التی أصابته.

و نحن لا ننکر أن یکون طلحه قد أصیب ببعض الجراح. لکن ذلک لا یلزم منه عدم فراره. بل یستظهر المظفر: أن شلل یده قد کان حین الفرار، أو بسبب آخر.

و قد یستظهر ذلک من تعبیر الشعبی ب (زعم) فی قوله: (و زعم: أن طلحه وقی رسول اللّه بیده؛ فضرب، فشلّت) (2) فیظهر أن الشعبی یشک فی ما زعم.

و أما ما زعمه البعض من أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد مسح علی جسد طلحه، و دعا له بالشفاء، و القوه (3)، فلا ندری ما نقول فیه، و نحن نری أن یده لم تشف، و لم یستجب اللّه ذلک الدعاء. و لکن الذی شفی بدعاء النبی صلی الله علیه و آله وسلم حقا هو أمیر المؤمنین (ع) کما تقدم.

1- و (2) تقدمت المصادر لذلک فی أواخر الجزء الثالث من هذا الکتاب فی فصل: هجره الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم حین الحدیث عن ثروه أبی بکر.
2- راجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 431.
3- دلائل الصدق ج 3 ص 259 بتصرف.

3- و يقولون: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد وقع فى إحدى الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق مكيده؛ فرفعه طلحه، و أخذ بيده على (عليه السلام). و زاد فى الإكتفاء: فقال صلى الله عليه و آله وسلم : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحه (1).

و لا ندرى لماذا اختص طلحه الفار من الزحف بهذا الوسام، دون على (ع)، الذى لم يثبت أحد سواه، مع أنهما شريكان فى مساعدته صلى الله عليه و آله وسلم على النهوض؟!

ثم إن كل من يعثر و يقع، فإن من معه يبادرون إلى مساعدته، و معاونته على النهوض؛ و لا يعتبرون ذلک عملا عظيما يستحق و ساما كهذا.

4- و يقولون: و لما أصاب النبى صلى الله عليه و آله وسلم ما أصابه، جعل طلحه يحمله، و يرجع القهقرى. و كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه،، حتى أسنده إلى الشعب. أخرجه الفضائلى (2).

و نحن لا نصدق أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) قد تقهقر و فرّ، كما تقهقر غيره، و أخلى ساحه القتال. و قد تقدم تكذيب الإمام الصادق لذلک.

كما أننا لا نرى أن ما جرى للنبى صلى الله عليه و آله وسلم قد أفقده القدره على المشى؛ و لذا فنحن لا نفهم وجه الحاجه لأن يحمله طلحه ثم يضعه ليدافع عنه.

كما أننا لا نعرف أين ذهب عنه صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه الثلاثون الذين فاؤا إليه، ثم لحقهم من لحقهم. و أين كان عنه سلمان، و أبو دجانه، و سهل بن حنيف، و عمار، و أخوه و وصيه على بن أبى طالب؛ و لم لا يدافعون عنه،

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 430.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 437.

و يحمونه من ملاحقه المشركين، حتى يضطر طلحه لأن يرجع القهقرى، و هو حامل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . ثم يدافع عنه كلما أدركه أحد من المشركين؟!.

كما أنه لم يثبت تاريخيا عوده من كانوا فى أعلى الجبل إلى ساحه الحرب- و طلحه منهم- بل الثابت خلافه، كما سنرى إن شاء اللّه.

اشاره هامه:

و يقولون: إنه لما كانت وقعه أحد اشتد الأمر على طائفه من الناس، تخوفوا أن يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فإنى ذاهب إلى ذلک اليهودى، فآوى إليه، و أتهوّد معه، لعله ينفعنى إذا وقع أمر، أو حدث حادث. و قال الآخر: أما أنا فإنى ذاهب إلى فلان النصرانى فى الشام، و اتنصر معه، فأنزل اللّه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ (1).

و قد روى ابن طاووس فى الطرائف، و العلامه فى نهج الحق هذه الروايه عن السدى، الذى روى عنه ابن جرير، و ابن أبى حاتم و غيرهما.

و قد صرح السدى بأن الرجلين هما عثمان، و طلحه. و أنهما استأذنا النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و ألحا عليه فى ذلک. كما أن روايه أخرى عن عكرمه تقول:

(كان طلحه و الزبير يكاتبان النصارى و أهل الشام) (2)، فقد صرحت الروايه باسم طلحه فى تفسير نفس هذه الآيه. و الرجل الآخر قد اختلف فيه؛ فقال عكرمه هو الزبير، و قال السدى هو عثمان.

1- تفسير ابن كثير ج 2 ص 68، و تفسير الخازن ج 1 ص 503، و الدر المنثور ج 2 ص 291 عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن السدى، و دلائل الصدق ج 3 ص 204، و طرائف ابن طاووس ص 494، و قاموس الرجال ج 5 ص 169 عنه.
2- راجع: الدر المنثور ج 2 ص 291 عن ابن جرير، و ابن المنذر.

ثم إن لطلحه هذا هنات و هنات، و مواقف عجيبه و غريبه، و يكفى أن نذكر: أن عمر بن الخطاب قد أخبر حين حضرته الوفاه بأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم مات و هو عليه ساخط، لأنه قال: إنه سيتزوج نساء النبى من بعده، فنزلت فيه: وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً (1).

و من أراد المزيد، فليراجع قاموس الرجال و غيره؛ ليقف على بعض مواقف طلحه و أفاعيله.

و حسبنا ما ذكرناه هنا، و قد يأتى المزيد مما يتعلق بهذا الموضوع إن شاء اللّه.

تجميع القوى، و اعادتها الى مراكزها:

اشاره

قد ذكرنا فيما تقدم: أنه بعد أن صار الرسول يدعو المسلمين إليه، صاروا يرجعون إليه زرافات و وحدانا، و جاهدوا فى اللّه حق جهاده، و حرص النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) على أن يرجع بهم إلى مراكزهم الأولى؛ لأن ذلك سوف يجعل الجبل من خلفهم؛ فيخلصون الحرب إلى جهه واحده (2). تماما كما هى الخطه الأولى.

و كانت الجراح قد أرهقت عليا- كما تقدم- حتى بلغت نيفا و ستين

1- الغدير ج 10 ص 127، و تفسير القرطبى ج 14 ص 228، و عن فيض القدير ج 4 ص 290، و تفسير ابن كثير ج 3 ص 506، و تفسير البغوى ج 5 ص 225، و تفسير الخازن ج 5 ص 225، و تفسير الآلوسى ج 22 ص 74، و شرح النهج للمعتزلى ج 1 ص 60 و ج 3 ص 170. و ليراجع الدر المنثور ج 5 ص 214 عن ابن أبى حاتم عن السدى و عن عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن سعد.
2- تفسير القمى ج 1 ص 116، و البحار ج 2 ص 54.

جراحه- كما عن أنس بن مالک- بين طعنه، و رميه، و ضربه. و فى روايه:

نيفا و أربعين أو نيفا و سبعين. و فى روايه: تسعين (1). و يحتمل أن يكون:

كلمه تسعين و سبعين: إحداهما تصحيف للأخرى لتقارب الرسم فيما بينهما، مع عدم وجود النقط للكتابه فى السابق.

و يبدو أنه فى هذه اللحظات الحرجه، و بعد أن رجع إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) بعض من انهزم من أصحابه و بقاء أصحاب الصخره فى موقعهم، خائفين أن تصل إليهم قريش، نعم، فى هذه اللحظات يبدو أن اللّه قد أنزل على القادمين الراجعين إلى النبى، التائبين، أمنه نعاسا؛ لكى يطمئنوا إلى نصر اللّه و لطفه. أما أصحاب الصخره، أو كثير منهم، فقد أهمتهم أنفسهم، يظنون باللّه غير الحق ظن الجاهليه.

و هؤلاء كانوا- فى الأكثر- من المنافقين.

و الخلاصه: أن النعاس فى الحرب يكون من الإيمان و الإعتقاد باللّه، و فى الصلاه يكون من الشيطان.

و هكذا كان؛ فقد بلغ الرسول و تلک الثله من المسلمين المجاهدين، سفح جبل أحد، و استقروا فيه، و لم يجاوزوه. فأرعب ذلک المشركين، لما رأوه من عوده المسلمين إلى مراكزهم الأولى، و تجميع صفوفهم، و ارتفاع معنوياتهم من جديد. و إن كان لا تزال ثله منهم فوق الجبل، و هم أصحاب الصخره، و منهم أبو بكر، و عمر، و طلحه، و غيرهم؛ فخاف المشركون أن يدال المسلمون منهم من جديد، و يفعلوا بهم، كما فعلوا فى ابتداء الحرب، ففضلوا إنهاء الحرب، و الإنسحاب بسلام، و هكذا كان. و حينئذ أعلن أبو سفيان إنتهاء الحرب.

و أشرف على الجبل، و نادى بأعلى صوته: أعل هبل.

1- مجمع البيان ج 2 ص 509، و البحار ج 20 ص 23 عنه و ص 54 و 70 و 78، و تفسير القمى ج 1 ص 116، و عن الخصال ج 1 ص 368، و عن الخرائج.

و حيث إن المسأله لم تعد مسأله شخصيه، و إنما يريد أبو سفيان أن يعتبر هذا النصر الظاهرى و إن كان ينطوى على الرعب القاتل، مؤيدا لدينه و لإلهه هبل، فقد أجابه النبى (1)- و قيل عمر-: (و قد صرحت بعض الروايات بأن النبى قد علّم عمر ما يقول) (2).

و فى روايه: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم علّم عليا (عليه السلام)، فأجابه (3):

اللّه أعلى و أجل.

فقال أبو سفيان: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر.

فقال: لا سواء قتلانا فى الجنه، و قتلاكم فى النار.

و فى نص لأبى هلال العسكرى: نادى أبو سفيان: أعل هبل.

فقال عمر: اللّه أعلى و أجل.

فقال: إنها قد أنعمت يا بن الخطاب.

فقال: إنها (4).

فجواب عمر هذا، و تصديقه لأبى سفيان لا ندرى ما يعنى به؟

و كيف نفسره؟!.

ثم سأل أبو سفيان: إن كان النبى صلى الله عليه و آله وسلم حيا، فأمرهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم :

أن لا يجيبوه.

1- الثقات لإبن حبان ج 1 ص 231، و مجمع البيان ج 2 ص 509، و البحار ج 20 ص 23 عنه.
2- راجع: تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 413 عن البخارى.

3- تفسير القمى ج 1 ص 117، و البحار ج 56 عنه و ص 97 عن إعلام الورى و فيه: أن أبا سفيان سأل عليا عن حياه النبى.
4- الأوائل ج 1 ص 184/ 185، و راجع: تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 412.

ثم سأل- كما قيل- عن أبى بكر، و عن عمر، فكذلک (1).

فيقال: إن أبا سفيان قال حينئذ: أما إن هؤلاء قد قتلوا، و قد كفيتموهم، و لو كانوا أحياء لأجابوا.

فعند ذلک- كما يقولون- لم يملک عمر نفسه، و أخبرهم: أنهم أحياء، فطلب أبو سفيان من عمر أن يأتيه، فقال صلى الله عليه و آله وسلم لعمر: إئته، فانظر ما شأنه. فجاءه، فسأله: إن كان النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد قتل. فقال عمر: اللهم لا، و إنه ليسمع كلامک الآن. قال: أنت أصدق عندى من ابن قميئه، و أبر (2).

ثم واعدهم أبو سفيان بدرا فى العام القادم، و انصرف.

و لكن إذا كان عمر بن الخطاب قد أجاب أبا سفيان على قوله: أعل هبل. و كان ذلک قبل هذا الكلام، فإن أبا سفيان الذى خاطب عمر، و سمع صوته، و رأى مكانه، لا يمكن أن يدّعى أن عمر قد مات بعد ذلک بدقائق، إلا إذا فرض أنه سمع صوته، و لم يعرفه و لم يره، بسبب وجود موانع من رؤيته له.

و لكنه فرض لا يصح، لأن أبا سفيان قد صرح فى كلامه بأنه إنما يخاطب ابن الخطاب بالذات.

و مهما يكن من أمر، فقد جاء على إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم بعد أن انتهت الحرب، فغسل وجهه، و ضمدت جراحه فاطمه (عليها السلام).

1- و إن كنا نشک فى ذكرهما هنا: فقد تعودنا؛ أن نجد هذا التعاقب فى كثير من الروايات، و لعله بهدف الإيحاء بأن الزعامه بعد النبى صلى الله عليه و آله وسلم كانت لأبى بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، و لكن عثمان لم يذكر هنا لغيابه و فراره.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 440، و وفاء الوفاء ج 1 ص 294، و السيره الحلبيه ج 1 ص 244/ 245، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 205، و الكامل ج 2

ص 160، و الثقات ج 1 ص 232، و راجع: تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 414/ 415.

و مثّل نساء المشركين فی قتلی المسلمين فجدعن الأنوف و الآذان، إلا أنهن لم يمثلن بحنظله ابن أبی عامر، لأن أباه طلب منهن تركه، فتركنه له.

و تشاوروا فی نهب المدينه؛ فأشار صفوان بن أميه بالعدم؛ لأنهم لا يدرون ما يغشاهم (1).

و أرسل النبی صلی الله عليه و آله وسلم عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) فی آثارهم؛ لينظر؛ فإن كانوا قد ركبوا الإبل، و جنبوا الخيل؛ فهم يريدون مكه، و إن كان العكس، فهم يريدون المدينه، فلا بد من مناجزتهم فيها؛ فذهب (عليه السلام)، و عاد، فأخبره بأنهم جنبوا الخيل، و امتطوا الإبل (2).

و لكن البعض يقول: إن سعد بن أبی وقاص هو المرسل فی هذه المهمه، و أنه لما رجع رفع صوته بأنهم قد جنبوا الخيل، و امتطوا الإبل.

فجعل النبی صلی الله عليه و آله وسلم يشير إليه: خفّض صوتک، فإن الحرب خدعه. فلا تر الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم؛ فإنما ردّهم اللّه تعالی.

و يقول الواقدی: إنه صلی الله عليه و آله وسلم أوصی سعدا بأنه إن رأی القوم يريدون المدينه فأخبرنی فيما بينی و بينک، و لا تفتّ فی أعضاد المسلمين (3).

و نسب مثل ذلک إلی علی (ع)، و أنه رفع صوته بالخبر، مع أنه صلی الله عليه و آله وسلم كان قد أوصاه بخلاف ذلک (4).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 245.
2- راجع: الثقات لإبن حبان ج 1 ص 232، و تاريخ الطبری ج 2 ص 205/ 206، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 161، و السيره الحلبيه ج 2 ص 244/ 245، و تاريخ الخميس ج 1 ص 440.
3- مغازی الواقدی ج 1 ص 298/ 299، و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 32.
4- تاريخ الطبری ج 2 ص 206/ 207، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 160/ 161.

و نحن نجلّ عليا عن أن يكون قد ارتكب مثل هذه المخالفه، فقد تعودنا منه الوعى الكامل، و الطاعه المطلقه للرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، و قد تقدم: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قال لعلى (ع) فى خيبر: إذهب و لا تلتفت حتى يفتح اللّه عليک. فمشى هنيئه ثم قام و لم يلتفت للعزمه، ثم قال: على ما أقاتل إلخ. و لعله لأجل هذه الإنضباطيه المطلقه منه (ع) فى تنفيذ أوامر الرسول صلى الله عليه و آله وسلم نجده صلى الله عليه و آله وسلم ينهى ذلک الذى أرسله فى رساله إلى على، الذى سار فى مهمه عسكريه- ينهاه- عن أن ينادى عليا من خلفه (1).

فهذه القضيه بسعد أشبه منها بعلى، و إن كان يمكن أن يكون قد أرسلهما معا.

فمقصود المحرفين هو أن يقولوا: إن المخالفه تصدر من على (ع) كما تصدر من غيره، و أنه لا كبير فرق فيما بينهم. و لكن اللّه يأبى إلا أن يظهر الحق، و يتم نوره.

و بعد انتهاء المعركه خرج على (عليه السلام) حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاء به رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ليشرب؛ فوجد له ريحا، فعافه و لم يشرب. و غسل الدم عن وجهه. و يقال: إن فاطمه (عليها السلام) كانت تغسل جراحاته و ضمدتها، و هو صلى الله عليه و آله وسلم يقول: إشتد غضب اللّه على من أدمى وجه نبيه (2).

1- البحار ج 73 ص 223 و 325 ط مؤسسه الوفاء عن قرب الإسناد ص 76، و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 217، و حياه الصحابه ج 1 ص 97، و مجمع الزوائد ج 5 ص 305، و عن كنز العمال ج 2 ص 297.
2- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 441 و 437 عن المواهب اللدنيه، و السيره الحلبيه ج 2 ص 237 و 236، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 157/ 158، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 200/ 201، و مغازى الواقدى ج 1 ص 290، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 17، و فى السيره الحلبيه ج 2 ص 236/ 237: أن سعدا هو

و بعد انتهاء الحرب أرسل عليا (عليه السلام) إلى المدينه ليبشر أهلها: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) حى سالم (1).

و هنا أمور لا بأس بالإلماح إليها للتتميم، و التوضيح، و التصحيح، و هى:

ألف: فاطمه أم أبيها:

إننا حينما نقرأ هذه الفقرات حول تضميد فاطمه (عليها السلام) جراحات رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم نتذكر أنها- كما رواه الإمام الصادق (ع)- كانت تلقب: بأم أبيها (2). و ما ذلک إلا لأنها كانت بمنزله الأم فى حنانها، و عطفها، و رعايتها له صلى الله عليه و آله وسلم ، و سهرها على راحته و سعادته، و كانت تفرح لفرحه، و تحزن لحزنه.

و من الواضح: أن الأم إنما تتحمل المتاعب، و تصبر على الصعاب فى سبيل ولدها، و هى تتمنى حياته. أما الولد، فإنه إذا رعى شؤون والديه، و تحمل بعض المتاعب فى سبيلهما، فإنما يفعل ذلک و هو يتوقع، أو يتمنى و ينتظر موتهما.

أما فاطمه (عليها السلام)، فكانت فى ذلک بمنزله الأم، لأنها كانت

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 440.
2- راجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 380، و راجع: المناقب لإبن شهر آشوب ج 3 ص 357، و البحار ج 43 ص 19، و كفايه الطالب ص 369، و البدايه و النهايه ج 6 ص 332، و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 119، و الإصابه ج 4 ص 377، و أسد الغابه ج 5 ص 520، و مقاتل الطالبيين ص 46، و تهذيب التهذيب ج 12 ص 440 لكنه صحف كلمه (أبيها) ب (إبنها) فراجع.

تريد حياته صلى الله عليه و آله وسلم ، و تريد أن تبقى معه و لا تفارقه، حتى إنها حينما أخبرها، و هو على فراش الموت: أنها أول أهل بيته لحوقا به ضحكت و استبشرت، فراجع كتب الحديث و التاريخ (1).

ب: النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمون فى الجبل!

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لما صعد الجبل علت عاليه من قريش الجبل؛ فقاتلهم عمر، و رهط من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل، و نهض صلى الله عليه و آله وسلم إلى صخره فى الجبل ليعلوها؛ فلم يستطع؛ فجلس تحته طلحه، و نهض به حتى استوى عليها، و كان بطلحه عرج، فتكلف الإستقامه؛ لئلا يشق على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فذهب عرجه (2).

و نقول:

أولا: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) و من معه لم يبلغوا الصخره، و لا الغار، و لا المهراس، و لا الدرجه المبنيه من الشعب، و ذلک لما يلى:

1- راجع: حليه الأولياء ج 2 ص 39، و صفه الصفوه ج 2 ص 12، و خصائص أمير المؤمنين (ع) للنسائى ص 119، و فى هامشه عن مصادر كثيره، و راجع: ينابيع الموده ص 173، و الصواعق المحرقه ص 188، و كنز العمال ج 13 ص 92 و 93، و الإصابه ج 4 ص 378، و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 120 و راجع: البدايه و النهايه ج 6 ص 332، و صحيح البخارى ج 3 ص 60، و عن مسلم فى فضائل الصحابه و عن أبى دواد أيضا، و مناقب آل أبى طالب ج 3 ص 361 و 362، و شرح النهج للمعتزلى ج 10 ص 266، و إحقاق الحق ج 10 ص 439 حتى ص 452 عن مصادر كثيره.
2- الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 158، و وفاء الوفاء ج 1 ص 297، و السيره الحلبيه ج 2 ص 236/ 237 و 238، و الترمذى و صححه، و الرياض النضره، و أحمد، و أبو حاتم، و راجع: الثقات لإبن حبان ج 1 ص 229.

1- لقد صرح الواقدی بأن المسلمین- و لا بد أن یکون المراد المقاتلین منهم- لم یعدوا الجبل. و کانوا فی سفحه، و لم یجاوزوه إلی غیره، و کان فیه النبی صلی الله علیه و آله وسلم (1).

2- و فی روایه لأحمد: (و جال المسلمون جوله نحو الجبل، و لم یبلغوا حیث یقول الناس: الغار، إنما کان تحت المهراس) (2).

3- إن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم لم یبلغ الدرجه المبنیه من الشعب (3).

4- قال ابن إسحاق: (فلما انتهی النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی فم الشعب، خرج علی بن أبی طالب (رض) حتی ملأ درقته من المهراس) (4). و جاء بالماء، فغسل وجهه کما سیأتی.

5- إن النبی صلی الله علیه و آله وسلم لم یبرح ذلک الیوم شبرا واحدا، حتی تحاجزت الفئتان (5).

فإن النبی صلی الله علیه و آله وسلم لم یکن لیفر من وجه عدوه، و یصعد إلی الجبل و یعتصم به، و یترک عدوّه یصول و یجول. کیف؟ و قد أنزل اللّه فی الفارّین قرآنا یتلی إلی یوم القیامه، و ینعی علیهم عملهم ذاک، و یؤنبهم علیه.

کما أننا لا نصدق أن یرتکب الرسول هذا الأمر فی الوقت الذی کان یدعو فیه الفارین فی أخراهم إلی العوده إلی مراکزهم. و لا یمکن أن تحدثه نفسه بالفرار من الزحف فی أی من الظروف و الأحوال.

1- مغازی الواقدی ج 2 ص 278.
2- وفاء الوفاء ج 4 ص 315 و ج 3 ص 930.
3- سیره ابن هشام ج 3 ص 92.
4- سیره ابن هشام ج 3 ص 90، و وفاء الوفاء ج 4 ص 1243.
5- مغازی الواقدی ج 1 ص 240، و شرح النهج للمعتزلی، و البحار ج 20 ص 96 عن إعلام الوری.

6- قد تقدم أن الصباح بن سيابه قد سأل الإمام الصادق (ع) عما يذكرونه من هذا، فهو يقول له (ع): (فالغار فى أحد الذى يزعمون أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم صار إليه؟

قال: و اللّه ما برح مكانه) (1).

و ثانيا: قولهم إن عمر و رهطا من المهاجرين قد قاتلوا المشركين حتى أهبطوهم من الجبل.

لا ندرى أنصدقه؟!. أم نصدق قول الواقدى: (وصل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى الشعب مع أصحابه، فلم يكن هناک قتال) (2)؟.

أم نصدق قولهم: إن سعدا وحده قد ردّهم بسهم، قتل به أربعه منهم (3)؟ عجيب!! أربعه!!.

و ثالثا: إنهم يقولون: إنه لما رأى أصحاب الصخره النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، وضع أحدهم سهما فى قوسه، و أراد أن يرميه صلى الله عليه و آله وسلم .

فقال: أنا رسول اللّه، ففرحوا، و فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به، و اجتمعوا حوله (4).

و فى روايه: لما نادى كعب بن مالک، يبشر الناس بحياه الرسول نهضوا إليه (أى أصحاب الصخره) فيهم: أبو بكر، و عمر، و على، و طلحه، و الزبير، و سعد، و الحارث بن الصمه (5).

1- إعلام الورى ص 83، و البحار ج 20 ص 96.
2- مغازى الواقدى ج 1 ص 281.
3- السيره الحلبيه ص 238.
4- تاريخ الطبرى ج 2 ص 201/ 202، و تاريخ الخميس ج 1 ص 437.
5- الثقات لإبن حبان ج 1 ص 229.

و نسجل هنا ما يلى:

1- إن ذكر على هنا غلط عفوى أو عمدى بلا ريب؛ لأنه (ع) لم يفرّ مع هؤلاء إلى الجبل، و لا أصعد فيه حتى بلغ الصخره؛ بل كان مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، يدافع عنه، و يكافح و ينافح. بإجماع المؤرخين.

2- لا ندرى ما معنى قولهم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به!!. فهل منعوه قبل الآن؟! و لو كانوا قد منعوه، فما هو المبرر لكونهم على الصخره فوق الجبل؟!.

و هل يمتنع بهم، و بعضهم قال لهم- و هم على الصخره-: يا قوم، إن محمدا قد قتل، فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوا إليكم؛ فيقتلوكم (1). و بعضهم قال غير ذلک حسبما تقدم!!.

3- إنه يظهر: أن طلحه لم يكن مع النبى، و لا عاد إليه، لا هو و لا سعد، و لا أبو بكر، و لا عمر، و لا الزبير، و لا الحارث بن الصمه بعد فرارهم فى الجوله الأولى. و إنما عاد إليه أولئک الثلاثون فقط على الظاهر، أو معهم غيرهم ممن هو غير معروف و لا مشهور.

4- إنه يظهر مما تقدم، و من قول ذلک القائل: ارجعوا إلى قومكم إلخ. و من قولهم: إن عمر مع رهط من المهاجرين!! قد قاتلوا الذين علوا الجبل، و غير ذلک- يظهر من ذلک-: أن أكثر الذين كانوا على الصخره فوق الجبل كانوا من المهاجرين، و فيهم بعض الأنصار، و لم يرد ذكر لأنصارى باسمه إلا للحارث بن الصمه، كما تقدم.

5- و لا نريد أن نسمح لأنفسنا بالإسترسال فى هذا المجال، حتى لا تتقاذفنا الظنون حول صحه و سلامه نيه ذلک الذى أراد أن يرمى النبى صلى الله عليه و آله وسلم بسهمه، بزعم أنه لم يكن عارفا له. و قد سماه الواقدى: ب (أبى

1- البدايه و النهايه ج 4 ص 23، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 201.

برده بن نيار). فلعله كان عن غفله حقيقيه منه. و لعله كان من المنافقين- فى بادي ء الأمر- فأراد انتهاز هذه الفرصه للتخلص من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، بحجه أنه لم يعرفه؛ إذ لا ندرى إن كان فيهم بعد من يملك الجرأه على رمى سهم على رجل يحتمل أنه من المشركين بعد أن جرى ما جرى!!

و قد بذل المنافقون محاولات مشابهه، فقد نفّروا برسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ناقته ليله العقبه؛ بهدف قتله.

و لأجل هذا فنحن لا نستطيع أن نوافق عمر بن الخطاب على إخباره أبا سفيان و المشركين بحياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، مع أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد نهاه عن ذلک.

و ذلک فى موقع حساس و خطير كهذا!!.

ج: روايات لم تثبت:

إنهم يقولون: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد رمى بالنبل، حتى اندقت سيه قوسه (1).

و أنكر ذلک البعض على اعتبار أنه صلى الله عليه و آله وسلم لو كان رمى لكان صلى الله عليه و آله وسلم أصاب، و لنقل ذلک إلينا؛ لأنه مما تتوفر الدواعى على نقله (2).

و يقولون أيضا: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قتل أبى بن خلف بحربه طعنه بها.

و نحن نستبعد ذلک أيضا؛ لأنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يباشر القتل بيده؛ لعلمه بأن أهل بيت المقتول لا تصفو نفوسهم للقاتل عاده، و لا يتبعونه بإخلاص.

و مع أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لم يكن يباشر ذلک، فإننا نجد هندا و غيرها يذكرون: أنه قاتل الأحبه، فكيف لو كان باشر قتلهم بيده؟!.

و لكن عليا (عليه السلام) قد تحمل هذه المسؤوليه، لأن عدم اتباعهم و محبتهم له، لا يبرر خروجهم من الإسلام، فلو أرادوا أن يحقدوا

1- الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 157.
2- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 228.

على الإسلام بسبب ما فعله على (عليه السلام) لوجدوا أنفسهم أمام تأنيب الضمير، و محاسبه الوجدان، و لكن كرههم للنبى يوجب خروجهم عن دائره الإسلام بالكليه، و اللّه هو العالم بواقع الحال.

د: عمر فى قفص الإتهام:

إن لنا هنا أسئله لا بد أن نوجهها إلى عمر بن الخطاب، و نطلب منه، الإجابه عليها بصراحه. و هى التاليه:

1- لماذا أخبر أبا سفيان و المشركين بوجود النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى ظرف حرج و حساس كهذا، مع أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد نهاه عن ذلک؟

2- قد جاء عن ابن واقد: أن ضرار بن الخطاب الفهرى، قد ضرب عمر بن الخطاب بالقناه يوم أحد، حينما جال المسلمون تلک الجوله، و قال له: يا ابن الخطاب، إنها نعمه مشكوره، و اللّه ما كنت لأقتلک (1).

لماذا ما كان ليقتله؟ أليس هو الذى أذل قريشا كما يدعون، و عزّ به الإسلام كما يزعمون.؟ و إن كنا قد أثبتنا عدم صحه ذلک. أوليس ضرار هذا كان يتطلب الأكابر من الأوس و الخزرج؛ ليشفى بقتلهم غليل صدره (2)؟! ألم يكن أكثر قتلى المشركين فى بدر قد قتلوا بيد المهاجرين؟! فلم لا يشفى غليله من أكابر المهاجرين، و لا سيما ممن هم مثل عمر بن الخطاب؟!.

3- و خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام فيقول: لقد رأيتنى، و رأيت

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 282، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 274 و ج 15 ص 20 عن الواقدى و البلاذرى و ابن إسحاق، و راجع: طبقات الشعراء لإبن سلام ص 63، و فيه أن هذه يد له عند عمر، كان عمر يكافؤه عليها، حين استخلف. و راجع البدايه و النهايه ج 3 ص 107 عن ابن هشام.
2- مغازى الواقدى ج 1 ص 237.

عمر بن الخطاب رحمه اللّه حين جالوا، و انهزموا يوم أحد، و ما معه أحد، و إنى لفى كتيبه خشناء؛ فما عرفه منهم أحد غيرى؛ فنكبت عنه، و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجها إلى الشعب (1).

لماذا هذه المراعاه من خالد لعمر، و محافظته عليه، ثم هو يوجهه إلى الشعب؟! و ما هو السر الذى جعل خالدا يهتم فى أن لا يلتفت إلى عمر أحد، و هو الذى كان شديدا على المسلمين حسبما تقدم؟!

و دعوى ابن أبى الحديد: أن سر ذلک هو النسب الذى بينهما، يرده أن رابطه الدين هى الأقوى، أوليس ابن أبى بكر قد برز لقتال أبيه كما يدعون؟

4- لماذا يهنى ء أبو سفيان عمر بالنصر الذى أحرزوه على المسلمين، و يقول له: (انعمت عينا، قتلى بقتلى بدر) (2)؟!

و ما معنى قول أبى سفيان له: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب، فأجابه عمر بقوله: إنها. فما هو الذى أيده فيه؛ و وافقه عليه يا ترى؟

5- لماذا كان عمر أبرّ لأبى سفيان من ابن قميئه كما تقدم؟ أو ليس ابن قميئه يقاتل أعداء أبى سفيان و يفنيهم، و يقتحم الغمرات، و يواجه السيوف، و النبال، و الرماح فى الدفاع عن المشركين بزعامته، و يدافع عن مصالحهم، و يعمل من أجل قهر عدوهم؟!.

و عمر أليس عدوا لأبى سفيان، و نصيرا لعدوه؟ و مقويا له عليه؟!.

و قد حاول البعض توجيه ذلک، بأن من الممكن أن يكون أبرّ بلحاظ صدقه؛ و إخباره بالواقع.

و نقول: إن هذا غير معقول، فإن عباره أبى سفيان قد صرحت

1- راجع: مغازى الواقدى ج 1 ص 297، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 23.
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 366.

بصدق عمر، كما صرحت ببره، فلو كان المراد بالبر الصدق لم يصح منه التصريح بهما معا. أو فقل: لم يحسن منه ذلک على الأقل.

6- لماذا لم يعترض هو، و لا أبو بكر، و لا طلحه، و لا غيرهم من كبار المهاجرين، الذين فروا و كانوا على الصخره، على من قال: إنه يريد أن يوسّط ابن أبى لدى أبى سفيان؛ و طلب منهم الرجوع إلى دينهم الأول؟! أو نحو ذلک من كلام، يدل على رغبتهم فى الإرتداد عن الإسلام، و ممالأه المشركين، و الإتفاق معهم؟.

أسئله لا تزال و لسوف تبقى تنتظر الجواب المقنع و المفيد.

العباس فى أحد:

فى قضيه أحد روايه تفيد: أن العباس كان ممسكا بعنان فرس النبى صلى الله عليه و آله وسلم يقوده. ثم إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لما صعد الجبل، أو أراد أن يصعده نزل عن الفرس، و صعد. و كان يلتفت إلى الجوانب؛ فسألوه عن سبب ذلک؛ فأقبل على على، فقال: هل عندک خبر من عمک؟ فأخبره على بما وقع، فبكى صلى الله عليه و آله وسلم هو و الأصحاب (1).

و لكن هذا لا يمكن أن يصح؛ لأن العباس لم يحضر حرب أحد.

و تعلل على قريش بما جرى عليه فى بدر.

فمن أين جاء و أمسک بعنان فرس النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؟!

و لو كان ذلک صحيحا، كيف قبلت قريش منه أن يعود ليسكن مكه عده سنوات بعد ذلک؟!.

فنظن لو كان لهذه القضيه أصل، أن المقصود هو العباس بن عباده بن نضله الأنصارى، فإنه قد استشهد يوم أحد رحمه اللّه.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 436/ 437 عن الينابيع.

و بكاء الصحابه إنما كان على حمزه عم النبى رحمه اللّه أو على العباس بن نضله. و لعله هو الذى كان جهورى الصوت؛ فنادى كما يقولون: يا أصحاب سوره البقره، أين تفرون؟ إلى النار تهربون (1). و يكون الراوى قد حرّف فى الروايه اعتمادا على ما هو مرتكز فى ذهنه، أو لحاجه فى نفسه قضاها!!.

هذا بالاضافه إلى وجود الشک فى وجود فرس لدى المسلمين من الأساس، حسبما تقدم.

من مشاهد الحرب:

1- لما كان يوم أحد قال مخيريق الحبر اليهودى: يا معشر يهود، و اللّه لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت.

قال: لا سبت.

فأخذ سيفه و عدته. و قال: إن أصبت فما لى لمحمد، يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول اللّه، فقاتل معه حتى قتل، فيقال: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قال:

مخيريق خير يهود.

2- و أصر عمرو بن الجموح على الخروج إلى الحرب مع عرجه.

و دعا اللّه: أن يرزقه الشهاده، و لا يرده خائبا إلى أهله. فاستشهد رحمه اللّه.

3- و أصيبت عين قتاده بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بيده، فكانت أحسن عينيه، و أحدّهما. و يقال: إنه هو الذى طلب ذلک من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؛ لأنه رجل يحب النساء، و يخاف أن تعافه إمرأته إذا رأته كذلک. و قد افتخر بذلک ابن لقتاده، عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون، ثم قال:

1- البحار ج 20 ص 118.

تلک المکارم لا قعبان من لبن شیبا بماء، فعادا بعد أبوالا و یقال: إن کلثوم بن الحصین رمی فی نحره بسهم؛ فبصق علیه صلی الله علیه و آله وسلم فبری ء. و فی روایه أخری: إن عین أبی ذر أصیبت یوم أحد؛ فبصق فیها النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فکانت أصح عینیه (1).

4- و قتل الحارث بن سوید المجدّر بن زیاد غیله فی أحد؛ لثار جاهلی له علیه، و کلاهما کان فی جیش المسلمین؛ فنزل الوحی علی الرسول، و أخبره حبیب بن یساف؛ لأنه کان قد رآه قتله، بخبره؛ فقتله صلی الله علیه و آله وسلم به بعد رجوعه إلی المدینه، و لم یستمع لطلبه بالعفو، و وعده بالتکفیر و الدیه، کذا یقولون.

5- و قتل سعد بن الربیع. و کان آخر ما قاله فی وصیه مطوله منه للمسلمین: إنه لا عدر لکم عند رسول اللّه: ان یخلص إلی نبیکم، و فیکم عین تطرف، ثم مات.

و دخل عمر علی أبی بکر- و عنده بنت لسعد هذا- و قد طرح لها ثوبا لتجلس علیه، فسأل عمر عنها.

فقال أبو بکر: هذه إبنه من هو خیر منی و منک.

قال: و من هو یا خلیفه رسول اللّه؟

قال: رجل تبوأ مقعده من الجنه، و بقیت أنا و أنت، هذه إبنه سعد بن الربیع إلخ (2).

6- و یقولون أیضا: انقطع سیف عبد اللّه بن جحش، فناوله صلی الله علیه و آله وسلم عرجونا فعاد سیفا، و لم یزل أهله یتوارثونه، و یسمی (العرجون)، حتی بیع لبغا الترکی بمائتی دینار.

1- حیاه الصحابه ج 3 ص 617، و مجمع الزوائد ج 8 ص 298 عن أبی یعلی.
2- السیره الحلبیه ج 2 ص 246، و سیره ابن هشام ج 3 ص 101.

و يذكر مثل هذا لعكاشه بن محصن فى واقعه بدر.

و لكن قد ذكر البعض: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ولى تركه عبد اللّه بن جحش، و أخذ منها سيفه العرجون، فاشترى لأمه مالا بخيبر (1).

و لكن ثمه قصه شبيهه بقصه العرجون بين النبى صلى الله عليه و آله وسلم و على (ع) (2). فليتأمل فيما هو الحق من ذلک. فإننا نكاد نطمئن إلى صحه هذه الأخيره، و ذلک لما تعوّدناه من أعداء على (عليه السلام)، من إغارات على فضائله و كراماته.

7- و يقولون: إن هندا قد اعتلت صخره مشرفه، فصرخت:

نحن جزيناكم بيوم بدرو الحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان لى عن عتبه من صبرو لا أخى، و عمه و بكر

شفيت نفسى، و قضيت نذرى شفيت وحشىّ غليل صدرى

فشكر وحشىّ على عمرى حتى ترمّ أعظمى فى قبرى فأجابتها هند بنت أبان بن عباد بن المطلب بن عبد مناف:

خزيت فى بدر، و غير بدريا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحک اللّه غداه الفجربالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفرى حمزه ليثى، و على صقرى

إذ رام شيب و أبوک غدرى فخضبا منه ضواحى النحر

و نذرک الشر فشرّ نذر (3)

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 424، و مغازى الواقدى ج 1 ص 291، و شرح المعتزلى ج 15 ص 18.
2- البحار ج 2 ص 78:

3- تاريخ الخميس ج 1 ص 439، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 97، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش السيره الحلبيه) ج 2 ص 50.

8- كما أن الجليس بن زيان، سيد الأحابيش، قد مر بأبى سفيان، و هو يضرب بشدق حمزه بزج الرمح، و يقول: ذق عقق.

فقال الجليس: يا بنى كنانه، هذا سيد قريش، يصنع بابن عمه ما ترون لحما!!

فقال: ويحک، أكتمها على؛ فإنها كانت زله (1).

9- و قد تقدم تمثيل قريش بالشهداء من المسلمين أقبح تمثيل.

10- و يقال: إن قزمان الذى كان صلى الله عليه و آله وسلم إذا ذكره يقول: إنه لمن أهل النار (2). قد حارب فى أحد، و قتل سبعه أو ثمانيه من المشركين، فجرح. فبشره البعض، فقال: بماذا أبشر؟ فو اللّه ما قاتلت إلا عن الأحساب. و يقال: إنه لما اشتدت جراحته قتل نفسه (3)، و يقال: لم يفعل ذلک. و يقال: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم حنيئذ قال ما معناه: إن اللّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (4).9.

1- الكامل فى التاريخ ج 2 ص 160، و السيره الحلبيه ج 2 ص 244، و تاريخ الخميس ج 1 ص 239 عن ابن إسحاق، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 196، و البحار ج 20 ص 97 عن إعلام الورى.
2- تاريخ الأمم و الملوک ط دار المعارف ج 2 ص 531، و تاريخ الخميس ج 1 ص 438، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 93، و المغازى للواقدى ج 1 ص 224 و 263، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 162، و السيره الحلبيه ج 2 ص 239.
3- تاريخ الأمم و الملوک ط دار المعارف ج 2 ص 531، و تاريخ الخميس ج 1 ص 438، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 94، و المغازى للواقدى ج 1 ص 224 و 264، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 162، و السيره الحلبيه ج 2 ص 239.
4- المغازى للواقدى ج 1 ص 224، و السيره الحلبيه ج 2 ص 239.

ملاحظات:

و نحن نسجل على ما تقدم باختصار شديد الإشارات التاليه:

ألف: إن أموال مخيريق، و هى سبعه حوائط، قد أصبحت للنبى صلى الله عليه و آله وسلم بعد أن استشهد مخيريق، بمقتضى وصيته نفسه. و لم يكن لليهود أن يأخذوا منها شيئا؛ حيث إنه ليس للكافر أن يرث المسلم. و حيث لم يكن لمخيريق وارث؛ فإن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يكون وارثه. و لسوف يأتى بعض الكلام عن مصير أمواله صلى الله عليه و آله وسلم عند الكلام عن فدک إن شاء اللّه تعالى.

ب: إن موقف مخيريق هذا فى أحد يذكّرنى بموقف الحر الرياحى فى كربلاء. فكل منهما قد اتخذ القرار الحاسم فى أحرج اللحظات، و أكثرها حساسيه. فإن مخيريق قد استطاع أن يتخلى عن كل ما يحيط به من روابط، تشده الى الأرض، و تهيمن عليه، و تمنعه من اتخاذ القرار طيله تلک المده الطويله، و كذلک فعل الحر أيضا. و إن تحكيم العقل، و التخلى عن كل تلک الروابط، و إبعاد سائر تلک المؤثرات، يحتاج إلى جهد نفسىّ كبير. و بهذا تعرف الرجال، و ما تحمله من فضائل نفسيه، و ملكات إنسانيه. لأن حالات كهذه تكون الأعصاب فيها عاده فى أقصى حالات التوتر، و المشاعر و العواطف فى منتهى تأججها. و كل الروابط و المؤثرات الأرضيه تكون واضعه كل ثقلها فى تصوراته، و نظراته المستقبليه. و لهذا كان (مخيريق) خير يهود.

و لعل الذى سهّل على مخيريق اتخاذه قراره الحاسم ذاک، هو قناعاته المترسخه فى عمق وجدانه، و التى تستمد عمقها هذا من الإخبارات الصريحه و القاطعه التى يجدها عنده فى التوراه و الإنجيل، حتى إن اليهود كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه و آله وسلم كما يعرفون أبناءهم.

ج: إن إصرار عمرو بن الجموح على الخروج إلى الحرب، و إذن النبى صلى الله عليه و آله وسلم له، إنما يعنى أن عدم الخروج للجهاد، رخصه للأعرج لا

عزيمه. فإذا بلغ المسلم من النضج الروحى بحيث يعتبر عدم الشهاده له خيبه، و الشهاده فوزا و نجاحا، ثم هو يندفع إليها بهذا الإصرار، و يعتبرها غايه له، و تتويجا لحياته، فلماذا يحرم منها.

و يجب أن لا ننسى وصيه سعد بن الربيع رضوان الله عليه (و هو شيخ الأنصار. و قد جعل بيوته للنبى صلى الله عليه و آله وسلم و لزوجاته، و قد عرّس على (ع) بفاطمه الزهراء فى أحد بيوته) التى تعبّر عن مدى و عيه و سمو روحه، و هو لا يرى موته نهايه له، إذا كان دين محمد (صلى اللّه عليه و آله) محفوظا؛ فإنه يعتبر نفسه قد فاز بشهادته من جهه، كما أنه يعتبر نصر محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، و دين محمد بعد موته نصرا له حتى و هو فى قبره أيضا، لأنه يرى نفسه فانيا فى هدفه، و جزءا منه؛ فإذا انتصر الهدف، فهو أيضا يكون المنتصر.

د: و إن ما فعله أبو سفيان بجثه حمزه رضوان اللّه عليه، ثم طلبه من الجليس: أن يستر عليه هذه الزله ليس بعجيب، فإن تصرفات و مواقف أبى سفيان لم تكن محكومه لفضائل نفسيه، و لا لقناعات عقليه وجدانيه، و لا لقوه إلهيه غيبيه، و لكنها كانت تخضع للمفاهيم الجاهليه و القبليه، و المصالح الشخصيه بالدرجه الأولى، و لذلک هو يعتبرها زله إذ كان الجاهليون يقبحونها و يرفضونها، و لكنه لا يرى مانعا منها بحسب ما لديه من خصائص نفسيه، و مصلحه شخصيه.

كما أن عمل أبى سفيان هذا يكذّب ما اعتذر به عن المثله التى لحقت شهداء المسلمين، حيث ادّعى أنه لم يرض، و لم يغضب، و لم يعلم بالتمثيل بالشهداء على أيدى المشركين !!

و يكذبه أيضا: أن أبا عامر الفاسق طلب أن لا يمثل بولده حنظله، و يترک لأجله فكان له ذلک. و هذا يدل على أن التمثيل بالشهداء قد كان معلوما لدى الملأ من قريش، و كانوا راضين به. و لعل أبا سفيان قد كذب هذه الكذبه ليتفادى التمثيل بأصحابه، أو أنها كذبت عن لسانه من محبيه،

و من يهمهم أمره.

ه: هذا و ثمه نقاط أخرى فيما تقدم تحتاج إلى إلقاء الأضواء عليها، كقضيه قزمان، فإننا نشک فى أن يكون النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد أخبر قبل موته أنه من أهل النار، و لعله- لو صحت الروايه- لمّا علم أنه قتل نفسه، قال: (هو من أهل النار) كما ورد فى ذيل روايه الواقدى و المعتزلى (1) فذيل الروايه مقبول، دون صدرها.

و كقضيه العرجون، فإنها إن لم تكن مع على (عليه السلام)، فإننا نظن أنها قد جعلت فى مقابل ذى الفقار لعلى (عليه السلام). و حسبنا ما ذكرنا هنا، فإن الكلام حول كل ما تقدم يطول.

الصبر فى الجهاد:

لقد رأينا فى واقعه أحد أن اللّه تعالى قد أنزل آيات فى سوره آل عمران ترتبط بالصبر فى هذا المقام. و نحن نختار منها الآيات التاليه:

قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ: أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (2).

و قال: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَ ما ضَعُفُوا، وَ مَا اسْتَكانُوا. وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (3).

ثم هناک آيات أخرى فى سوره آل عمران تؤنب المؤمنين على عدم

1- راجع: المغازى ج 1 ص 263/ 264، و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 14 ص 161.
2- آل عمران: 142.
3- آل عمران: 146.

صبرهم فی أحد، و فیها إشارات لحقائق مهمه فی حرب أحد لا مجال لبحثها الآن، غیر أننا نکتفی هنا بإشاره موجزه جدا للصبر فی الجهاد، فنقول:

الصبر فی عرف الإستعمار، و فی عرف الحکام الظالمین، و الجبابره المتکبرین، هو تحمل الذل، و الإستسلام لکل المخططات الهدامه التی تهدم حیاه الإنسان، و مستقبله، و قیمه، و أخلاقه، و دینه، تهدمها لتبنی علی أشلائها عروش الظلم و الخیانه، و ملک الجبارین و المستکبرین.

و لقد تسرب هذا المعنی للصبر إلی عقائد بعض المسلمین، عن طریق العلماء المزیفین، الذین جعلوا أنفسهم أداه للإستعمار و لأذنابه، و آله فی ید أولئک الحکام الظالمین، فحوروا دین اللّه علی وفق أهداف أسیادهم، و حسبما یخدم مصالحهم، و یؤید و یسدد سلطانهم.

و لکننا إذا رجعنا- خلوا عن هذه السوابق الذهنیه- إلی المنبع الأصفی للإسلام و القرآن العظیم، و إلی مواقف و تعالیم النبی الکریم، و أهل بیته الأطیبین الأطهرین، فإننا نجد: أن للصبر مفهوما یختلف تماما عن هذا المفهوم، بل هو یناقضه و یباینه.

إن الصبر فی مفهوم هؤلاء هو تحمل کل المشاق فی سبیل الوصول إلی الأهداف النهائیه النبیله لهذا الإنسان، و ینسب لعیسی (علیه السلام):

قوله: إنکم لا تدرکون ما تأملون إلا بالصبر علی ما تکرهون (1).

و عن علی (علیه السلام): الصبر من الإیمان بمنزله الرأس من الجسد (2).

و قد قال أمیر المؤمنین (ع): لا یعدم الصبور الظفر و إن طال

1- البحار ج 79 ص 137 ط بیروت.
2- نهج البلاغه ج 3 ص 168.

الزمان (1). و نسب إليه أيضا قوله: الصبر سيف لا ينبو، و مطيه لا تكبو، و ضياء لا يخبو (2).

و قال (ع): لنا حق فإن أعطيناه، و إلا ركبنا أعجاز الإبل و إن طال السرى (3).

فالصبر فى الإسلام هو الصبر على تحمل الأذى فى محاربه الظلم، و القضاء عليه (الذى هو أحد هذه الأهداف). و لذلک نجدهم فى مقام الثبات فى الحرب المدمره، يقولون: رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً، وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا، وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (4). و يقولون فى مواجهه فرعون:

رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً، وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (5).

و هذا هو الصبر الذى أراده الحسين (عليه السلام) حينما كانت السيوف و الرماح تأكل أصحابه، و أهل بيته، و هو يقول لهم: صبرا على الموت يا بنى عمومتى (6).

نعم، إن الصبر هو تحمل الآلام و المتاعب فى سبيل الوصول إلى الهدف الأسمى كما قلنا، تماما كما فعل نوح و غيره من الأنبياء، و لا سيما نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم .

و الهدف الأسمى هو العبوديه المطلقه للّه تعالى، و رفض كل عبوديه لسواه. و هو أمر صعب؛ لأنه لا ينسجم مع هوى النفس، التى تنفر من

1- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 3 ص 191.
2- نهج البلاغه ج 3 ص 155.
3- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 3.
4- سوره البقره: 250.
5- سوره الأعرف: 126.
6- مقتل الحسين للمقرم ص 318 و 322.

العبوديه، و تميل إلى التحلل من كل القيود. و لذلک كان الصبر عن المعصيه، و الصبر على الطاعه، من عزم الأمور، يحتاج إلى جهد، و إلى تعب و مشقه، و قدره على التحمل.

بل إن كل حق لا بقاء له بدون الصبر، و قد كان صبر الأنبياء و الأوصياء من أهم أسباب بقاء الحق.

كما أن الصبر يدرّب الإنسان على التقوى، و يرفع من مستوى قدرته على قياده نفسه، لأن الصبر لا يتحقق إلا بأن يقود هو نفسه، لا أن تقوده نفسه؛ و إذا استطاع أن يقود نفسه، و إذا كانت هى أقوى و أعتى من يواجه؛ فإن قدرته على أن يقوم بمهمه قياده الآخرين، و هدايتهم إلى الصراط المستقيم، و إلى هدى رب العالمين، تكون أعظم و أشد، و أكثر فعاليه؛ و لذا قال الصادق (عليه السلام): الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، و أفضل منه الصبر على المحارم (1).

و قال أمير المؤمنين (ع): من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائسا (2).

و من الأمور الجديره بالتسجيل بالنسبه للصبر فى الحرب، قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَهً فَاثْبُتُوا، وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لا تَنازَعُوا؛ فَتَفْشَلُوا، وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (3).

فإننا نجد أنه فى حين هو يأمرهم بالثبات فى الحرب، يأمرهم بأن يذكروا اللّه كثيرا، و ذلک من أجل أن يبقوا محتفظين بالهدف الأسمى الذى

1- البحار ط بيروت ج 68 ص 95.
2- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 20 ص 318.
3- الأنفال: 45/ 46.

يفترض فيهم السعى إليه، و أن يجعلوه نصب أعينهم، و لا يصرفهم الدفاع عن نفوسهم عن ذكر اللّه تعالى. و طبيعى: أن كثره ذكر اللّه منهم سوف تذكّرهم بأن اللّه بيده كل شى ء، و أنه هو الذى ينصرهم على عدوهم، و هو مصدر عزتهم و سعادتهم، فذكرهم للّه سوف يقويهم على الثبات، و يدعوهم إلى طاعته، و طاعه رسوله، و أن لا يتنازعوا، و أن يصبروا؛ فذكر اللّه هو مفتاح النصر فى جميع المجالات، ثم الوصول إلى الهدف الأقصى، و هو إقامه دين الحق، و نصر اللّه: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ.

الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح

اشاره

ص: 250

ما جرى على حمزه و الشهداء:

اشاره

قد تقدم بعض الكلام فى كيفيه استشهاد حمزه بن عبد المطلب رضوان اللّه تعالى عليه؛ و أن أبا سفيان كان يضرب شدق حمزه بزج الرمح، ثم طلب من رفيقه أن يستر عليه هذه الزله. و علقنا عليها بما سمح لنا به المجال.

بقى أن نشير هنا إلى أمور و ممارسات أخرى ظهرت بالنسبه إلى الشهداء و هى التاليه:

1- إن هند زوجه أبى سفيان، قد أتت مصرع حمزه؛ فمثلت به، و جدعت أنفه، و قطعت أذنيه و مذاكيره، ثم جعلت ذلک كالسوار فى يديها، و قلائد فى عنقها، و استمرت كذلک حتى قدمت مكه.

و كذلک فعل النساء بسائر الشهداء الأبرار.

و زادت هى عليهم: أنها بقرت بطن حمزه، و استخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها (1). و يقال: إنها كانت قد نذرت ذلک (2).

1- راجع ما تقدم فى المغازى للواقدى ج 1 ص 286، و السيره الحلبيه ج 2 ص 243 و 244، تاريخ الخميس ج 1 ص 439، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 97، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 204، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 97.
2- السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 97، و السيره الحلبيه ج 2 ص 243.

فيقال: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لما بلغه إخراجها كبد حمزه قال: هل أكلت منه شيئا؟

قالوا: لا.

قال: إن اللّه قد حرّم على النار أن تذوق من لحم حمزه شيئا أبدا (1)، أو: ما كان اللّه ليدخل شيئا من حمزه إلى النار (2).

و ليتأمل بعد فيما يقال حول إسلامها، و إيمانها، ثم الحكم لها بالجنه، كغيرها ممن هم على شاكلتها!!.

2- و أقبلت صفيه لتنظر أخاها، فالتقت بعلى (عليه السلام)؛ فقال:

إرجعى يا عمه؛ فإن فى الناس تكشفا، فسألته عن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، فقال:

صالح. قالت: أدللنى عليه حتى أراه؛ فأشار إليه إشاره خفيه من المشركين،- لعلهم كانوا لا يزالون قريبين من هناك، و يخشى كرّتهم فيما لو علموا: أن عليا بعيد عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم - فأقبلت إليه، فأمر صلى الله عليه و آله وسلم الزبير بإرجاعها، حتى لا ترى ما بأخيها.

فقالت للزبير: و لم؟ و قد بلغنى: أنه قد مثّل بأخى، و ذلك فى اللّه قليل؛ فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن و لأصبرن إن شاء اللّه.

فسمح لها النبى صلى الله عليه و آله وسلم برؤيته، فنظرت إليه، فصلت عليه، و استرجعت، و استغفرت له. كذا فى الإكتفاء (3).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 244، و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 413 عن أحمد.
2- مسند الإمام أحمد ج 1 ص 463، و تفسير القمى ج 1 ص 117، و مجمع الزوائد ج 6 ص 110 عن أحمد، و البدايه و النهايه ج 4 ص 41، و البحار ج 20 ص 55 عن القمى ..
3- راجع ما تقدم فى: مغازى الواقدى ج 1 ص 289، و تاريخ الخميس ج 1 ص 441 و 442، و حياه الصحابه ج 1 ص 570/ 571، و مستدرک الحاكم ج

3 ص 198 و 199، و ليراجع تاريخ الطبرى ج 2 ص 208 و 207، و الكامل لإبن

و يقال: إن الأنصار هم الذين حالوا بينها و بين رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (1).

3- و فى الصفوه: أنها جاءت بثوبين لتكفين حمزه، فإذا إلى جنبه أنصارى قتيل، قد مثّل به، فوجدوا غضاضه و حياء أن يكفنوا هذا، و يتركوا ذاک، فأقرعوا بين الثوبين؛ فأصاب الأنصارى أكبر الثوبين، فكفن حمزه بالآخر، فلف على قدمى حمزه ليف و اذخر (2).

4- و كان لحمزه يوم قتل تسع و خمسون سنه، و صلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم عليه، و كبر سبع تكبيرات. ثم صاروا يأتون بالقتلى، و يضعونهم إلى جانبه، فيصلى عليه و عليهم حتى صلى عليه إثنتين و سبعين صلاه. كذا فى الطيبى (3).

و لكننا نشک فيما ذكر عن مقدار عمره بملاحظه ما تقدم فى حديث إراده عبد المطلب ذبح ولده عبد اللّه، حين ولد له أولاده العشره.

كما أننا نجد عليا (عليه السلام) يذكر: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد خص حمزه بسبعين تكبيره (4). فلعله كبر عليه سبعين، ثم صلى عليه سبعين صلاه أخرى.

1- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 17، و مغازى الواقدى ج 1 ص 290، و مجمع الزوائد ج 6 ص 119 و 120.
2- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 441 و 442.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 242.
4- نهج البلاغه بشرح عبده ج 3 ص 35.

5- قال ابن إسحاق: و مر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم - حين رجع إلى المدينه- بدور من الأنصار؛؛ فسمع بكاء النوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ثم قال: لكن حمزه لا بواكى له.

فأمر سعد بن معاذ، و يقال: و أسيد بن حضير نساء بنى عبد الأشهل: أن يذهبن و يبكين حمزه أولا، ثم يبكين قتلاهن.

فلما سمع صلى الله عليه و آله وسلم بكاءهن، و هن على باب مسجده أمرهن بالرجوع، و نهى صلى الله عليه و آله وسلم حينئذ عن النوح، فبكرت إليه نساء الأنصار، و قلن: بلغنا يا رسول اللّه، أنک نهيت عن النوح، و إنما هو شى ء نندب به موتانا، و نجد بعض الراحه؛ فأذن لنا فيه.

فقال: إن فعلتن فلا تلطمن، و لا تخمشن، و لا تحلقن شعرا، و لا تشققن جيبا (1) قالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا إمرأه قط إلا بدأت بحمزه إلى يومنا هذا.

6- و لما أراد معاويه أن يجرى عينه التى بأحد، كتب إلى عامله بالمدينه بذلک، فكتبوا إليه: إنّا لا نستطيع أن نخرجها إلا على قبور الشهداء.

فكتب: أنبشوهم.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 254، و تاريخ الخميس ج 1 ص 444 عن المنتقى، و ليراجع كامل ابن الأثير ج 2 ص 167، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 210، و ليراجع: العقد الفريد، و البدايه و النهايه ج 4 ص 48، و مسند أحمد ج 2 ص 40 و 84 و 92، و الإستيعاب ترجمه حمزه. و مسند أبى يعلى ج 6 ص 272 و 293/ 294، و فى هامشه عن المصادر التاليه: مجمع الزوائد ج 6 ص 120، و عن الطبقات الكبرى ج 3 قسم 1 ص 10، و عن سنن ابن ماجه ج 3 ص 95 فى السيره و فى الجنائز الحديث رقم 1591، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 195، و عن سيره ابن هشام ج 2 ص 95 و 99.

قال جابر: فلقد رأيتهم يحملون على أعناق الرجال، كأنهم قوم نيام. و أصابت المسحاه طرف رجل حمزه؛ فانبعثت دما.

قال أبو سعيد: لا ينكر بعد هذا منكر أبدا (1).

7- و مرّ أبو سفيان بعد إسلامه بأحد، فقيل له: أى يوم لک ها هنا.

فقال: و الآن لو وجدت رجالا (2).

8- مر أبو سفيان فى أيام عثمان بقبر حمزه، و ضربه برجله، و قال:

يا أبا عماره، إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس فى يد غلماننا اليوم يتلاعبون به (3).

و كل ذلک يوضح حقيقه ما يقال عن ايمان أبى سفيان، و ولده معاويه، و زوجته هند !!!.

9- و أما عن شرب حمزه للخمر حين خروجه إلى أحد، فقد أثبتنا أنه كذب، فراجع ما تقدم حين الكلام حول تحريم الخمر حين الكلام عن زواج على (ع).

1- راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 443 عن الصفوه و المنتقى، و المصنف ج 3 ص 547 و ج 5 ص 277، و السيره الحلبيه ج 2 ص 250، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 264، و مغازى الواقدى ج 1 ص 267/ 268، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 5 قسم 1 و قسم 2 ص 78، و ليراجع حياه الصحابه ج 3 ص 659- 661، و البدايه و النهايه ج 4 ص 43، و دلائل أبى نعيم ص 499، و كنز العمال ج 10 ص 270 و ج 8 ص 270، و عن ابن سعد و راجع: فتح البارى ج 3 ص 142، و وفاء الوفاء ج 3 المجلد الثانى ص 938 عن أحمد بسند صحيح، و الدارمى كما فى الأوجز ج 4 ص 108، و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 291.
2- ربيع الأبرار ج 1 ص 559.
3- قاموس الرجال ج 10 ص 89 و ج 5 ص 116، و الغدير ج 10 ص 83 كلاهما عن شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 51 ط قديم.

أما نحن فنشير إلى الأمور التاليه:

ألف: موقف الرسول من المثله بحمزه:

اشاره

إنهم يقولون: إنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها فى واقعه أحد، سأل (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) عن عمه حمزه بن عبد المطلب، فالتمسوه، فوجدوه على تلک الحاله المؤلمه، حيث كانت هند أم معاويه، و زوجه أبى سفيان قد مثلت به؛ فجدعت أنفه، و قطعت أذنيه، و بقرت بطنه، و استخرجت كبده، فلاكتها، و لم تستطع أن تسيغها، إلى غير ذلک من ممارسات وحشيه تجاه تلک الجثه الطاهره. تقدمت الإشاره إليها.

فجاء (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، فوقف عليه، فيقال: إنه (صلى اللّه عليه و آله) لما رآه فى تلک الحاله قال: (لو لا أن تحزن صفيه، و تكون سنه من بعدى، لتركته حتى يكون فى بطون السباع، و حواصل الطير (1).

أوقال: لسرّنى أن أدعک حتى تحشر من أفواه شتى (2)، و لئن أظهرنى اللّه على قريش يوما من الدهر فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم) (3).

و المسلمون أيضا قالوا: (و اللّه، لئن أظفرنا اللّه بهم يوما من الدهر، لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب) (4).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 248، و تاريخ الخميس ج 1 ص 441، و مغازى الواقدى ج 1 ص 289، و مجمع الزوائد ج 6 ص 119، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 196.
2- دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 288.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 246، و تاريخ الخميس ج 1 ص 441.
4- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 135، و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه، و السيره الحلبيه ج 2 ص 246، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه) ج 2 ص 53، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 101، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 161، و سيره ابن إسحاق ص 335.

و يقال: إنه صلى الله عليه و آله وسلم بكى و شهق، و قال: رحمه اللّه عليک، لقد كنت فعولا للخير، وصولا للرحم، أم و اللّه لأمثلن بسبعين منهم مكانک. فنزل جبريل بقوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. فعفا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) و صبر.

و فى روايه، قال: أصبر، و نهى عن المثله. و فى أخرى: كفر عن يمينه (1).

و نقول:

إن بكاءه صلى الله عليه و آله وسلم على حمزه لا مانع منه، و أما ما سوى ذلک مما ذكر آنفا؛ فنحن نشک فى صحته.

و نعتقد أنه كقضيه ممارسه عمل المثله الشنيع المنسوب له صلى الله عليه و آله وسلم زورا و بهتانا، قد وضع بهدف إظهار رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كأحد الناس، الذين يتعاملون مع القضايا من موقع الإنفعال و العصبيه للقبيله و الرحم، و لتبرّر بذلک جميع المخالفات التى ارتكبها و يرتكبها الحكام الظالمون.

1- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 135 عن مصادر كثيره و راجع: التفسير الكبير ج 20 ص 141، و الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 201، و جامع البيان ج 14 ص 131، و غرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج 14 ص 132، و التبيان ج 6 ص 440، و مجمع البيان ج 6 ص 393، و لباب التأويل للخازن، و مدارک التنزيل بهامشه ج 3 ص 143، و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 3 ص 388، و مجمع الزوائد ج 6 ص 119، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 197، و السيره الحلبيه ج 2 ص 246، و السيره النبويه لدحلان بهامش الحلبيه ج 2 ص 53، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 97، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 102، و تاريخ الأمم و الملوک ط دار المعارف ج 2 ص 529، و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 161، و سيره ابن إسحاق ص 335، و مسند أحمد ج 5 ص 135، و تاريخ الخميس ج 1 ص 441، و الروايات بهذه المعانى تجدها فى مختلف كتب الحديث و التاريخ التى تتعرض لغزوه أحد، و لا يكاد يخلو منها كتاب كلا أو بعضا، فراجع.

كما أن ذلک يسقط قول و فعل الرسول صلى الله عليه و آله وسلم عن الاعتبار و الحجيه، فلا يبقى لما ورد عنه صلى الله عليه و آله وسلم من ذم لمن يحبهم بعض الناس تأثير يذكر.

أما ما نستند إليه فى حكمنا على هذه الأقاويل بالوضع و الإختلاق، فهو الأمور التاليه:

1- إن ذلک لا ينسجم مع روحيه و أخلاق و إنسانيه النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)، و لا ينسجم حتى مع روح التدبير للأمور العامه، من قبل أى إنسان حكيم، مدبر للأمور، و لا مع سياسه الأمم بالمعنى الصحيح و السليم للسياسه.

و ذلک لأنه لا مبرر لإبقاء جثه شهيد فى الصحراء، تصهرها أشعه الشمس، عرضه للوحوش و السباع و الطير، و لا فائده فى إجراء كهذا.

إذ من الواضح: أن ذلک لا يعتبر انتقاما من قريش، و لا أداء لحق ذلک الشهيد العظيم، إن لم يكن إساءه و إهانه له، بملاحظه أن إكرام الميت دفنه.

ثم، أوليست إنسانيته صلى الله عليه و آله وسلم و أخلاقه الرفيعه هى التى أملت عليه حتى أن يغيّب جثث قتلى المشركين فى قليب بدر؛ فكيف بالنسبه لهذا الشهيد العظيم، أسد اللّه و أسد رسوله؟!!

و يحاول البعض أن يدعى: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يقصد مدلول هذا الكلام، و إنما هو يريد فقط أن يظهر مظلوميته و وحشيه الطرف الآخر، أبى سفيان و أصحابه.

و لكنها محاوله فاشله، فإننا نجلّ النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) عن أمر كهذا، و لا يجوز نسبته إليه؛ لأن معناه إمكانيه التشكيک فى كثير من أقواله، و مواقفه، و أفعاله (صلى اللّه عليه و آله).

أضف إلى ذلک: أن ما جرى لحمزه (عليه السلام) قد جرى مثله

لغیره من الشهداء، و إن کان ما جری لحمزه (علیه السلام) أفظع و أبشع.

فلماذا اختص غضبه صلی الله علیه و آله وسلم بما جری لعمه و حسب؟!.

ثم إن المفروض بهذا النبی العظیم، هو أن یظهر الجلد و الصبر لا الجزع و الحزن، إلا بالنحو المعقول و المقبول، و إلا فما وجه اللوم لغیره ممن فقد الأهل و الأحبه، إن تجاوز حدّه، و ظهر منه ما لا ینبغی فی مناسبات کهذه؟!

2- قولهم علی لسانه صلی الله علیه و آله وسلم : إنه إن ظفر بقریش فسیمثل بثلاثین.

مرفوض أیضا؛ إذ هذه جثث قتلی المشرکین أمامه، و هی إثنان أو ثمانیه و عشرون جثه، بل و أکثر من ذلک، کما یظهر من بعض النصوص، فلماذا لا یمثل بها، و یشفی غلیل صدره منها؟!

و لم لم یبادر المسلمون- بدورهم- إلی التمثیل بتلک الجثث التی ترکها أصحابها و فروا خوفا من أن یدال المسلمون منهم، کما فروا من قبل فی بدر؟!

3- أما نزول الآیه الکریمه ردّا علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) و هی قوله تعالی: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ؛ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ (1).

فلا یصح أیضا، لأن الآیه مکیه؛ لأن سوره النحل قد نزلت فی مکه، و أحد قد کانت فی السنه الثالثه من الهجره (2).

و القول: بأن سوره النحل کلها قد نزلت فی مکه إلا هذه الآیات إنما یستند إلی هذه الروایات بالذات، فلا حجه فیه.

إن قلت: قد تحدثت السوره عن المهاجرین، و هذا یناسب أن تکون

1- سوره النحل الآیه: 126.
2- راجع: السیره الحلبیه ج 2 ص 246 عن ابن کثیر، و القول بأن الآیه مدنیه لا عبره به لأنه یستند إلی هذه الروایه.

السوره قد نزلت بعد الهجره.

فالجواب: أنه لم يثبت ان المقصود هو الهجره الى المدينه فان الهجره الى الحبشه كانت قد حصلت و المسلمون فى مكه، فلعلها هى المقصوده.

و القول: بأن ذلک مما تكرر نزوله (1).

أولا: يحتاج إلى إثبات.

و ثانيا: يلزمه أن يكون النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد خالف الحكم الإلهى الثابت، فاحتاج اللّه إلى تذكيره بأن موقفه هذا مخالف لنص تلک الآيه التى لديه!!.

و ثالثا: قد روى عن ابن عباس فى قوله: فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال: هذا حين أمر اللّه نبيه أن يقاتل من قاتله؛ ثم ذكر أنها نسخت ببراءه (2).

و عن ابن زيد، قال: كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين، فأسلم رجال ذوو ممنعه، فقالوا: يا رسول اللّه لو أذن اللّه لا نتصرنا من هؤلاء الكلاب؛ فنزلت هذه الآيه، ثم نسخ ذلک؛ بالجهاد (3).

4- إن قولهم: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) قد نهى فى هذه المناسبه عن المثله.

محل نظر؛ و ذلک لما ورد عن سعيد، عن قتاده، عن أنس- فذكر حديث العرنيين- و فى آخره، قال: قال قتاده: و بلغنا أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 246.
2- الدر المنثور ج 4 ص 135 عن ابن جرير، و ابن مردويه.
3- الدر المنثور ج 4 ص 135 عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

بعد ذلک یحث علی الصدقه، و ینهی عن المثله (1).

و یقول العسقلانی، عن ابن عقبه فی المغازی: (و ذکروا: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم نهی بعد ذلک عن المثله بالآیه التی فی سوره المائده، و إلی هذا مال البخاری، و حکاه إمام الحرمین فی النهایه عن الشافعی) (2).

فکلام قتاده السابق صریح فی أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) قد نهی عن المثله بعد قضیه العرنیین، و کانت بعد قصه أحد؛ لأنها کانت فی حدود السنه السادسه (3).

أضف إلی ذلک: ما ذکره سعید بن جبیر، الذی أضاف فی قصه العرنیین قوله: (فما مثل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قبل و لا بعد، و نهی عن المثله) (4).

فمعنی ذلک هو أن رسول اللّه لم یمارس هذا الفعل الشنیع أصلا، کما أنه قد نهی من کان بصدد ممارسته.

و نحن بدورنا لنا کلام فی قصه العرنیین هذه، حیث إننا نرفض أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلّم) قد مثّل بهم، و لا سیما بملاحظه ما قدمناه آنفا، عن سعید بن جبیر.

و قد أنکر أبو زهره ذلک أیضا (5).

1- راجع: صحیح البخاری ط سنه 1309 ه. ج 3 ص 31، و نصب الرایه للزیلعی ج 3 ص 118 عن البخاری و مسلم و سنن البیهقی ج 9 ص 69، و نیل الأوطار ج 7 ص 151.
2- فتح الباری ج 1 ص 294.
3- راجع: المصنف ج 9 ص 259، و البخاری، و مسلم، و غیر ذلک.
4- الإعتبار فی الناسخ و المنسوخ ص 208- 211، و فتح الباری ج 7 ص 369.
5- أبو حنیفه لمحمد أبی زهره ص 250.

و كان على بن حسين ينكر حديث أنس فى أصحاب اللقاح: أخبرنا ابن أبى يحيى، عن جعفر، عن أبيه، عن على بن حسين قال: لا و اللّه، ما سمل رسول اللّه عينا و لا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم و أرجلهم (1).

و لكن ما يهمنا هنا: هو أن ما ذكروه فى قصه العرنيين يتنافى بشكل ظاهر مع كونه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) قد نهى عن المثله فى أحد.

و لو أغمضنا النظر عن ذلک؛ فإن ما نقلناه عن العسقلانى آنفا يدل على أن نهيه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) عن المثله، إنما كان فى أواخر أيام حياته؛ لأن سوره المائده قد كانت من أواخر ما نزل عليه (صلى اللّه عليه و آله).

نعم، يمكن أن يكون صلى الله عليه و آله وسلم قد قطع أيدى و أرجل العرنيين من خلاف، لأنهم مفسدون فى الأرض. و ذلک هو الحكم الثابت لمن يكون كذلک. ثم زاد الرواه و أصحاب الأغراض على ذلک ما شاؤا.

5- إنهم يقولون: إن أبا قتاده جعل يريد التمثيل بقريش لما رأى من المثله؛ فمنعه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) (2).

و هذا هو المناسب لأخلاقه و سجاياه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم).

أما أبو قتاده فإنه ان صح ما نقل عنه يكون قد تصرف هنا بوحى من انفعاله و تأثره، الناجم عن ثورته النفسيه بسبب ذلک المشهد المؤلم.

كما أننا نشک فى ما جاء فى ذيل هذه الروايه، الذى يذكر: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قرّض قريشا فى هذه المناسبه، حتى قال: إنه عسى إن طالت

1- الأم ج 4 ص 162.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 241، و راجع: مغازى الواقدى ج 1 ص 290/ 291، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 17.

بأبى قتاده المده أن يحقر أعماله مع أعمالهم (1). فإننا نعتقد أن هذه التقريظات من تزيّد الرواه تزلفا للحكام الأمويين- كما عودونا فى مناسبات كثيره- فى مقابل على (عليه السلام)، و أهل بيته، لفسح المجال أمام تنقصهم و الطعن بهم. و يكفى أن نتذكر هنا موقف قريش من على (عليه السلام) و أهل البيت؛ حيث نجده (ع) يصفها بأسوأ ما يمكن، بسبب موقفها السى ء هذا.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (فدع عنک قريشا، و تركاضهم فى الضلال، و تجوالهم فى الشقاق، و جماحهم فى التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قبلى؛ فجزت قريشا عنى الجوازى؛ فقد قطعوا رحمى، و سلبونى سلطان ابن عمى) (2).

هذا و لا بد أن لا ننسى هنا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قال لعلى (ع): حربک حربى، و سلمک سلمى (3).

و قال على (عليه السلام): (اللهم إنى أستعديک على قريش [و من أعانهم]؛ فإنهم قد قطعوا رحمى، و أكفأوا إنائى، و أجمعوا على منازعتى

1- راجع المصادر المتقدمه.
2- راجع: نهج البلاغه، شرح عبده، باب الرسائل رقم 36، و باب الخطب رقم 212 و 32، و ليراجع ص 167 و غير ذلک.
3- راجع: مناقب الإمام على (ع) لإبن المغازلى ص 50، و شرح النهج للمعتزلى ج 18 ص 24، و ينابيع الموده ص 85 و 71، و كنز الفوائد ج 2 ص 179 ط دار الأضواء، و البحار ج 37 ص 72 و ج 40 ص 43 و 177 و 190 ط مؤسسه الوفاء، و روضه الواعظين ج 1 ص 113، و تلخيص الشافى ج 2 ص 135، و راجع ميزان الإعتدال ج 2 ص 75، و راجع لسان الميزان ج 2 ص 483 ففيهما حديث معناه ذلک أيضا، و أمالى الطوسى ج 1 ص 374 و ج 2 ص 100، و أمالى الصدوق ص 343، و راجع إحقاق الحق (الملحقات) للمرعشى النجفى ج 6 ص 440 و ج 4 ص 258 و ج 7 ص 296 و ج 13 ص 70 عن مصادر كثيره.

حقا كنت أولى به من غيرى) (1).

و قال (عليه السلام): (ما لى و لقريش، و اللّه لقد قاتلتهم كافرين، و لأقاتلنهم مفتونين، و إنى لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم) (2).

و لأبى الهيثم بن التيهان كلام جيد، حول موقف قريش من على، من أراده فليراجعه (2).

و فيه يحلل أبو الهيثم سر عداء قريش لأمير المؤمنين (عليه السلام)، و أنه إنما كان بسبب بغيها و حسدها له، و عدم قدرتها على اللحاق به. و قد ذكرنا شطرا كبيرا من النصوص الداله على ذلک مع مصادرها، فى مقال لنا بعنوان الغدير و المعارضون.

هذا كله .. عدا عما كان فى صدور قريش من حقد على بنى هاشم عموما، و على الأنصار أيضا. و قد مرّ فى جزء سابق من هذا الكتاب فى فصل سرايا و غزوات قبل بدر إلماحه عن موقف قريش من الأنصار فليراجع ذلک هناک.

و أخيرا نقول: ان هذه كانت حاله قريش بعد طول المده، فكيف يحقر أبو قتاده أعماله مع أعمالها؟! و كيف يكون لها ذلک المقام المحمود عند اللّه تعالى؟!.

ما هو الصحيح فى القضيه:

و لعل الصحيح هنا هو قضيه أبى قتاده المتقدمه، و إن كان قد تزيّد الرواه فيها تزلفا للحكام، كما أشرنا.

يضاف إلى ذلک: ما رواه غير واحد عن أبى بن كعب (رض)، قال:

1- و (2) راجع: الهامش ما قبل الأخير.
2- الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 316 و 317.

لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعه و ستون رجلا، و من المهاجرين سته، منهم حمزه. فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا، لنربينّ عليهم.

فلما كان يوم فتح مكه أنزل اللّه: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فقال رسول اللّه صلى الله علیه و آله وسلم :

نصبر، و لا نعاقب، كفوا عن القوم إلا أربعه.

و حسب نص ابن كثير: عن عبد اللّه بن أحمد: فلما كان يوم الفتح، قال رجل: لا تعرف قريش بعد اليوم؛ فنادى مناد: إن رسول اللّه صلى الله علیه و آله وسلم قد أمن الأسود و الأبيض إلا فلانا و فلانا، ناسا سماهم، فأنزل اللّه إلخ (1).

و عن الشعبى، و ابن جريج ما يقرب من هذا أيضا باختصار (2).

و فى روايه: أن المسلمين لما رأوا المثله بقتلاهم قالوا: لئن أنالنا اللّه منهم لنفعلن، و لنفعلن، فأنزل اللّه: و إن عاقبتم الآيه، فقال رسول اللّه صلى الله علیه و آله وسلم : بل نصبر (3).

لكن ما تذكره هذه الروايات من أن الآيه قد نزلت فى هذه المناسبه محل نظر، و ذلک لما قدمناه من كونها مكيه، و يمكن أن يكون الرسول (صلى اللّه علیه و آله و سلّم) عاد فذكّرهم بالآيه، مبالغه منه (صلى اللّه علیه و آله و سلّم) فى زجرهم عن ذلک، فتوهّم الراوى: أن الآيه قد نزلت فى هذه المناسبه.

1- الدر المنثور ج 4 ص 135 عن: الترمذى، و حسّنه، و عبد اللّه بن أحمد فى زوائد المسند، و النسائى و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و الحاكم و صححه، و البيهقى فى الدلائل، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 592.
2- تفسير ابن كثير ج 2 ص 592.
3- الدر المنثور ج 4 ص 135 عن ابن جرير، و مصنف ابن أبى شيبه، و راجع: البحار ج 20 ص 21 عن مجمع البيان.

ب: هند، و کبد حمزه:

قد تقدم أنه صلی الله علیه و آله وسلم لما بلغه محاوله هند أکل کبد حمزه فلم تستطع أن تسیغها، قال: ما کان اللّه لیدخل شیئا من حمزه النار، أو نحو ذلک.

قاال الحلبی: (أی و لو أکلت منه، أی استقر فی جوفها لم تمسها النار) (1).

و هو تفسیر غریب و عجیب حقا!! فإن ظاهر کلامه صلی الله علیه و آله وسلم : أن هندا من أهل النار، و قد أبی اللّه أن یدخل شیئا من حمزه النار.

و لو صح تفسیر الحلبی مع حکمهم بأن هندا قد أسلمت و ستدخل الجنه، لکان اللازم أن تسیغ ما أکلته من کبده، و یستقر فی جوفها، لأن هندا ستدخل الجنه!! فلتکن تلک القطعه معها، لتدخل الجنه کذلک!!.

نعم و هذا ما یرمی إلیه الحلبی، فإن له کلاما طویلا فی المقام یدخل فیه هندا الجنه. و قد دفعه هواه إلی تفسیر کلام النبی صلی الله علیه و آله وسلم بصوره جعلته یصبح بلا معنی و لا مدلول.

ج: المنع من البکاء علی المیت:

اشاره

لقد بکی النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی حمزه، و قال: أما حمزه فلا بواکی له.

و بعد ذلک بکی علی جعفر، و قال: علی مثل جعفر فلتبک البواکی. و بکی علی ولده إبراهیم، و قال: تدمع العین، و یحزن القلب، و لا نقول إلا ما یرضی الرب. و بکی کذلک علی عثمان بن مظعون، و سعد بن معاذ، و زید بن حارثه، و بکی الصحابه، و بکی جابر علی أبیه، و بشیر بن عفراء علی أبیه أیضا، إلی غیر ذلک مما هو کثیر فی الحدیث و التأریخ (2).3.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 244.
2- راجع: النص و الإجتهاد ص 230- 234، و الغدير ج 6 ص 159- 167،و دلائل الصدق ج 3 قسم 1 ص 134/ 136 عن عشرات المصادر الموثوقه، و الإستيعاب (بهامش الإصابه) ترجمه جعفر ج 1 ص 211، و منحه المعبود ج 1 ص 159، و كشف الأستار ج 1 ص 381 و 383 و 382، و الإصابه ج 2 ص 464، و المجروحون ج 2 ص 92، و السيره الحلبيه ج 2 ص 89 و راجع ص 251، و وفاء الوفاء ج 3 ص 894 و 895 و راجع ص 932 و 933، و حياه الصحابه ج 1 ص 571، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 396 و ج 2 ص 313.

فكل ذلک فضلا عن أنه يدل على عدم المنع من البكاء، فإنه يدل على مطلوبيه البكاء، و على رغبته صلى الله عليه و آله وسلم فى صدوره منهم.

و لكننا نجد فى المقابل: أن عمر بن الخطاب يمنع من البكاء على الميت و يضرب عليه؛ و يفعل ما شاءت له قريحته فى سبيل المنع عنه، و يروى حديثا عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم مفاده: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه (1).

مع أننا نجد أنه هو نفسه قد أمر بالبكاء على خالد بن الوليد (2).

و قد بكت عائشه على إبراهيم (3) و بكى أبو هريره على عثمان،9.

1- راجع المصادر المتقدمه و الغدير و غيره عن عشرات المصادر الموثوقه، و كذا منحه المعبود ج 1 ص 158، و فى ذكر أخبار أصبهان ج 1 ص 61 عن أبى موسى، و الطبقات لابن سعد ج 3 ص 209 و 346 و 362. و راجع: تأويل مختلف الحديث ص 245.
2- التراتيب الإداريه ج 2 ص 375، و الإصابه ج 1 ص 415، و صفه الصفوه ج 1 ص 655، و أسد الغابه ج 2 ص 96، و حياه الصحابه ج 1 ص 465 عن الإصابه، و المصنف ج 3 ص 559، و فى هامشه عن البخارى و ابن سعد و ابن أبى شيبه، و تاريخ الخميس ج 2 ص 247، و فتح البارى ج 7 ص 79، و الفائق ج 4 ص 19، و ربيع الأبرار ج 3 ص 330، و راجع: تاريخ الخلفاء ص 88، و راجع: لسان العرب ج 8 ص 363.
3- منحه المعبود ج 1 ص 159.

و الحجاج على ولده (1) و بكى صهيب على عمر (2) و هم يحتجون بما يفعله هؤلاء.

و بكى عمر نفسه على النعمان بن مقرن، و على غيره (3) و قد نهاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم عن التعرض للذين يبكون موتاهم (4).

كما أن عائشه قد أنكرت عليه و على ولده عبد اللّه هذا الحديث الذى تمسک به، و نسبته إلى النسيان، و قالت:

(يرحم اللّه عمر، و اللّه، ما حدث رسول اللّه: إن اللّه ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، لكن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قال: إن اللّه ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه. قالت: حسبكم القرآن: و لا تزر وازره وزر أخرى) (5).

1- راجع: طبقات ابن سعد ج 3 ط صادر ص 81، و فى الثانى ربيع الأبرار ج 2 ص 586.
2- طبقات ابن سعد ج 3 ص 362، و منحه المعبود ج 1 ص 159.
3- الغدير ج 1 ص 164 و 54 و 155، عن الإستيعاب ترجمه النعمان بن مقرن و الرياض النضره المجلد الثانى جزء 2 ص 328 و 329 حول بكاء عمر على إبن ذلک الأعرابى حتى بل لحيته.
4- راجع الغدير عن المصادر التاليه: مسند أحمد ج 1 ص 237 و 235 و ج 2 ص 333 و 408، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 190 و 381، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه، و مجمع الزوائد ج 3 ص 17، و الإستيعاب ترجمه عثمان بن مظعون، و مسند الطيالسى ص 351، و سنن البيهقى ج 4 ص 70، و عمده القارى ج 4 ص 87 عن النسائى، و ابن ماجه، و سنن ابن ماجه ج 1 ص 481، و كنز العمال ج 1 ص 117، و أنساب الأشراف ج 1 ص 157، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 399 و 429، و منحه المعبود ج 1 ص 159.
5- راجع صحيح البخارى ج 1 ص 146 ط سنه 1039، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 381، و اختلاف الحديث للشافعى هامش الأم ج 7 ص 266، و جامع بيان العلم ج 2 ص 105، و منحه المعبود ج 1 ص 158، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 346، و مختصر المزنى هامش الأم ج 1 ص 187، و الغدير ج 6 ص 163 عمن

و فی نص آخر، إنها قالت: (إنما مرّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم علی یهودیه یبکی علیها أهلها، فقال: إنهم یبکون علیها و إنها لتعذب فی قبرها) (1).

و أنکر ذلک أیضا: ابن عباس، و أئمه أهل البیت (علیهم السلام)، و من أراد المزید، فعلیه بمراجعه المصادر (2).

السیاسه و ما أدراک ما السیاسه:

و نشیر هنا إلی ما قاله الإمام شرف الدین رحمه اللّه تعالی قال: (و هنا نلفت أولی الألباب إلی البحث عن السبب فی تنحی الزهراء عن البلد فی نیاحتها علی أبیها صلی الله علیه و آله وسلم ، و خروجها بولدیها فی لمه من نسائها إلی البقیع یندبن رسول اللّه، فی ظل أراکه کانت هناک، فلما قطعت بنی لها علی بیتا فی البقیع کانت تأوی إلیه للنیاحه، یدعی: بیت الأحزان. و کان هذا البیت یزار فی کل خلف من هذه الأمه) (3).

و أقول: إن من القریب جدا: أن یکون حدیث: (إن المیت لیعذب ببکاء الحی) قد حرّف عن حدیث (البکاء علی الیهودیه المتقدم)؛ لدوافع سیاسیه لا تخفی؛ فإن السلطه کانت تهتم بمنع فاطمه (علیها السلام) من البکاء علی أبیها.

فیظهر: أن هذا المنع قد استمر إلی حین استقر الأمر لصالح الهیئه

1- صحیح البخاری ج 1 ص 147.
2- راجع الغدیر، و دلائل الصدق، و النص و الإجتهاد، و غیر ذلک.
3- النص و الإجتهاد ص 234.

الحاكمه، و لذلک لم يعتن عمر بغضب عائشه، و منعها إياه من دخول بيتها حين وفاه أبى بكر، فضرب أم فروه أخت أبى بكر بدرته، و قد فعل هذا رغم أن البكاء و النوح كان على صديقه أبى بكر، و كان هجومه على بيت عائشه، و كان ضربه لأخت أبى بكر. و هو الذى كان يهتم بعائشه و يحترمها و هى المعززه المكرمه عنده، و يقدر أبا بكر و من يلوذ به، و يحترم بيته بما لا مزيد عليه.

نعم لقد فعل كلّ هذا لأن الناس لم ينسوا بعد منع السلطه لفاطمه (ع) من النوح و البكاء على أبيها. و ناهيک بهذا الإجراء جفاء و قسوه: أن يمنع الإنسان من البكاء على أبيه، فكيف إذا كان هذا الأب هو النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) أعظم، و أكمل، و أفضل إنسان على وجه الأرض.

ثم لما ارتفع المانع، و مضت مده طويله، و سنين عديده على وفاه سيده النساء (ع)، و نسى الناس أو كادوا، أو بالأحرى ما عادوا يهتمون بهذا الأمر، إرتفع هذا المنع على يد عمر نفسه، و بكى على النعمان بن مقرن الذى توفى سنه 21 ه و على شيخ آخر، و سمح بالبكاء على خالد بن الوليد، الذى توفى سنه 21 أو 22 حسبما تقدم.

و هذا غير ما تقدم قبل صفحات عن مصادر كثيره: من النهى عن خمش الوجوه، و شق الثياب، و اللطم، و النوح بالباطل. فإنه غير البكاء و هياج العواطف الإنسانيه الطبيعيه. و ذلک لأن الأول ينافى التواضع للّه عز و جل و التسليم لقضائه؛ أما الثانى فهو من مقتضيات الجبله الإنسانيه، و دليل اعتدال سجيه الإنسان. و شتان ما بينهما.

التوراه، و المنع من البكاء على الميت:

و يبدو لنا أن المنع من البكاء على الميت مأخوذ من أهل الكتاب؛

فإن عمر كان يحاول هذا المنع فی زمن النبی صلی الله علیه و آله وسلم بالذات؛ و لم یرتدع بردع النبی له إلا ظاهرا. فلما توفی صلی الله علیه و آله وسلم و لم یبق ما یحذر منه، صار الموقف السیاسی یتطلب الرجوع إلی ما عند أهل الکتاب، فکان منع الزهراء عن ذلک، کما قدمنا.

و قد جاء هذا موافقا للهوی و الدافع الدینی و السیاسی علی حد سواء.

و مما یدل علی أن ذلک مأخوذ من أهل الکتاب: أنه قد جاء فی التوراه:

(یا ابن، ها أنذا آخذ عنک شهوه عینیک بضربه؛ فلا تنح و لا تبک، و لا تنزل دموعک، تنهّد ساکتا، لا تعمل مناحه علی أموات) (1).

د: حزن النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی حمزه:

1- إن من الثابت حسبما تقدم، أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد حزن علی حمزه، و بکی علیه، و أحب أن یکون ثمه بواکی له، کما لغیره. و واضح:

أن حزن الرسول هذا، و رغبته تلک لیسا إلا من أجل تعریف أصحابه، و الأمه أیضا بما کان لحمزه من خدمات جلّی لهذا الدین، و من قدم ثابته له فیه، و بأثره الکبیر فی إعلاء کلمه اللّه تعالی. و یدلنا علی ذلک أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد وصفه- کما یروی- بأنه کان فعولا للخیرات، وصولا للرحم إلخ (2).

و لأن حزنه صلی الله علیه و آله وسلم علیه کان فی الحقیقه حزنا علی ما أصاب الإسلام

1- حزقیال. الإصحاح 24 الفقره 16- 18.
2- راجع: المواهب اللدنیه ج 1 ص 97، و السیره الحلبیه ج 2 ص 246، و السیره النبویه لدحلان، بهامش الحلبیه ج 2 ص 53، و الإصابه ج 1 ص 354، و أسد الغابه ج 2 ص 48، و الدر المنثور ج 4 ص 135، و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 288 ط دار الکتب العلمیه، و مجمع الزوائد ج 6 ص 119، و مستدرک الحاکم ج 3 ص 197.

بفقده، و هو المجاهد الفذ، الذى لم يكن يدخر وسعا فى الدفاع عن هذا الدين، و إعلاء كلمه اللّه.

و ما ذلک إلا لأن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) لم يكن ليهتم بالبكاء على حمزه، و لا ليبكى هو صلى الله عليه و آله وسلم عليه لمجرد دوافع عاطفيه شخصيه، أو لعلاقه رحميه و نسبيه، و إنما هو صلى الله عليه و آله وسلم يحب فى اللّه و فى اللّه فقط، تماما كما كان يبغض فى اللّه، و فى اللّه فقط.

فهو صلى الله عليه و آله وسلم يحزن على حمزه بمقدار ما كان حمزه مرتبطا باللّه تعالى، و خسارته خساره للإسلام. و إلا فكما كان حمزه عمه، فقد كان أبو لهب عمه أيضا، و عداوه أبى لهب للرسول لا تدانيها عداوه، فقد كان أبو لهب من أشد الناس عداوه للنبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أعظمهم إيذاء له. و موقفه صلى الله عليه و آله وسلم من أبى لهب معروف و مشهور.

و لكننا نجد فى المقابل موقفه صلى الله عليه و آله وسلم من (سلمان) الذى كان صلى الله عليه و آله وسلم يحب أن يقال له: (سلمان المحمدى) بدلا من: (الفارسى) (1). و قد قال صلى الله عليه و آله وسلم فى حقه: (سلمان منا أهل البيت) (2). قال أبو فراس الحمدانى:

1- راجع: البحار ج 22 ص 327 و 349، و سفينه البحار ج 1 ص 646، و قاموس الرجال ج 4 ص 415.
2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 598، و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 200 و 204، و ذكر أخبار أصفهان ج 1 ص 54، و الإختصاص ص 341، و بصائر الدرجات ص 17، و البحار ج 22 ص 326 و 330 و 331 و 348 و 349 و 374، و سفينه البحار ج 1 ص 646 و 647، و الطبقات لإبن سعد ج 1 ص 59، و أسد الغابه ج 2 ص 331، و السيره الحلبيه ج 2 ص 313، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه) ج 2 ص 102، و تاريخ الخميس ج 1 ص 482، و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 51، و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 568 ط دار المعارف، و المغازى للواقدى ج 2 ص 446، و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 235، و قاموس الرجال ج 4 ص 415 و 424، و نفس

الرحمان ص 34/ 35 و 29 و 43 عن مجمع البيان، و الدرجات الرفيعه ص 218.

كانت موده سلمان لهم رحماو لم يكن بين نوح و ابنه رحم 2- كما أن نفس كونه صلى الله عليه و آله وسلم شريكا فى المصيبه، من شأنه أن يخفف المصاب على الآخرين، الذين فقدوا أحباءهم فى أحد، و لا سيما إذا كان مصابه صلى الله عليه و آله وسلم بمن هو مثل حمزه أسد اللّه و أسد رسوله. حمزه الذى لم يكن ليخفى على أحد موقعه فى المسلمين و نكايته فى المشركين، و لم يكن ما فعلته هند و أبو سفيان بجثته الشريفه، و أيضا موقف أبى سفيان من قبره الشريف فى خلافه عثمان؛ ثم ما فعله معاويه فى قبره و قبور الشهداء، بعد عشرات السنين من ذلک التاريخ- لم يكن كل ذلک- إلا دليلا قاطعا على ذلک الأثر البعيد، الذى تركه حمزه فى إذلال المشركين، و إعلاء كلمه الحق و الدين. حتى إن أبا سفيان و ولده معاويه لم يستطيعا أن ينسيا له ذلک الأثر، و بقى- حتى قبره- الذى كان يتحداهم بأنفه و شموخ، كالشجا المعترض فى حلقى الأب و الإبن على حد سواء.

لقد استطاع حمزه أن يحقق أهدافه حتى و هو يستشهد، لأن شهادته جزء من هدفه كما قلنا. أما أعداء الإسلام فقد باؤا بالفشل الذريع، و الخيبه القاتله، و انتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا طلقاء هذه الأمه، و زعماء منافقيها، المشهور نفاقهم، و المعروف كفرهم.

ه: موقف أبى سفيان من قبر حمزه:

و إن موقف أبى سفيان من قبر حمزه، ليعتبر دليلا واضحا على كفره، و أنه لا يزال يعتبر حربه مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم حربا على الملک و السلطان، و المكاسب الدنيويه.

و قد دخل أبو سفيان على عثمان، فقال له: قد صارت إليک بعد تيم وعدى، فأدرها كالكره، و اجعل أوتادها بنى أميه، فإنما هو الملک، و لا أدرى ما جنه و لا نار (1).

1- الإستيعاب هامش الإصابه ج 4 ص 87، و الكنى و الألقاب ج 1 ص 86، الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 6 274 ه: موقف أبى سفيان من قبر حمزه: ..... ص : 273

و كان أبو سفيان كهفا للمنافقين، و كان يوم اليرموک يفرح إذا انتصر الكفار على المسلمين، و يحزن حين يرى كرّه المسلمين عليهم (1).

و كفريات أبى سفيان معروفه و مشهوره، و لا مجال لإستقصائها، فمن أرادها فليراجع مظانها (2).

و: مواساه الأنصار للنبى صلى الله عليه و آله وسلم :

و إن مواساه الأنصار للنبى صلى الله عليه و آله وسلم حتى فى البكاء على حمزه، لهي فى الحقيقه من أروع المواساه للنبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) فهم يواسونه بأموالهم و أنفسهم، و حتى فى عواطفهم الصادقه، و مشاعرهم النبيله.

و قد استمروا على صدقهم، و وفائهم، و إخلاصهم له و لرسالته، و لوصيه على (عليه السلام)، و أهل بيته (عليهم السلام) إلى آخر لحظه، و لذلک نكبهم الأمويون، و الحكام بعد النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أذلوهم، و حرموهم، كما تقدمت الإشاره إليه.

ز: صبر صفيه:

و إن صبر صفيه، و اعتبارها: أن ما جرى لحمزه قليل فى ذات اللّه تعالى، إنما هو نتيجه للوعى الرسالى الرائد للإسلام، الذى لا يمكن اعتباره محدودا و مقوقعا ضمن طقوس و حركات، أو جذبات صوفيه

1- النزاع و التخاصم للمقريزى ص 18.
2- راجع: الغدير، و لا سيما ج 8 ص 278/ 279 و ج 10 ص 79- 84 لمعرفه رأى على فى معاويه، و فى أبيه، و قاموس الرجال ترجمه أبى سفيان، و الإستيعاب و غير ذلک.

و نحوها. فالإسلام حياه. و لا يطلب فيه الموت و الشهاده إلا من أجل هذه الحياه.

و الإسلام هو السلام حتى فى حال الحرب، و هو الحياه فيما يراه الناس الموت، و الراحه فى ما يراه الناس التعب، و السعاده فى ما يراه الناس الشقاء و الآلام. إنه سلام شامل و كامل؛ فإذا بلغ الإنسان هذا السلام الشامل، فهو المسلم الحق. و هكذا كانت صفيه رضوان اللّه تعالى عليها، حتى أصبح ما جرى لأخيها قليلا فى ذات اللّه، و صار سلاما لها و عليها.

التعصيب:

و لما قتل حمزه رضوان اللّه عليه، بعث النبى صلى الله عليه و آله وسلم عليا (ع) فأتاه ببنت حمزه؛ فسوغها صلى الله عليه و آله وسلم الميراث كله (1).

و هذا يدل على أنه لا ميراث للعصبه على تقدير زياده الفريضه عن السهام إلا مع عدم القريب، فيرد باقى المال على البنت، و البنات، و الأخت و الأخوات، و على الأم، و على كلاله الأم، مع عدم وارث فى درجتهم، و على هذا إجماع أهل البيت (ع)، و اخبارهم به متواتره.

و يدل على ذلک أيضا قوله تعالى: وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ فعن الإمام الباقر (ع) فى هذه الآيه: (إن بعضهم أولى بالميراث من بعض؛ لأن أقربهم إليه رحما أولى به. ثم قال أبو جعفر (ع): أيهم أولى بالميت، و أقربهم إليه؟ أمه، أو أخوه؟ أليس الأم أقرب إلى الميت من إخوته و أخواته؟!) (2).

و للتوسع فى هذا البحث مجال آخر.

1- التهذيب ج 6 ص 311، و الوسائل ج 17 ص 432.
2- الوسائل ج 17 ص 434.

الاختصام فی ابنه حمزه:

و یقولون: إن علیا و جعفرا ابنی أبی طالب، و زید بن حارثه، إختصموا فی ابنه حمزه، فقال صلی الله علیه و آله وسلم لکل واحد منهما ما أرضاه (1).

و نحن نشک فی الحدیث من أصله، لأن جعفرا کان فی واقعه أحد فی الحبشه، و قد جاء إلی المدینه فی سنه ست من الهجره.

و دعوی أن الإختصام قد حصل بعد رجوعه تطرح أمامنا سؤالا عن السبب فی سکوت زید بن حارثه عن المطالبه ببنت حمزه کل هذه المده.

الصلاه علی الشهداء و تغسیلهم، و دفنهم:

لقد روی بعضهم: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم لم یصلّ علی شهداء (أحد).

و به أخذ الأئمه الشافعیه.

و لکن ذلک غیر صحیح؛ فقد صرحت الروایات الکثیره: بأنه صلی الله علیه و آله وسلم قد صلّی علیهم. و روی ذلک عن بعض أئمه الحدیث، و به أخذ الأئمه الحنفیه (2).

و الصحیح: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد صلّی علیهم، و لم یغسلهم، و هو الثابت عن أئمه أهل البیت (علیه السلام)، الذین هم سفینه نوح، و باب حطه.

و لذا فلا یعبؤ بما رواه غیرهم؛ و لذا فنحن لا نطیل الکلام فی ذلک. و لا سیما بعد أن قال (مغلطای): (.. و صلی علی حمزه و الشهداء من غیر غسل. و هذا إجماع، إلا ما شذ به بعض التابعین. إلی أن قال: قال السهیلی: و لم یرو عنه صلی الله علیه و آله وسلم : أنه صلی علی شهید فی شی ء من مغازیه

1- التراتیب الإداریه ج 2 ص 149 و غیر ذلک.

2- تاريخ الخميس ج 1 ص 442، و ليراجع أيضا: السيره الحلبيه ج 2 ص 248/ 249.

إلا فی هذه. و فیه (نظر)؛ لما ذکره النسائی، من أنه صلّی علی أعرابی فی غزوه أخری) (1).

و عن عدد التکبیر علیهم، و علی غیرهم، فقد تقدم فی أول هذا الفصل: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد کبر علی حمزه سبعا أوسبعین- کما هو الأصح-.

و أما ما یقال من أن عدد التکبیرات علی المیت أربع، فقد أثبتنا بما لا یقبل الشک أنه لا یصح، و أن التکبیر علی المیت (خمس) لا أربع (2).

و بالنسبه للغسل، فقد قال الدیار بکری و غیره: (أجمع العلماء علی أن شهداء أحد لم یغسلوا) (3).

و تقدم أن حنظله خرج و هو جنب، فأخبر صلی الله علیه و آله وسلم أن الملائکه تغسله.

و یقال أیضا: إن حمزه قد قتل جنبا؛ فرأی النبی صلی الله علیه و آله وسلم الملائکه تغسله (4).

و لکن هذا ینافی ما جاء فی بعض النصوص من أنه قتل یوم أحد صائما. و اللّه هو العالم.

و مهما یکن من أمر؛ فإن الشهداء لم یغسلوا، و إخباره صلی الله علیه و آله وسلم بتغسیل الملائکه لمن مات جنبا، بالإضافه إلی أنه إخبار عن واقع؛ فإنه أیضا لیس لأجل موته بل هو لأجل جنابته؛ لرفع الحزازه التی ربما تحدث فی نفس

1- سیره مغلطای ص 50/ 51.
2- راجع کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام.
3- تاریخ الخمیس ج 1 ص 442، و السیره الحلبیه ج 2 ص 248، و تقدم ذلک عن مغلطای أیضا.
4- السیره الحلبیه ج 2 ص 248، و مغازی الواقدی ج 1 ص 309، و شرح النهج ج 15 ص 37.

أهله، الذين يعرفون بأنه لم يغتسل من جنابته.

و أما بالنسبه للتكفين؛ فإن الشهيد يدفن فى ثيابه، و لكن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد كفن حمزه و حنّطه؛ لأنه كان قد جرّد، كما روى (1).

و أما عن دفنهم؛ فيقال: إنه قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينه، فدفنوهم بها، ثم نهى صلى الله عليه و آله وسلم عن ذلک. و قال صلى الله عليه و آله وسلم :

(ادفنوهم حيث صرعوا) (2).

و يقال: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قال: ادفنوا الإثنين و الثلاثه فى قبر واحد، و قدموا أكثرهم قرآنا (3).

لماذا تقديم الأقرأ؟

و تقديم أكثرهم قرآنا حتى فى هذا المقام، له دلاله هامه هنا، فإن أكثرهم قرآنا يفترض به أن يكون هو الأكثر و عيا و بصيره فى أمره، و من ثم يكون إخلاصه للقضيه التى يقاتل من أجلها أشد، و ارتباطه بها أعمق.

و كلما كان العمل أكثر إخلاصا للّه، كلما كانت قيمته أعلى، و ثمنه أغلى؛ لأنه يستمد قيمته هذه من مدى إتحاده بذلک الهدف، و فنائه فيه.

بل نجد أنه صلى الله عليه و آله وسلم يتجاوز ذلک، إلى أنه صلى الله عليه و آله وسلم أراد أن يبعث بعثا و هم ذوو عدد، فاستقرأهم؛ ليعرف ما معهم من القرآن؛ فوجد:: أن

1- راجع: الدر المنثور للعاملى ج 1 ص 135 عن من لا يحضره الفقيه.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 442 عن الإكتفاء، و ابن إسحاق، و أحمد، و الترمذى، و أبى داود، و النسائى، و الدارمى، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 162/ 163، و فى شرح النهج ج 4 ص 262 روايه ناقشها المعتزلى بما لا مجال له.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 442 عن أحمد، و الترمذى، و أبى داود، و النسائى، و شرح النهج ج 15 ص 38، و مغازى الواقدى ج 1 ص 310، و

الثقات ج 1 ص 33، و مجمع الزوائد ج 6، و المصنف ج 3 ص 541 و ج 5 ص 272.

أحدثهم سنا أكثرهم قرآنا، فأمّره عليهم (1).

فهو صلى الله عليه و آله وسلم يعطى بذلک نظره الإسلام الصحيحه للعلم و المعرفه الذى يترک أثره الإيجابى حتى بالنسبه لما بعد الموت، و حتى بالنسبه لهؤلاء المتساوين من حيث بذل أغلى ما لديهم فى سبيله، و إن لم يكونوا متساوين فى درجات معرفتهم، و ثقافتهم، و وعيهم.

و لقد رأينا أنه صلى الله عليه و آله وسلم يقول- كما يروى لنا أبو سلمه-: إذا كان ثلاثه فى سفر فليؤمهم أقرؤهم،، و إن كان أصغرهم؛ فإذا أمهم فهو أميرهم (2).

و فى هذا دلاله واضحه على أن الملاک فى التقديم هو المعرفه الخالصه، التى تؤهل الإنسان لأن يكون أكثر خشيه للّه: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ. و ليس هو الجمال، أو الجاه، أو المال، أو النسب، أو غير ذلک؛ فإن ذلک قد رفضه الإسلام و القرآن رفضا قاطعا و نهائيا.

أنا شهيد على هؤلاء:

و كان طلحه بن عبيد اللّه، و ابن عباس، و جابر بن عبد اللّه، يقولون:

صلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على قتلى أحد، و قال: (أنا شهيد على هؤلاء.

فقال أبو بكر: ألسنا إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، و جاهدنا كما جاهدوا؟

قال: بلى، و لكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئا، و لا أدرى ما تحدثون بعدى.

1- حياه الصحابه ج 2 ص 54، و الترغيب و الترهيب ج 2 ص 352، و راجع: المصنف ج 5 ص 165 ففيه ما يشير إلى ذلک.
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 165.

فبکی أبو بکر، و قال: إنا لکائنون بعدک؟) (1).

و هذا یدل علی أن الرسول صلی الله علیه و آله وسلم لم یکن مطمئنا لما ینتهی إلیه أمر أصحابه بعده. و لم یکن یعتقد أن مجرد صحبتهم له تدخلهم الجنان، و تجعلهم معصومین، أو أنها تکون أمانا لهم من کل حساب و عقاب، عملوا ما عملوا، و فعلوا ما فعلوا؛ فإن ذلک خلاف ما قرره القرآن الذی یقول: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ، وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (2) و قد بحثنا موضوع عداله الصحابه فی موضع آخر (3).

و ما ذکرناه هناک ما هو إلا رشحه من نهر، و قطره من بحر. و إلا، فإن الأدله علی ما نقول من أن کل صحابی محاسب علی ما عمل، و أن فیهم المؤمن، و المنافق، و العادل، و الفاسق کثیره جدا، لا مجال لحصرها.

عدد شهداء أحد:

و أما عن عدد الشهداء فی أحد، فقد کانوا سبعین، من المهاجرین أربعه، و الباقون من الأنصار (4).

و قیل: أربعه و ستون من الأنصار، و سته من المهاجرین، و جرح سبعون. و هذا ما وعدهم به النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی بدر حسبما تقدم.

و أما ما یقال: من أن عدتهم خمس و ستون، فیهم أربعه من المهاجرین، أو أنهم سته و تسعون. أو أنهم ثمانون: أربعه و سبعون من

1- شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 38، و مغازی الواقدی ج 1 ص 310، و المصنف ج 3 ص 541، و لیراجع ص 575 و ج 5 ص 273.
2- الزلزله: 7 و 8
3- راجع الجزء الثانی من کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام.
4- مغازی الواقدی ج 1 ص 300، و السیره الحلبیه ج 2 ص 255، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 446.

الأنصار، و سته من المهاجرين (1).

فليس بمسموع بعد أن أخبرهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم - كما هو المشهور- بأنه سيقتل من المسلمين بعدّه أسرى بدر إن قبلوا بالفداء.

و عده أسرى بدر كانت سبعين كما يقولون (2).

أما ما عن أنس، من أنه قتل من الأنصار فى أحد سبعون، و فى بئر معونه سبعون، و يوم اليمامه على عهد أبى بكر سبعون، رواه البخارى (3).

فلا يمكن المساعده عليه؛ لأن قتلى أحد كانوا سبعين من الأنصار و المهاجرين معا، لا من الأنصار وحدهم. و لأنه سيأتى فى سريه بئر معونه الإختلاف الشديد فى عدد أفرادها، و هى تتراوح ما بين العشره إلى السبعين رجلا (4).

أكثر القتلى من الأنصار:

و يلاحظ هنا: أن أكثر القتلى كانوا من الأنصار، و قد جاء ذلک بصوره لا تتناسب مع عدد المشاركين منهم فى الحرب إذا قورن بمن قتل من المهاجرين، إذا أضيف إلى عدد المشاركين منهم أيضا. و قد أشرنا فيما تقدم إلى أن قريشا ظلت تحقد على الأنصار، و على أهل البيت (ع) عشرات السنين و الأعوام. و كان يهمها: أن تجزرهم جزرا، و لا يبقى منهم

1- راجع هذه الأقوال فى سيره مغلطاى ص 49/ 50، و تاريخ الخميس ج 1 ص 446، و السيره الحلبيه ج 2 ص 255، و غير ذلک كثير و ليراجع شرح النهج ج 15 ص 51/ 52.
2- مغازى الواقدى ج 1 ص 144.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 146 عن المشكاه.
4- راجع: الجزء الخامس من هذا الكتاب ص 257 و 258.

نافخ نار.

و لربما نفهم: أن الأنصار كانوا أكثر إندفاعا إلى الحرب، و أشد تصديا لمخاطرها، لأنهم يدافعون عن وطنهم، و عن عقيدتهم معا. و قد كان الإسلام فيهم أعرق و أعمق من كثير من المهاجرين، فلا يقاس بهم مسلموا الفتح، فإنهم إنما أسلموا خوفا أو طمعا؛ و لذا فقد كثر فيهم المنافقون و المناوؤون لأهل البيت (عليهم السلام). و لعل كثيرا من المهاجرين كانوا مطمئنين إلى قبول قومهم لهم، كما يظهر مما تقدم.

كما أن بعض المشاركين فى الحرب من هؤلاء و أولئک، لم يكن لديه دوافع عقيديه أيضا، كما هو الحال بالنسبه لمن يقاتلون من أجل السلب، و الغنائم، و غير ذلک.

زياره القبور:

و يذكرون: أن المسلمين كانوا يتبركون بقبر حمزه، و يستشفون بتربته، و قد صنعوا السبحه منها (1).

و يذكر الواقدى هنا: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان يزور قبور شهداء أحد فى كل حول، فإذا لقوه رفع صوته يقول: السلام عليكم بما صبرتم؛ فنعم عقبى الدار. و كان أبو بكر يفعل مثل ذلک، و كذلک عمر، ثم عثمان، ثم معاويه.

(و نقول:

كيف يذكر معاويه هنا، و هو الذى نبش قبور الشهداء من أجل العين التى أجراها؟!).

و كانت فاطمه تأتيهم بين اليومين و الثلاثه؛ فتبكى عندهم، و تدعو.

1- راجع: وفاء الوفاء ج 1 ص 69 و 116.

و كان صلى الله عليه و آله وسلم يأمر بزيارتهم، و التسليم عليهم. و كذا كان يزورهم سعد بن أبى وقاص، و أبو سعيد الخدرى كان يزور قبر حمزه، و أم سلمه أيضا كانت تزورهم كل شهر؛ و قد أنّبت غلامها، لأنه لم يسلم عليهم.

و كذا أبو هريره، و ابن عمر، و فاطمه الخزاعيه (1).

و عن السجاد (ع): أن فاطمه (ع) كانت تزور قبر عمها حمزه فى الأيام تصلى و تبكى عنده (2).

و قد أمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم أيضا بزياره القبور. و شواهد هذا البحث كثيره جدا لا تكاد تحصر، و قد أُلّفت الكتب، و نظّمت البحوث فى هذا الموضوع (3). فليراجعها من أراد التوسع؛ فلا يصغى لمنع بعض الفرق من زياره القبور، فإن ذلک لا يستند إلى أى دليل معقول أو مقبول.

عدد قتلى المشركين:

و يقال: إنه قد قتل من المشركين فى معركه أحد ثمانيه عشر رجلا (4). و قيل: إثنان، أو ثلاثه و عشرون (5). و قيل: ثمانيه و عشرون (6).

1- راجع: مغازى الواقدى ج 1 ص 313/ 314، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 40.
2- المستدرک للحاكم ج 3 ص 28.
3- راجع: شفاء السقام للسبكى، و الغدير ج 5 من ص 166 حتى ص 208، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 28، و وفاء الوفاء ج 3 ص 83 فما بعدها و 931- 933، و تأويل مختلف الحديث ص 197، و غير ذلک.
4- مجمع البيان ج 2 ص 500، و البحار ج 20 ص 22 عنه.
5- سيره مغلطاى ص 50، و تاريخ الخميس ج 1 ص 447، و السيره الحلبيه، و غير ذلک.
6- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 54.

و قيل: أكثر من ذلک. لأن حمزه قد قتل وحده منهم واحدا و ثلاثين رجلا كما يقولون (1).

أكثر القتلى من على (ع):

1- و يروى البعض: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد قتل فى أحد إثنى عشر رجلا (2).

2- و نعتقد أنه (ع) قد قتل أكثر من ذلک، لأنه قد قتل أصحاب اللواء بلا شک كما تقدم بيانه، و هم تسعه أو أحد عشر، كما أن المعتزلى يذكر: أن كتائب المشركين صارت تحمل على النبى صلى الله عليه و آله وسلم . و قد قتل من كتيبه بنى كنانه أبناء سفيان بن عويف الأربعه. و تمام العشره منها، ممن لا يعرف بأسمائهم. و قال: إن ذلک قد رواه جماعه من المحدثين، و يوجد فى بعض نسخ ابن إسحاق، و أنه خبر صحيح فراجع كلامه (3).

3- قال القوشجى: (و كان أكثر المقتولين منه) (4) أى من أمير المؤمنين (عليه السلام).

4- و قال الشيخ المفيد رحمه اللّه تعالى: (و قد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، و كان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين (ع)). ثم ذكر أسماء إثنى عشر من الأبطال المعروفين ممن قتلهم (عليه السلام) (5).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 226 و 255، و الإصابه ج 1 ص 354.
2- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 54.
3- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 250/ 251 و فى ج 15 ص 54: أن فى بعض كتب المدائنى أن عليا قتل بنى سفيان بن عوف، و روى له شعرا فى ذلک، فراجع.
4- شرح التجريد للقوشجى ص 486.
5- الإرشاد ص 54، و البحار ج 20 ص 88/ 89 عنه.

5- و لسوف يأتى: أن قريشا قد عجلت بالمسير عن حمراء الأسد، حينما علمت أن عليا قادم عليها.

6- و يقول الحجاج بن علاط فى وصف قتله (عليه السلام) لكبش الكتيبه، طلحه ابن أبى طلحه، و حملاته (ع) فى أحد:

للّه أى مذبب عن حزبه أعنى ابن فاطمه المعم المخولا

جادت يداک له بعاجل طعنهتركت طليحه للجبين مجدلا

و شددت شده باسل فكسفتهم بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا

و عللت سيفک بالدماء و لم تكن لتردّه حّران حتى ينهلا (1) و مما يدل على مدى ما فعله أمير المؤمنين (ع) بقريش فى أحد: أن النص التأريخى يؤكد على أن قريشا كانت- بعد ذلک- و إلى عشرات السنين تحقد على على (ع)، و على أهل بيته لذلک. و قد ذكر النبى صلى الله عليه و آله وسلم هذه الأحقاد لعلى (عليه السلام) (2) ثم ظهرت آثارها فى المجازر التى ارتكبها الأمويون فى كربلاء و غيرها. و قد صرحت الزهراء (ع) بأن ما جرى عليهم بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، قد كان بسبب الأحقاد البدريه و الترات الأحديه (3).

أويس القرنى فى أحد:

و يقولون: إن أويس القرنى قد حضر أحدا، و جرى عليه كل ما

1- الإرشاد للمفيد ص 54، و البحار ج 20 ص 90 عنه، و هامش ص 50 عن الإمتاع.
2- راجع: البحار ج 26 ص 54 و 55، و راجع الطبعه الحجريه من البحار ج 8 ص 151.
3- راجع: المناقب لإبن شهر آشوب ج 2 ص 203 و فى ط آخرى ج 1 ص 381، و البحار ج 43 ص 156.

جرى على النبى صلى الله عليه و آله وسلم من كسر رباعيته، و شج وجهه، و وطى ء ظهره!! و يدل على أنه قد وطى ء ظهر النبى صلى الله عليه و آله وسلم من قبل المشركين قول عمر:

فلقد وطى ء ظهرک، و أدمى وجهک (1).

و المراد بالوطء: الدوس بالأقدام.

و نحن لا نصدق ذلک أصلا، لأنهم يقولون: إن أويسا لم ير النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصلا، لأنه- كما يقولون- كان مشغولا بخدمه أمه (2).

و روى عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قوله: خير التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر (3).

و فى مسند أحمد: نادى فى صفين رجل شامى: أفيكم أويس القرنى؟

قالوا: نعم. قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يقول: من خير التابعين أويس القرنى (4).

فوصفه بالتابعى يشير إلى أنه لم يكن من الصحابه.

بل لقد كان الإمام مالک ينكر وجود أويس القرنى من الأساس (5).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 255/ 256، و الطبقات الكبرى للشعرانى ج 1 ص 27.
2- الطبقات الكبرى للشعرانى ج 1 ص 27، و الإصابه ج 1 ص 115، و السيره الحلبيه ج 2 ص 256، و راجع القصه فى الزهد و الرقائق قسم ما رواه نعيم بن حماد ص 60.
3- الإصابه ج 1 ص 115 عن مسلم، و لسان الميزان ج 1 ص 472 و 474 و 475، و السيره الحلبيه ج 2 ص 256 بعده ألفاظ، و مختصر تاريخ دمشق ج 3 ص 162 و 163، و راجع: تيسير الوصول ج 2 ص 167.
4- الإصابه ج 1 ص 116، و لسان الميزان ج 1 ص 475 و راجع ص 474، و تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 175، و راجع ص 162.
5- الإصابه ج 1 ص 115، و راجع تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 162، و راجع

و لكنه كلام لا يصح: فقد تواتر أنه شخصيه حقيقيه، و قد ذكر العلماء و المصنفون أخباره و فضائله فى كتبهم و منقولاتهم.

و لعل سبب إنكار وجوده و دعوى: أنه توفى فى خلافه عمر (1) هو حضوره مع على (ع) فى صفين، و استشهاده معه (2).

و لعل أكذوبه: أن المشركين قد وطأوا ظهر النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد جاءت بهدف الحط من كرامته صلى الله عليه و آله وسلم ، أو إظهار خطوره الموقف، ليخف النقد الموجه للفارين عنه صلى الله عليه و آله وسلم .

مع أن ذلک آكد فى ذمهم، و أشد فى قبح ما صدر منهم.

صفيه، و اليهودى:

و يذكر البعض فى غزوه أحد (3) قضيه قتل صفيه لليهودى، و عدم جرأه حسان على قتله،، و لا على سلبه.

و لكن الظاهر هو أن ذلک كان فى غزوه الخندق، و لذا فنحن نرجى ء الحديث عنه إلى هناک.

بعض الحكم فى معركه أحد:

قال السمهودى: (قال العلماء: و كان فى قصه أحد من الحكم و الفوائد أشياء عظيمه:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبه المعصيه، و شؤم ارتكاب

1- راجع تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 162 عن ابن سعد، و راجع ص 173 و 174.
2- راجع تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 171، و لسان الميزان ج 1 ص 474 و 475.
3- مغازى الواقدى ج 1 ص 288، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 16.

النهى، لما وقع من الرماه.

و منها: أن عاده الرسل أن تبتلى، و تكون لها العاقبه.

و منها: إظهار أهل النفاق، حتى عرف المسلمون: أن لهم عدوا بين أظهرهم.

و منها: تأخير النصر هضما للنفس، و كسرا لشماختها (1)).

ثم ذكر كلاما يشتم منه رائحه الجبر، و هو ما لا نوافقه عليه، و لذلک أهملناه.

من مشاهد العوده إلى المدينه:

1- و عاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمون إلى المدينه، و استقبلته أم سعد بن معاذ تعدو، فجاءت حتى نظرت فى وجهه، و قالت: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، هانت علىّ كل مصيبه إن سلمت.

فعزّاها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بولدها عمرو.

و فى روايه: إنه لما بشرها النبى صلى الله عليه و آله وسلم بما للقتلى فى الجنه، قالت: رضينا يا رسول اللّه، و من يبكى عليهم بعد هذا؟! (2).

2- مرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بامرأه من الأنصار، و قد أصيب زوجها، و أخوها، و أبوها مع الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فى أحد؛ فلما نعوهم إليها قالت: ما فعل رسول اللّه؟

قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد اللّه كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.

1- وفاء الوفاء ج 1 ص 295، و تاريخ الخميس ج 1 ص 445.
2- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 254، و مغازى الواقدى ج 1 ص 315/ 316، و تاريخ الخميس ج 1 ص 444.

فأشير لها إليه، فلما رأته، قالت: كل مصيبه بعدک جلل. يعنى هينه.

و فى روايه: أنها استقبلوها بجنائز: إبنها، و أخيها،، و أبيها، و زوجها، أو دلّت على مصارعهم؛ فلم تكترث. و سألت عن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فدلّت عليه؛ فذهبت حتى أخذت بناحيه ثوبه. ثم جعلت تقول:

بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، لا أبالى إذا سلمت من عطب (1).

و نقول: إن هؤلاء السوه قد بلغن من المعرفه و الوعى حدّا صرن معه يعتبرن وجود النبى صلى الله عليه و آله وسلم كل شى ء بالنسبه إليهن. و كل مصيبه بعد النبى صلى الله عليه و آله وسلم هينه، و لا يبالين إن سلم من عطب.

فالرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) هو مصدر الطمأنينه، و عنوان الحياه، و الوجود لهن. و بدونه لا طعم للحياه، و لا معنى للبقاء.

و قد بلغ من يقينهن بما يخبر به الرسول صلى الله عليه و آله وسلم : أنهن صرن كأنهن يرينه رأى العين، حتى لتقول أم سعد بن معاذ حينما أخبرها بما للشهيد فى الجنه: و من يبكى عليهم بعد هذا؟!.

و لا يمكن أن نرجع ذلک كله لشخصيه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و قوه تأثيرها، و إنما يرجع ذلک- و لا شک- إلى فطريه تعاليم الإسلام و مبادئه، و إنسيابها مع المشاعر و العواطف، حتى لتمتزج بوجود الإنسان، و فى كل كيانه، و تسرى فيه كما يسرى الدم فى العروق.

على يناول فاطمه سيفه:

و يقولون: إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد ناول فاطمه سيفه، و قال: اغسلى عن هذا

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 243 و 251/ 252 و 254، و تاريخ الخميس ج 1 ص 444، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 210، و الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 163، و البحار ج 20 ص 98، و إعلام الورى ص 85، و مجمع الزوائد ج 6 ص 115، و حياه الصحابه ج 2 ص 356 عنه، و البدايه و النهايه ج 4 ص 47.

دمه يا بنيه، فو اللّه، لقد صدقنى اليوم. فجاء على فناولها سيفه، و قال مثل ذلک.

فقال صلى الله عليه و آله وسلم : لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق معک سهل بن حنيف، و أبو دجانه (1).

و لكن ذلک غير صحيح، و ذلک:

1- لأن الذى قتل معظم المشركين، و قتل أصحاب الألويه، و ثبت فى أحد، و نادى جبرئيل بإسمه، و قتل أبناء سفيان بن عويف الأربعه إلى تمام العشره، هو على (عليه السلام) و ليس أبا دجانه، و لا سهل بن حنيف، و لا غيرهما.

2- ثم إن هذه الروايه متناقضه النصوص؛ فعن ابن عقبه لما رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم سيف على (ع) مخضبا دما قال: إن تكن أحسنت القتال، فقد أحسنه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، و الحرث بن الصمه، و سهل بن حنيف (2). فإى الروايتين هو الصحيح.

3- لقد ردّ ابن تيميه قولهم بأنه صلى الله عليه و آله وسلم قد أعطى فاطمه سيفه، بأنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يقاتل فى أحد بسيف (3).

و الصحيح فى القضيه هو ما ذكره المفيد رحمه اللّه: من أنه بعد أن

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 444 عن ابن إسحاق، و السيره الحلبيه ج 2 ص 255، و راجع: الثقات لإبن حبان ج 1 ص 235، و وفاء الوفاء ج 1 ص 293 عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 24، و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صححاه على شرط البخارى، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 35.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 255.
3- نفس المصدر.

ناول على فاطمه سيفه و قال لها: خذى هذا السيف؛ فلقد صدقنى اليوم، و أنشد:

أفاطم هاک السيف غير ذميم فلست برعديد، و لا بلئيم

لعمرى لقد أعذرت فى نصر أحمدو طاعه رب بالعباد عليم

أميطى دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم قال صلى الله عليه و آله وسلم : (خذيه يا فاطمه؛ فقد أدّى بعلک ما عليه، و قد قتل اللّه بسيفه صناديد قريش) (1).

فهذه الروايه هى الأنسب و الأوفق بمساق الأحداث، و بأخلاق و سجايا النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم .

شماته المنافقين و سرورهم بنتائج أحد:

اشاره

و لما عاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى المدينه، و بكى المسلمون قتلاهم، سر بذلک المنافقون، و اليهود، و أظهروا الشماته، و صاروا يظهرون أقبح القول. و منه قولهم: ما محمد، إلا طالب ملک، و ما أصيب بمثل هذا نبى قط، أصيب فى بدنه، و أصيب فى أصحابه.

و عرف المسلمون عدوهم الذى فى دارهم، و تحرزوا منه. و قالوا أيضا: لو كان من قتل عندنا ما قتل. و جعلوا يخذّلون عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أصحابه، و يأمرونهم بالتفرق عنه.

و استأذنه عمر فى قتل هؤلاء القائلين من المنافقين و اليهود؛ فقال صلى الله عليه و آله وسلم : أليس يظهرون شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه؟ قال عمر: بلى، و لكن تعوّذوا من السيف، و قد بان أمرهم، و أبدى اللّه تعالى أضغانهم.

1- الإرشاد للشيخ المفيد ص 54، و البحار ج 20 ص 88 عنه.

فقال صلى الله عليه و آله وسلم : نهيت عن قتل من أظهر ذلک. و أما اليهود؛ فلهم ذمه فلا أقتلهم (1).

و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

ألف: التمحيص:

إن المحن التى أصابت المسلمين فى حرب أحد قد ميزت الخبيث من الطيب منهم، و امتاز أدعياء الإيمان و المنافقون عن المؤمنين. كما و عرفت درجات المؤمنين أنفسهم، و مدى ثبات قدم كل منهم فى الإيمان.

قال تعالى فى مناسبه غزوه أحد:

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ؛ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَ تِلْکَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ، وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ، وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (2).

و فى ذلک أيضا تعريف للمؤمنين أنفسهم بقدراتهم الإيمانيه، و ملكاتهم النفسيه تلک.

فلا بد إذن، أن يسعى المقصرون لجبر ما فيهم من نقص، و تكميل يقينهم، و زياده و عيهم الرسالى؛ قال تعالى فى آيات نزلت بمناسبه أحد:

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ (3) و يقول: قُلْ: لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ؛ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِى صُدُورِكُمْ، وَ لِيُمَحِّصَ ما فِى قُلُوبِكُمْ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ

1- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 254، و مغازى الواقدى ج 1 ص 317/ 318، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 43.
2- آل عمران: 140.
3- آل عمران: 141.

الصُّدُورِ (1).

و خلاصه الأمر: إن ما جرى فى أحد قد عرّف المسلمين بحقيقه تركيبه مجتمعهم، و أن فيه المؤمن و المنافق، و عرّفهم أيضا بطاقاتهم و قدراتهم، و درجاتهم الإيمانيه.

و هذا أمر مهم جدا بالنسبه لخططهم المستقبليه، و مهم أيضا بالنسبه لتعاملهم على الصعيد الداخلى مع بعضهم البعض؛ لأن ذلک يجعلهم أكثر دقه، و أشد حيطه، حيث يحسبون لكل شى ء حسابه، فلا يأتيهم ما لا يتوقعون، و لا يواجهون المفاجآت المحيره. الأمر الذى لا بد أن يؤثر فى نتائج مواقفهم، و جعلها لصالحهم بنحو أدق و أحكم.

ب: أجواء النفاق و دوافعه:

إن النفاق لا يستدعى دائما: أن يكون المنافق يرغب فى هدم هذا الدين الجديد، و يترصد الفرصه لذلک. بل ربما يكون ذلک خوفا من هذه الدعوه حينما يكون لها قوه و طول.

أو طمعا بنفع عاجل، مادى، أو معنوى.

أو عصبيه و حميه لبلد، أو قبيله.

أو طمعا فى أن تنجح الدعوه فى التغلب على المصاعب التى تواجهها. و يكون لهذا الشخص المنافق شأن فيها.

أو التزاما بتقليد اجتماعى، ذى طابع معين.

أو حفاظا على مصالح لا يمكن الحفاظ عليها مع مناهضه الدعوه.

إلى غير ذلک مما لا مجال له هنا.

إذن، فيمكن أن يكون نفاق ابن أبى، و كثير من أصحابه، إنما كان

1- آل عمران: 154.

من أجل الحصول على ما فى الإسلام من مغانم؛ و الإبتعاد عما يواجهونه من متاعب و مغارم. و قد يكون نفاقهم هذا يتخذ اتجاها لا ينسجم مع تسليط المشركين على المدينه، لأن ذلک و لا شک لسوف يلحق الضرر بأولئک المنافقين أنفسهم. و لسوف يلحق الضرر بالتزاماتهم القبليه و الإجتماعيه، و بمصالحهم بشكل عام.

كما أن تسليط المشركين على بلدهم لا ينسجم مع التقليد الإجتماعى القائم آنذاک، و لا مع غيرتهم و حميتهم، و عصبيتهم.

نعم، ربما تتغير هذه النظره للمنافق، و يتجاوز كل هذه الموانع، إذا رأى: أن وجوده و مصالحه فى خطر فى المستقبل. و إذا رأى أنه لا يمكنه الحفاظ على الحد الأدنى من مصالحه إلا بالتعامل مع أعداء هذه الدعوه؛ فيندفع إلى القيام بأى عمل يحفظ له الحد الأدنى مما تطمح نفسه إليه، و يسعى من أجل الحصول عليه.

دعنى أقتله يا رسول الله !!

ثم إننا نجد: أن عمر يستأذن النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى قتل هؤلاء المنافقين؛ فلا يأذن له النبى صلى الله عليه و آله وسلم (و قد تقدم حين الكلام عن وحشى، و فى موضع آخر بعض ما يرتبط بذلک).

و نجد مثل ذلک من عمر فى خلال حياته مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم الشى ء الكثير، و كأمثله على ذلک نشير إلى:

1- قصته مع الحكم بن كيسان (1).

2- قصته مع أبى سفيان (2) حين فتح مكه.

1- حياه الصحابه ج 1 ص 41، و طبقات ابن سعد ج 4 ص 137.
2- حياه الصحابه ج 1 ص 154، و مجمع الزوائد ج 6 ص 166 عن الطبرانى و رجاله رجال الصحيح.

3- و مع عبد اللّه بن أبى (1).

4- و مع ذى الخويصره (2).

5- و مع حاطب بن أبى بلتعه (3).

6- و مع ذى الثديه (4) و قيل باتحاده مع ذى الخويصره، و قيل: لا.

7- و مع شيبه بن عثمان (5).

8- و مع الأعرابى الذى من بنى سلم (6).

9- و نجده يطلب فى الحديبيه أن يمكنه النبى صلى الله عليه و آله وسلم من نزع ثنيتى سهيل بن عمرو، حتى يدلع لسانه. و فى كل ذلک يمنعه النبى صلى الله عليه و آله وسلم و يردعه، و يخبره: بأنه لا يرغب فى ذلک.

و بالنسبه للحادثه الأخيره مع سهيل بن عمر قال له: فعسى أن يقوم

1- المصنف لعبد الرزاق ج 9 ص 469، و حياه الصحابه ج 1 ص 484 عن البخارى، و مسلم، و أحمد، و البيهقى، و البدايه و النهايه ج 4 ص 370، و تفسير ابن كثير ج 4 ص 372 عن ابن أبى حاتم، و فى فتح البارى ج 8 ص 458: هو مرسل جيد و صحيح البخارى ط سنه 1309 ج 3 ص 132.
2- حياه الصحابه ج 2 ص 601، و البدايه و النهايه ج 4 ص 362 عن الصحيحين، و مناقب الخوارزمى ص 182.
3- مجمع الزوائد ج 8 ص 303 عن أحمد، و أبى يعلى و البزار، و حياه الصحابه ج 2 ص 463/ 464، و البدايه و النهايه ج 4 ص 284 عن أحمد، و البخارى، و الترمذى، و بقيه الجماعه ما عدا ابن ماجه، و مناقب الخوارزمى الحنفى ص 74.
4- المصنف لعبد الرزاق ج 10 ص 155، و مجمع الزوائد ج 6 ص 226 عن أبى يعلى .. و قد روى هذا الحديث من وجوه كما فى مجمع الزوائد.
5- الرياض النضره المجلد الأول ج 2 ص 353.
6- المعجم الصغير ج 2 ص 64.

مقاما تحمده. فكان مقامه هو ما ستأتى الإشاره إليه (1). فقد كان له موقف جيد فى مكه حين وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث منع أهل مكه من الإرتداد و سكّنهم، و عظم الإسلام.

و لا ندرى كيف خفى على عمر خطوره تصرف كهذا؟! و أن ذلک معناه: نقض الصلح، و إعطاء نظره سلبيه عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم و عن المسلمين، و فسح المجال للدعايه المغرضه ضدهم، و أنهم لا عهد لهم و لا ذمار. فحتى مع الرسل و المفاوضين يفعلون ذلک الأمر المهين و المشين، الأمر الذى يرفضه حتى العرف الجاهلى، فضلا عن الخلق السامى و النبيل (2).

كما أننا لا ندرى- لو أنه فعل ذلک بسهيل بن عمرو- ماذا سوف يكون شعور إبنه عبد اللّه بن سهيل، الذى هرب من أبيه إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى بدر، و كان يكتم أباه إسلامه؟!. ثم ماذا سوف يكون شعور إبنه الآخر أبى جندل بن سهيل، الذى جاء يرسف فى الحديد إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى الحديبيه؟!، أى فى نفس الوقت الذى يريد فيه عمر: أن يفعل ما يفعل بأبيه سهيل. و قد كان سهيل يضرب أبا جندل بغصن شوک. و لكنه مع ذلک قد ضن بهذا الأب أن يصيبه سوء، كما ذكره مصعب الزبيرى (3).

نعم، إننا لا ندرى لماذا يصرّ عمر على النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى هذا الأمر، الذى كرّر النبى صلى الله عليه و آله وسلم له رأيه فيه مرات عديده؟!، و أوضح له: أنه لا يريد أن يتحدث الناس: أن محمدا يقتل أصحابه. بل لقد قال له فى قصه ابن

1- الإصابه ج 2 ص 93، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 2 ص 109/ 110، و تفصيل القضيه فيه.
2- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 2 ص 110، و راجع سير أعلام النبلاء ج 1 ص 194.
3- نسب قريش لمصعب ص 319/ 320.

أبى: لو قتلته يوم قلت لى لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته (1).

و إذا كان عمر يغار على مصلحه الإسلام إلى هذا الحد، حتى إنه لينسى كلام النبى له فى ذلک مرات عديده، فلماذا فرّ فى أحد قبل ذلک بقليل، و ترک الإسلام و النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى معرض الأخطار الجسام، و الأهوال العظام؟! و لماذا فر فى خيبر، و حنين إلخ؟!.

و لماذا لم يطع النبى صلى الله عليه و آله وسلم حينما أمره بأن يقتل ذا الثديه؟! (2).

و لعل هذا هو سر قول النبى صلى الله عليه و آله وسلم له فى قصه ابن أبى: أو قاتله أنت إن أمرتک بقتله؟ مما يوحى بأنه صلى الله عليه و آله وسلم كايشک فى صحه عزمه على هذا الأمر كثيرا، و قد أثبت الواقع صحه شكه صلى الله عليه و آله وسلم هذا.

و لماذا كان صلى الله عليه و آله وسلم يسند هذه المهمه إلى غير عمر. إلا فى قصه ذى الثديه، و كانت النتيجه فيها ما هو معلوم؟!.

و لماذا لا نجد غير عمر من سائر الصحابه يهتم بهذا الأمر بالخصوص؟!.

أسئله تبقى حائره، تنتظر الجواب المقنع و المفيد.

و أين؟!

و أنى؟!ه.

1- البدايه و النهايه ج 4 ص 158.
2- راجع القضيه فى الإصابه ج 1 ص 484/ 485، و قال: إن لقصه ذى الثديه طرقا كثيره صحيحه.

ص: 299

الفصل الخامس: غزوه حمراء الأسد، و الى السنه الرابعه

اشاره

قريش تفكر فى المدينه، ثم تعدل عنها:

لقد كان من الطبيعى: أن يفكر المشركون فى المدينه و نهبها، و سلب نسائها، بعد انتهائهم من معركه أحد.

و كان من الطبيعى أيضا أن يحسبوا: أن فى المدينه خلقا كثيرا من الأوس و الخزرج لم يحضروا الحرب، و هم مسلمون.

و حتى اليهود، و المنافقون، مثل: ابن أبىّ و أصحابه، فإن لهم فى المدينه أهلا و نساءا و عيالا و أطفالا. كما أن لهم بعيال، و أطفال، و نساء، و حتى رجال المسلمين علاقات نسبيه، و مصالح مشتركه، لا يمكن التخلى عنها، أو تجاهلها بسهوله.

إذن، فقد كان من الطبيعى أن يجد المشركون مقاومه شديده فى داخل المدينه لو هاجموها.

و أما فى خارجها .. فهم يعلمون: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أصحابه من ورائهم. فإنهم و إن تحملوا خسائر كبيره: سبعين قتيلا، و سبعين جريحا، إلا أن من بقى منهم؛ و هم أكثر من خمسمائه مقاتل، إذا كانت القضيه قضيه شرف و عرض و مال، و مستقبل؛ فضلا عن كونها قضيه دين- فلسوف- يستميتون فى الدفاع عنها .. و لم تنس قريش بعد: أنها قد هزمت فى ابتداء المعركه، و طار بها الرعب فى آخرها، من هؤلاء بالذات، مع أنها تزيدهم عددا أضعافا كثيره. كما لا مجال لمقايسه

ما كان عندهم من السلاح و العده بما كانت تملكه هى من عده و سلاح.

و لم تنس بعد أيضا: أنها لم تتغلب عليهم إلا بسبب تكتيک حربى، يعتمد على عنصر المفاجأه استطاعت أن تستفيد منه حينما خالف الرماه صريح أوامر قائدهم، مع اشتغال الباقين فى الغنائم، الأمر الذى جعلهم آمنين مطمئنين إلى أنه لا عدوّ بعد يواجههم.

هذا كله، عدا عن أن قريشا قد كلّت فى هذه الحرب، و تعبت، و أصبحت قدراتها الآن أقل بكثير مما كانت عليه فى بدايه الحرب، حيث واجهت الهزيمه أيضا.

كما أنها ترغب فى الإحتفاظ بهذا الإنتصار الشكلى، و لا تريد أن تخاطر به، و تعرضه لاحتمالات الإنتكاس و الفشل الفاضح؛ لأن هذا الإنتصار الشكلى يتيح لها: أن تبذل محاولات جديده فى تضعيف تأثير مواقف المسلمين الشجاعه السابقه على القبائل فى المنطقه، و بالذات على مشركى مكه أنفسهم.

و أخيرا، فلم لا تفكر فى أن تتّبع الخطه التى اتبعها المسلمون فى بدر، حيث لم يتبعوا المشركين حينما هزموهم؛ فلعل ذلک كان لأهداف بعيده، و حكم غابت عنها، أدركها الآخرون، و لم تستطع هى أن تدركها.

غزوه حمراء الأسد:

و فى اليوم الثانى من أحد خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) بأمر من الوحى- كما فى الروايه- إلى حمراء الأسد، موضع على ثمانيه أو عشره أميال من المدينه، حيث ندب أصحابه، قائلا: (ألا عصابه تشد لأمر اللّه، تطلب عدوها؟ فإنها أنكأ للعدو، و أبعد للسمع) (1).

1- مجمع البيان ج 2 ص 539، و البحار ج 20 ص 39.

فاشتد ذلک علی المسلمین فأنزل اللّه: وَ لا تَهِنُوا، وَ لا تَحْزَنُوا، وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ (1).

المجروحون فقط:

فخرج صلی الله علیه و آله وسلم فی ستین راکبا (2). أو سبعین (3).

و یدل علی أن عدتهم سبعون: أن عائشه قالت لعروه بن الزبیر: کان أبوک الزبیر، و أبو بکر لما أصاب نبی اللّه ما أصاب، و انصرف عنه المشرکون، خاف أن یرجعوا فقال: من یرجع فی أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلا (4).

و لکن الظاهر هو أن ذکر أبی بکر هنا قد جاء فی غیر محله، لأن الذین خرجوا فی هذه الغزوه کانوا خصوص المجروحین، و کانوا سبعین رجلا کما تقدم.

فقد روی القمی (رحمه الله): أن جبرئیل (علیه السلام) نزل علی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فقال: یا محمد، إن اللّه یأمرک أن تخرج فی أثر القوم، و لا یخرج معک إلا من به جراحه؛ فأمر صلی الله علیه و آله وسلم مناذیه أن ینادی بذلک (5).

1- راجع: مجمع البیان ج 2 ص 509، و البحار ج 20 ص 22.
2- البدء و التاریخ ج 4 ص 205.
3- مجمع البیان ج 2 ص 539.
4- البدایه و النهایه ج 4 ص 50 و 51، و السیره الحلبیه ج 2 ص 257، و الدر المنثور ج 2 ص 102 عن سعید بن منصور، و ابن أبی شیبه، و أحمد، و البخاری، و مسلم، و ابن ماجه، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و الحاکم، و البیهقی فی الدلائل.
5- تفسیر القمی ج 1 ص 125، و البحار ج 20 ص 64 عنه.

و يؤيد- أن هؤلاء السبعين هم المجروحون-: قوله تعالى فى هذه المناسبه: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ (1)

و قد قلنا: إنه إذا كان الذين خرجوا هم المجروحون فقط، فلا معنى لذكر أبى بكر و عمر و غيرهم، ممن لم يكن به جراح فى الخارجين إلى حمراء الأسد.

و على كل حال، فقد خرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بالمجروحين من أصحابه، و استخلف على المدينه ابن أم مكتوم، و كان حامل لوائه على (عليه السلام)، و كانت قريش فى الروحاء، على بعد خمسه و ثلاثين او إثنين أو ثلاث و أربعين ميلا من المدينه حيث تلاوموا هناک فيما بينهم، و قالوا: لا محمدا قتلتم، و لا الكواعب أردفتم. قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم، إرجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا شوكه.

فقال صفوان بن أميه:

لا تفعلوا، فإن القوم قد حربوا، و قد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان. أو قال لهم: إن محمدا و أصحابه الآن فى حنق شديد مما أصابهم، فو اللّه ما أمنت إن رجعتم أن يجتمع جميع من كان قد تخلف عن أحد من الأوس و الخزرج، و يطؤوكم و يغلبوا عليكم، و الآن لكم الغلبه إلخ.

فبلغ ذلک النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فأراد أن يريهم من نفسه و أصحابه قوه، و أن يرعبهم.

و لكن من أين بلغه ذلک و متى وصل إليه الخبر فى خلال ليله واحده؛ عن بعد أكثر من أربعين ميلا، إلا أن يكون ذلک عن طريق الوحى. و قد نصت روايه القمى المتقدمه على أن جبرئيل قد جاء بأمر من

1- آل عمران: 172.

اللّه سبحانه إليه يأمره بالمسير إليهم.

و قدّم صلى الله عليه و آله وسلم ثلاثه نفر من أسلم، فلحق إثنان منهم القوم بحمراء الأسد، و هم يأتمرون بالرجوع، فبصروا بهما، فرجعوا إليهما فقتلوهما.

و مضى صلى الله عليه و آله وسلم حتى نزل حمراء الأسد فدفن الرجلين، و أقام هناک ثلاثه أيام. و أوقد المسلمون نارا عظيمه- خمسمائه نار- فذهب صيت عسكرهم و نارهم إلى كل جانب، فكبت عدوهم بذلک.

و مرّ معبد الخزاعى- و هو مشرک- بعسكر المسلمين، و هو فى طريقه إلى مكه. و كانت خزاعه عيبه نصح لرسول اللّه، مسلمهم و كافرهم، فأظهر تألمه مما أصاب المسلمين فى أحد.

فلما بلغ أبا سفيان و أصحابه أخبرهم: أن محمدا يطلبهم فى جمع لم ير مثله، و أن هذا على بن أبى طالب، قد أقبل على مقدمته فى الناس (1). و قد اجتمع معه من كان تخلف عنه، و قد ندموا على ما صنعوا، و أنهم يتحرقون عليهم. و أن نواصى الخيل قد تدركهم قبل أن يرتحلوا.

فدب الرعب فى قلوب المشركين، و أسرعوا بالرحيل. و التقوا بركب من بنى عبد القيس قاصدا المدينه، فوعدهم أبو سفيان أن يعطيهم ما يرضيهم إذا هم أبلغوا رسول اللّه أن قريشا آتيه لحربه.

و أرسل معبد يخبر رسول اللّه بحقيقه الأمر.

و بعد إقامه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ثلاثه أيام عاد إلى المدينه.

أسيران يقعان فى أيدى المسلمين:

و أخذ النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى طريقه ذاک رجلين من قريش، هما معاويه بن المغيره بن أبى العاص، و أبو عزه الجمحى.

1- البحار ج 20 ص 99، و إعلام الورى ص 86.

أما أبو عزه فقد كان أسر فى بدر، ثم منّ عليه صلى الله عليه و آله وسلم لبناته الخمس، و أخذ عليه العهد أن لا يعود إلى حرب المسلمين، و أن لا يظاهر عليه أحدا. فنقض العهد، و ألّب القبائل، و شارک فى معرکه أحد.

فلما عادت قريش، و نزلت فى حمراء الأسد، ساروا و ترکوه نائما، فأدرکه المسلمون هناک، و أخذوه إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فطلب الإقاله، فرفض صلى الله عليه و آله وسلم ذلک حتى لا يمسح عارضيه بمکه، و يقول: سخرت من محمد مرتين. ثم أمر صلى الله عليه و آله وسلم عليا- و قيل غيره- أن يضرب عنقه، ففعل.

و لكن ابن جعديه قال: ما أسر يوم أحد هو و لا غيره. و لقد كان المسلمون فى شغل من الأسر. و لم ينكر قتله.

و قال ابن سلام: (قد قيل: أن النبى لم يقتل أحدا صبرا إلا عقبه بن أبى معيط يوم بدر) (1).

و لكن المشهور هو خلاف ذلک، فهو المعتمد حتى يثبت خلافه.

أما ما ذكره بعضهم من: أن أبا عزه قد أسر يوم أحد.

فالظاهر أن مقصوده منه نفس ما ذكرناه، لأن حمراء الأسد من تتمه معرکه أحد. فلا مجال لإشكال المعتزلى بأن حال المسلمين فى أحد لم يكن يساعد على أسر أحد (2).

و أما معاويه بن المغيره بن أبى العاص، فإنه انهزم فى أحد، و دخل المدينه، فأتى منزل عثمان بن عفان، ابن عمه. فقال عثمان له: أهلكتنى و أهلكت نفسک. ثم خبأه فى بيته، و ذهب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ليأخذ له أمانا.

و كان صلى الله عليه و آله وسلم قد علم به من طريق الوحى، فأرسل عليا (ع) ليأتى به من دار عثمان، فأشارت أم كلثوم زوجه عثمان إلى الموضع الذى صيره

1- طبقات الشعراء لإبن سلام ص 64/ 65.

2- شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 46.

عثمان فيه، فاستخرجوه من تحت حمّاره لهم، و انطلقوا به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فشفع فيه عثمان، فقبل منه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أجله ثلاثا، و أقسم إن وجده بعدها فى أرض المدينه و ما حولها ليقتلنه، فجهزه عثمان، و اشترى له بعيرا.

و سار صلى الله عليه و آله وسلم إلى حمراء الأسد، و أقام معاويه إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و يأتى بها قريشا، فلما كان فى اليوم الرابع أخبرهم صلى الله عليه و آله وسلم : أن معاويه بات قريبا، و أرسل زيدا و عمارا، فقتلاه.

و الصحيح عليا و عمارا، كما فى روايه الكافى.

و قال البلاذرى عن ابن الكلبى: (و يقال: إن عليا (عليه السلام) هو الذى قتل معاويه بن المغيره) (1).

و يذكر هنا: أن عثمان قد انتقم من أم كلثوم، لدلالتها على ابن عمه.

بل يقال: إن ما فعله بها كان سببا فى موتها فى اليوم الرابع، و بات ملتحفا بجاريتها (2).

دوافع حمراء الأسد و نتائجها:

لقد اتضح مما تقدم بعض دوافع غزوه حمراء الأسد، و نتائجها، و للتذكير بذلک نعود فنقول:

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 333، و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 46/ 47 عن البلاذرى، و السيره الحلبيه ج 2 ص 261، و ليراجع الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 165 ط صادر، و قاموس الرجال ج 10 ص 407/ 408، و البحار ج 20 ص 145، عن الكامل و المعتزلى، و أشار إلى ذلک ابن هشام، و تاريخ الخميس، و السيره النبويه لإبن كثير، و البدايه و النهايه ج 4 ص 51 و غير ذلک.
2- الكافى ج 3 ص 251/ 253.

لقد عرف الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم : أن نتائج حرب أحد، لو لا خروجه إلى حمراء الأسد سوف تكون:

1- أن تستعيد قريش ثقتها بنفسها، و يزيد ذلک من إصرارها على حرب المسلمين، و تصلبها فى موقفها تجاههم.

2- أن تستغل ذلک إعلاميا، بحيث تضعف من مكانه محمد صلى الله عليه و آله وسلم فى نفوس القبائل، و يزيدون جرأه على مناجزته و مقاومته؛ و يسهل عليهم الإستجابه لدعوه حربه.

3- أن يصبح سلطان النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى المدينه فى معرض التزلزل و الضعف، بعد أن كان قد استقر و أدخل الرعب فى نفوس كل مناوئيه فى داخلها، سواء من المنافقين أو من اليهود. و قد دل على ذلک شماته المنافقين، و اليهود، و إظهارهم السرور بما جرى.

4- أن يوجب ذلک تزلزل إيمان ذوى النفوس الضعيفه، و يجعلهم عرضه لا صطياد الآخرين لهم.

5- توقف من كان مهيئا نفسيا للدخول فى الدين الجديد عن الدخول فيه، حتى تتضح له الأمور، و ينجلى الموقف. و لا سيما إذا كان إسلامه صوريا من أجل ضمان مصالحه، أو للحصول على مكاسب من نوع ما، حيث لا يبقى ثمه ضمانات للحصول على ذلک، إن لم يكن أصبح يخشى العكس.

و على ضوء ما تقدم:

فقد جاءت حمراء الأسد- التى ربما تبدو للوهله الأولى غير معقوله- فغيّرت الكثير من النتائج المتقدمه، و حولتها لصالح المسلمين، لأن خروج هؤلاء الجرحى فى أثر قريش، و هم لا يزيدون على سبعين رجلا على ما يظهر، فى حين لم يكن فى هذه الغزوه طمع فى مال و لا فى

غنائم، قد أوضح لكل أحد: أن هؤلاء مستميتون فى الدفاع عن دينهم و عقيدتهم؛ و أن جراحهم تلک لم تحل دون إقدامهم على ملاحقه عدوهم؛ فهم يطلبون الموت و يسعون إليه، فالوقوف فى وجه هؤلاء إنما يعنى الوقوف أمام خيارين: إما موت هؤلاء، و لا يموتون إلا بعد أن يموت معهم كل من يقدرون عليه، و إما موت عدوهم.

و إذا كان جرحاهم على استعداد لمثل هذا، فما حال غيرهم ممن وراءهم، ممن سوف لن يسكتوا عن إمدادهم و مساعدتهم؟!

و إذن فخروج الجرحى كان هو الأصوب، لأن رهبه العدو تكون أعظم، و خوفه يكون أشد، لأنه يعلم أن وراءهم من لا يحب الحياه أكثر منهم.

و لسوف يدرک عدوهم: أن ما جرى فى أحد ليس إلا نتيجه نزوه عارضه الّمت، و يصعب تكررها منهم، بعد الذى أصابهم بسببها.

كما و تصير حجه من يريد التشكيک بقدرتهم الطبيعيه على المواجهه- من المنافقين أو اليهود- ضعيفه و واهيه، يصعب تقبلها.

إذن، فمواجهه المسلمين و هم فى قدرتهم الطبيعيه، و حين لا يكون ثمه حاله إستثنائيه- كما جرى فى أحد- سوف يكون عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده.

و لا سيما بعد أن تعلم المسلمون هذا الدرس الصعب، الذى كلفهم غاليا، فإن احتمال حدوث حاله إستثنائيه بعده يكاد يلحق بالممتنعات.

و لذلک فقد أوقد المسلمون خمسمائه نار، فكبت اللّه بذلک عدوهم، و أرجع كل القبائل المحيطه بالمدينه إلى صوابها، و أفهمها: أن عليها أن لا تغتر بما جرى فى أحد.

كما أن عليها: أن تعرف: أنه لو كان ما جرى فى أحد طبيعيا، لما

آثرت قريش الفرار من وجه سبعين من الجرحى. و هى التى ينبغى أن تكون أشد طغيانا و تجبرا، و أكثر إقداما على المسلمين من ذى قبل. و كان ينبغى- لو كان يمكنها- أن تغتنمها فرصه للقضاء على هذه القله القليله، المنهكه، و المثخنه بالجراح. و تقتل مصدر متاعبها و آلامها، و أعنى به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) ما دام أنه فى جماعه لا تستطيع أن تدفع عنه، و لا عن نفسها شيئا.

ففى حمراء الأسد هزيمه نفسيه، و إعلاميه لقريش، كما أن فى ذلک إعطاء الفرصه لسائر القبائل لتقييم معركه أحد تقييما صحيحا و سليما، بعيدا عن الغرور و التضليل.

و هى أيضا إبطال لكيد المنافقين و اليهود، و تأييد لسلطان المسلمين فى المدينه، و ربط على قلوبهم، و رفع لمعنوياتهم.

و هذا معنى قوله صلى الله عليه و آله وسلم : (فإنها إنكاء للعدو، و أبعد للسمع).

و يلاحظ أخيرا: أن معبد الخزاعى قد ذكر لقريش: أن عليا قد يدركهم قبل أن يرتحلوا، فدعاهم ذلک إلى التعجيل بالرحيل، قبل أن يدركهم أسد اللّه الغالب الإمام على بن أبى طالب. و هذا يؤكد على دوره الفريد و المتميز فى إلحاق الهزيمه النكراء بجيش المشركين فى أحد؛ حتى صار يطلبه المشركون بثارات أحديه (1) أضيفت إلى ثاراتهم البدريه، كما ورد التصريح به فى أكثر من مورد فى تأريخ الصدام فيما بين الحق و الباطل بعد ذلک.

قتل الأسيرين:

و قصه قتل الأسيرين، و ملاحظه موقفه (صلى اللّه عليه و آله و سلّم)

1- البحار ج 36 ص 54 و 55 و ج 43 ص 156، و المناقب لإبن شهر آشوب ج 2 ص 203، و فى ط أخرى ج 1 ص 381، و العوالم ص 250.

منهما تعطينا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم كان يعامل كل أحد- بالدرجه الأولى- على أنه إنسان. ثم يقاوم فيه شركه و انحرافه بالأساليب الإنسانيه أولا أيضا.

أى أنه يعتبره يحوى سائر الخصائص الإنسانيه؛ فيتعامل معه على أساس الصدق، و الوفاء، و الأمانه و غير ذلک من خصائص إنسانيه. و ذلک من أجل تشجيع هذه الخصائص، و إعطائها الفرصه للنمو و التكامل، على أمل أن يكون ذلک موجبا لتسهيل مهمته التبليغيه و الإقناعيه فى المستقبل، و من ثم لتلافى الكثير من المشكلات التى لا مبرر لها، و إنما تخلقها النزوات غير الإنسانيه، فى طريق الدعوه إلى اللّه تعالى، و الإقناع بالحق و الخير.

و لكنه حين يثبت له صلى الله عليه و آله وسلم : أن الطرف الآخر، لا ينطلق فى مجمل مواقفه من خصائص إنسانيه، و إنما من نزوات غير إنسانيه، و من شيطنه، و مكر؛ فإنه صلى الله عليه و آله وسلم حينئذ يقف منه الموقف الحازم الذى لا بد منه. و هو يحسن إليه و إلى مجتمعه حينما يقضى على تلک الروح البهيميه، و النزوات الشيطانيه فيه؛ لأن اللّه قد خلقه ليكون إنسانا، لا ليكون حيوانا، يحمّل إنسانيته كل مشقات و متاعب النزوات الحيوانيه تلک.

كما أنه يكون قد أحسن لبناته اللواتى لن يكون فى صالحهن: أن يكون المشرف على قضاياهن و شؤونهن مخلوقا لا يحمل- أو فقل-: لا أثر فى حياته للخصائص و المزايا الأوليه للإنسان.

و عليه، فإذا قبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يمنّ على أبى عزه الجمحى فى بدر من أجل بناته، ثم رفض ذلک هنا؛ فإنه لا يكون بين كلا موقفيه أى تناقض أو اختلاف؛ بل هو مصيب فى الحالتين، و هو قد أحسن لبناته أول مره، و كان إحسانه لهن فى هذه المره أعم و أعظم.

هذا كله عدا عن أنه صلى الله عليه و آله وسلم يكون قد أعطى المثل الأعلى للمؤمن الواعى و اليقظ، الذى لا يخدع و لا يستغل فإنه: لا يلدغ المؤمن من جحر

مرتين. (راجع ما تقدم بعد بدر حول خصائص الشيعه).

وفاه أم كلثوم و ملابساتها:

و يقولون: إن أم كلثوم بنت النبى، بل ربيبته قد توفيت فى سنه تسع. و لكن ما يذكر فى سبب وفاتها يؤكد: أنها قد توفيت فى سنه ثلاث.

فقد جاء فى نوادر جنائز الكافى خبر طويل، تقدم شطر منه قبل صفحات قليله، و نعود فنلخصه هنا على النحو التالى:

إن عثمان قد آوى الذى جدع أنف حمزه [و هو معاويه بن المغيره بن أبى العاص كما تقدم] و خبأه فى مكان من داره، و أمر أم كلثوم: أن لا تخبر أباها فقالت: ما كنت لأكتم النبى صلى الله عليه و آله وسلم عدوه.

و خرج عثمان إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم . و عرف النبى صلى الله عليه و آله وسلم ذلک بواسطه الوحى؛ فأرسل عليه (عليه السلام) ليأتى به؛ فلم يجده؛ فجاء عثمان فأخذه، و طلب الأمان له بإلحاح، فقال له صلى الله عليه و آله وسلم : إن قدرت عليه بعد ثالثه قتلته؛ فأخذه عثمان، فجهزه، و انطلق.

و بعد ثلاث أرسل النبى صلى الله عليه و آله وسلم عليا و عمارا، و ثالثا؛ ليقتلاه؛ لأنه بات قريب المدينه؛ فأتاه على (ع) فقتله.

فضرب عثمان بنت النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و قال: أنت أخبرت أباک بمكانه، فبعثت إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ثلاث مرات تشكو ما لقيت و النبى صلى الله عليه و آله وسلم لا يستجيب. و فى الرابعه أرسل عليا ليأتى بها؛ فإن حال بينه و بينها أحد؛ فليحطمه بالسيف، و أقبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم كالواله إلى دار عثمان، فأخرجها على؛ فلما نظرت إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم رفعت صوتها بالبكاء، و بكى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أخذها إلى منزله، و أرتهم ما بظهرها.

و بات عثمان ملتحفا بجاريتها.

و ماتت فی الیوم الرابع.

فأمر صلی الله علیه و آله وسلم فاطمه؛ فخرجت، و نساء المؤمنین معها، و خرج عثمان یشیع جنازتها؛ فلما نظر إلیه صلی الله علیه و آله وسلم ، قال ثلاث مرات: من أطاف البارحه بأهله، أو بفتاته، فلا یتبعن جنازتها، فلم ینصرف. فلما کان فی الرابعه، قال: لینصرفن أو لأسمین باسمه.

فأقبل عثمان متوکئا علی مولی له، فقال: إنی أشتکی بطنی. قال:

انصرف إلخ (1).

و نفس هذه القضیه ذکرها الواقدی، و البلاذری، و غیرهما، إلی أن انتهی إلی أنهم أصابوه قد أخطأ الطریق، فقتله عمار وزید- و ذکروا: أنهم لما جاؤا لیأخذوه من منزل عثمان، أشارت أم کلثوم إلی الموضع الذی صیره عثمان فیه؛ فاستخرجوه (2).

و لکنهم لا یذکرون القسم الأخیر من القضیه، لأسباب لا تخفی.

و جزم البلاذری بأن علیا (علیه السلام) هو الذی قتله (3).

و لعل عائشه تشیر إلی هذه القضیه بالذات، حینما قالت لعثمان عن رقیه و أم کلثوم: (و لکن قد کان منک فیهما ما قد علمت).

1- راجع: الکافی ج 3 ص 251- 253، و قاموس الرجال ج 10 ص 408- 409 عنه. و راجع: الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 301، و الإصابه ج 4 ص 304.
2- راجع: قاموس الرجال ج 10 ص 407- 408، و مغازی الواقدی ج 1 ص 333، و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 46 و 47 عن البلاذری، و لیراجع: الکامل لإبن الأثیر ج 2 ص 165 ط صادر، و بقیه المصادر تقدمت قبل حوالی خمس صفحات.
3- أنساب الأشراف ج 5 ص 164، و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 47 و 199 عن الجاحظ، و 239.

فراجع ما ذكرناه فی ما تقدم حینما تحدثنا حول وفاه رقیه رحمها اللّه.

و إلی ذلک أیضا یشیر ما ورد فی دعاء شهر رمضان: (اللهم صل علی أم کلثوم بنت نبیک، و العن من آذی نبیک فیها) (1).

و یلاحظ هنا: أن التعبیر ب (بنت نبیک) لا یدل علی البنوّه الحقیقیه، إذ قد یکون المقصود بالبنت: الربیبه، فراجع ما ذکرناه فی الرساله الخاصه التی ألفناها حول هذا الموضوع، و هی بعنوان (بنات النبی صلی الله علیه و آله وسلم أم ربائبه).

و بعد ما تقدم، فإن کل الأصابع لا بد و أن تمتد لتشیر إلی عثمان،، حینما نقرأ روایه عبد الرزاق التی تقول: إن بعض بناته صلی الله علیه و آله وسلم جاءت تشکو زوجها؛ فأمرها صلی الله علیه و آله وسلم بالرجوع (2)؛ لکن علیا (علیه السلام)- حسبما تقدم حین الکلام علی تکنیته بأبی تراب- قد أقسم علی أنه لم یغضب فاطمه الزهراء و لا أکرهها علی أمر حتی قبضها اللّه تعالی. و هی أیضا کذلک.

فکل القرائن تشیر إذن إلی صحه روایه جنائز الکافی؛ و تقوّی من مضمونها، الأمر الذی یجعلنا نطمئن إلی أنها رضوان اللّه تعالی علیها قد توفیت بعد واقعه أحد، و بالذات فی قضیه الذی جدع أنف حمزه سید الشهداء صلوات اللّه و سلامه علیه؛ و أنها لم تقم مع عثمان إلا قلیلا.

ثم إننا لا نستبعد صحه ما نقله فی قرب الإسناد عن الصادق (ع):

1- رجال المامقانی ج 3 ص 74، و قاموس الرجال ج 6 ص 406 و 407 و قال: (أقول: أما الدعاء، فذکره الشیخان فی المقنعه، و التهذیب، عقیب تسبیح شهر رمضان، و نسبه الأول إلی مجی ء الآثار به، لکن لیس فی نسخته الفقره، نعم هی فی الثانی).
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 11 ص 300، و هامش ص 301 عن سعید بن منصور.

من أن عثمان لم يدخل بأم كلثوم (1)، و يكون ذلک قرينه على أنها لم تعش معه مده طويله، و يقرّب ذلک أنها ماتت بعد أحد حسبما تقدم. و لعلها قد تزوجته لأيام قليله فقط.

و أما أن أسماء بنت عميس قد غسلتها، و هى قد عادت من الحبشه عام خيبر؛ أى فى سنه سبع؛ فلعله اشتباه من الراوى. و يكون المراد أسماء بنت يزيد الأنصاريه؛ لكن الراوى زاد كلمه بنت عميس من عند نفسه جريا على ما استقر فى نفسه، بسبب شهره بنت عميس، و قد تقدم قبل وقعه أحد نظير ذلک فى ولاده الإمام الحسن (عليه السلام)، فليراجعه من أراد.ل.

1- رجال المامقانى ج 3 ص 73/ 74، و قاموس الرجال ج 10 ص 406 و 407 عن قرب الإسناد و الخصال.

الباب الخامس: شخصيات و أحداث

اشاره

الفصل الأول: أوسمه و همیه لزید بن ثابت

اشاره

بدایه:

إننا حین نتحدث عن بعض الشخصیات، و ما ینسب إلیها من مواقف و یرتبط بها من أحداث. فإن سبب ذلک، إما أهمیه ذلک الحدث بالذات. أو لأن مناسبه البحث قد اقتضت ذلک أحیانا، أو من أجل معرفه الدور الذی قامت به تلک الشخصیه أو أرید لها: أن تنال شرف انتسابه إلیها، لسبب سیاسی، أو غیره.

و لیس هدفنا من حدیثنا ذاک مجرد مجاراه المؤرخین، و لا تکمیل نقص لربما یجد البعض فیه مستمسکا للتقلیل من أهمیه الکتاب بصوره عامه. و لا غیر ذلک مما یدخل فی نطاق الشکلیات و الهامشیات، التی تستند إلی بواعث غیر مسؤوله، و لا هی ذات أهمیه أو قیمه تذکر.

کما أن ذکرنا للحدث، قد یکون مرده بالإضافه إلی ذلک: إلی الرغبه فی تسجیل تحفظ علی ما أوردوه علی أنه حقیقه و واقع، أو تصحیح خطأ، أو إبراز الجانب السیاسی، الذی هیمن علی ذلک الحدث، و أثر فیه. أو تسجیل عبره نجدها جدیره بالتسجیل للإستفاده منها فی الموقع المناسب.

هذا بالإضافه إلی أن جمع أطراف البحث، و ملاحقه عناصر متفرقه و وضعها فی مواضعها یساهم إلی حد کبیر فی تسهیل التعرف علی ملامح الصوره التی تمس الحاجه للتعرف علیها، و تتشوق النفوس إلیها.

هذا إلى أمور أخرى، لا تبتعد كثيرا عن هذا المنحى فى مسارها العام.

و على هذا الأساس: فإننا قد أولينا قسطا من الأهميه لمتابعه الأحداث، التى ترتبط ببعض الشخصيات، التى عاشت فى العصر النبوى، و بعده و كان لها دور رئيس فى صنع الأحداث، و فى تهيئه الأجواء و الظروف لها. على أمل أن نكون قد أسهمنا بدورنا فى حصحصه الحق، و كشف الزيف، و إزاله الشبهات.

و نبدأ هنا بالحديث عن أمر ذكر: أنه يرتبط بزيد بن ثابت، فعسى أن نجد فيه، و فيما يأتى من فصول. ما ينفع و يجدى. فنقول.

الحدث المشكوك:

إن المطالع للتأريخ الإسلامى، و لكتب التراث بصوره عامه يجد الكثير من الأمور، التى أصبح لها من الشيوع و الذيوع، بحيث تبدو من الحقائق الثابته التى لا تقبل الجدل، و لا يجوز أن تخضع للمناقشه.

و أصبح الكتّاب و المؤلفون، يرسلونها إرسال المسلمات و يوردونها مستدلين بها، على ما يرونها قادره على إثباته، أو الدلاله عليه. مع أن نفس هذه القضايا لو أخضعها الباحثون للبحث، و للتحقيق و التمحيص، لخرجوا بحقيقه: أنها من الأمور الزائفه و المجعوله، التى صنعتها الأهواء السياسيه، و التعصبات المذهبيه، أو العرقيه، أو غيرها.

أو على الأقل لوجدوا الكثير مما يوجب الشک و الريب فيها، و من ثم ضعفها، و وهنها، أو لوقفوا على كثير من موارد التحريف و التلاعب فيها.

و قد يجوز لنا القول: إن ما يروى، من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغه العبرانيه أو السريانيه، يصلح مثالا

لهذا الأمر، و لأجل ذلک فقد رأينا من المناسب أن نشير إلى بعض ما تلزم الإشاره إليه فى هذه القضيه و غيرها تاركين الحكم فى ذلک نفيا أو إثباتا، إلى القارى ء الكريم، الذى يملک كامل الحريه فى أن يقبل، و فى أن يرد، إذا اقتضى الأمر أيّا من الرد، أو القبول. فنقول:

روايات تعلم زيد العبرانيه أو السريانيه:

تؤرخ بعض المصادر: أنه فى السنه الرابعه للهجره أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) زيد بن ثابت بتعلم السريانيه أو العبرانيه، معللا ذلک: بأنه لا يأمن اليهود على كتابه (1)؛ فقد روى الترمذى، عن زيد بن ثابت، قال: أمرنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن أتعلم كتاب يهود، قال: ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مر بى نصف شهر، حتى تعلمته له.

قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، و إذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (2).

و فى نص آخر: لما قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المدينه،

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 464، و البدايه و النهايه ج 4 ص 91، و السيره النبويه لإبن كثير ج 3 ص 176، و راجع: الكامل لإبن الأثير ج 2 ص 176، و راجع: بهجه المحافل ج 1 ص 230.
2- الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 67، 68، و مشكل الآثار ج 2 ص 421، و السنن الكبرى للبيهقى ج 6 ص 211، و فتوح البلدان للبلاذرى ص 583 و التراتيب الإداريه ج 1 ص 203 و 204، عن البخارى، و عن الطحاوى فى مختصره و مسند احمد ج 5 ص 186.

قال لی: تعلّم کتاب الیهود؛ فإنی و اللّه ما آمن الیهود علی کتابی (1) و لم یذکر قوله: فلما تعلمته الخ.

قال الترمذی: و قد روی من غیر هذا الوجه، عن زید بن ثابت.

قال: أمرنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن أتعلم السریانیه (2).

و فی نص آخر: عن زید بن ثابت، قال: قال لی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إنه یأتینی کتب من ناس، لا أحب أن یقرأها أحد؛ فهل تستطیع أن تتعلم کتاب العبرانیه، أو قال: السریانیه؟

فقلت: نعم.

قال: فتعلمتها فی سبع عشره لیله (3).

و مثله فی نص آخر، عن زید بن ثابت، لکنه جزم بأنه أمره بتعلم السریانیه و لم یردد فی ذلک (4).

1- طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2: 115، و منتخب کنز العمال- بهامش مسند أحمد ج 5 ص 185، و حیاه الصحابه ج 3 ص 216 عن أبی یعلی، و ابن عساکر، و سنن أبی داود ج 3 ص 318 و مستدرک الحاکم ج 1 ص 75 و تلخیصه للذهبی بهامشه، و صحیح البخاری ج 4 ص 156 و لیس فیه ذکر لمده تعلمه.
2- الجامع الصحیح للترمذی ج 5 ص 68.
3- طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 115، و کنز العمال ج 16 ص 9 عن ابن عساکر، و ابن أبی داود فی المصاحف، و تذکره الحفاظ ج 1 ص 31، و تهذیب تاریخ دمشق ج 5 ص 446 عن أحمد، و أبی یعلی؛ و منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 185 و حیاه الصحابه ج 3 ص 216، و التراتیب الإداریه ج 1 ص 120 و 204 و راجع: مستدرک الحاکم ج 3 ص 422 و تهذیب الکمال ج 10 ص 28.
4- راجع: کنز العمال ج 16 ص 9 عن إبن عساکر و ابن أبی داود، و غیرهما و تهذیب تاریخ دمشق ج 5 ص 446 و 447 عن أحمد، و أبی یعلی؛ و مسند أحمد ج 5 ص 182 و الإصابه ج 1 ص 561، و مشکل الآثار ج 2 ص 421، و

مستدرک الحاکم ج 3 ص 422، و تلخیصه للذهبی- بهامشه، و السنن الکبری للبیهقی ج 6

و فی روایه أخری: عن زید بن ثابت أیضا، قال: أتی بی النبی (صلی اللّه علیه و آله) مقدمه المدینه، فعجب بی، فقیل له: هذا الغلام من بنی النجار، قد قرأ مما أنزل علیک بضع عشره سوره، فاستقرأنی، فقرأت (ق) فقال لی: تعلّم کتاب یهود، فإنی ما آمن یهود علی کتابی:

فتعلمته فی نصف شهر (1)، إلی آخر ما تقدم فی الروایه الأولی.

و عن عبد اللّه بن أبی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: کان زید بن ثابت یتعلم فی مدارس ماسکه، فتعلم کتابهم فی خمس عشره لیله، حتی کان یعلم ما حرّفوا و بدلوا (2).

و قال الکتانی: (قلت فی بهجه المحافل لإبن عبد البر: أنه تعلمها

1- راجع تاریخ الخمیس ج 1 ص 464، 465، و قال: کذا رواه ابن أبی الزناد، و احمد، و یونس، عند أبی داود و داود بن عمرو الضبّی، و سعید بن سلیمان الواسطی، و سلیمان بن داود الهاشمی، و عبد اللّه بن وهب، و علی بن حجر، و حدیثه عند الترمذی کذا ذکره السخاوی فی الأصل الأصیل. و کنز العمال ج 16 ص 8 عن ابن عساکر، و غیره.، و مسند أحمد ج 5 ص 186 و الإصابه ج 1 ص 561 عن البخاری و البغوی و أبی یعلی؛ و التراتیب الإداریه ج 1 ص 203، 204، عن البخاری. و تذکره الحفاظ ج 1 ص 31 و سیر اعلام النبلاء ج 2 ص 428، 429 و تهذیب الکمال ج 10 ص 28 و راجع الثقات ج 1 ص 246.
2- کنز العمال ج 16 ص 8، 9 عن ابن عساکر، و راجع: السیره النبویه لإبن کثیر ج 3 ص 176، و التراتیب الإداریه ج 1 ص 204 عن ابن عساکر. و تهذیب تاریخ دمشق ج 5 ص 446 عن ابن سعد و البدایه و النهایه ج 4 ص 91.

فی ثمانیه عشر یوما) (1).

و قالوا عن زید بن ثابت: (و کان یکتب بالعربیه و العبرانیه) (2)، أو (السریانیه) (3).

و قال ابن الأثیر الجزری: (کانت ترد علی النبی (صلی اللّه علیه و آله) کتب بالسریانیه، فأمر زیدا، فتعلمها) (4).

و قال الذهبی: (قدم النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و زید صبی ذکی نجیب، عمره إحدی عشره سنه، فأسلم، و أمره النبی (صلی اللّه علیه و آله): أن یتعلم خط الیهود؛ فجود الکتابه، إلی آخره). (5).

المناقشه:

و بعد، فإن لنا علی تلکم الروایات ملاحظات عده، توجب لنا الشک و الریب فی سلامتها و صحتها، و نذکر من هذه الملاحظات ما یلی:

أ: إننا نجدها مختلفه فیما بینها، بصوره واضحه، الأمر الذی یشیر إلی أنه لا یمکن أن تصح جمیعها، فواحده تقول: إنه أمره بتعلم السریانیه، و أخری: العبرانیه، بل لقد وقع الترديد بینهما حتی فی الروایه

1- التراتیب الإداریه ج 1 ص 203 و راجع: سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 429 و بهجه المجالس ج 1 ص 356.
2- تهذیب تاریخ دمشق ج 5 ص 449، و مستدرک الحاکم ج 3 ص 421، و تلخیصه للذهبی بهامش ص 422 منه، و فتوح البلدان للبلاذری ص 583 و المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 160.
3- المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 160.
4- أسد الغابه ج 2 ص 222، و عنه فی قاموس الرجال ج 4 ص 239، و تنقیح المقال ج 1 ص 462، و مکاتیب الرسول ج 1 ص 21 عنه أیضا.
5- تذکره الحفاظ ج 1 ص 30 و سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 427، 428.

الواحده.

و روایه تذکر: أنه قد تعلمها فی أقل من نصف شهر، و أخری: إنه تعلمها فی خمسه عشر یوما، و ثالثه، فی سبعه عشر یوما، و رابعه: فی ثمانیه عشر یوما.

و روایه تقول: إنه أمره بتعلمها لأنه لا یأمن یهود علی کتابه، و أخری تقول: إنه أمره بذلک، لأنه تأتیه کتب لا یحب أن یطلع علیها کل أحد.

و روایه تفید: أنه قد أمره بذلک حین مقدمه المدینه. بینما تذکر أخری: إنه إنما أمره بذلک فی السنه الرابعه، و تعلمها حینئذ.

هذا کله مع أن الراوی لذلک کله رجل واحد، و هو المصدر الوحید لما قاله و یقوله الکتاب و المؤرخون علی الظاهر، فی هذا المجال.

ب: إننا نلاحظ: أن الراوی لهذه القضیه هو خصوص زید بن ثابت بطل القصه نفسه، و لم نجدهم نقلوا ذلک عن غیره، رغم أهمیه هذا الأمر و کونه ملفتا للنظر، و رغم أننا نجدهم یسجلون لنا حتی أبسط الحرکات التی تصدر عن النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله).

و واضح: أن هذه القضیه ترمی إلی إثبات فضیله لنفس ناقلها، فلیلاحظ ذلک.

ج: إننا- رغم تفحصنا- لم نعثر و لو علی نص واحد، لرساله واحده أرسلها النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو وصلت إلیه من غیره تکون مکتوبه بغیر العربیه.

کما أننا لم نجد حتی و لو إشاره واحده إلی أیه رساله وصلت إلیه من أحد أو أرسلها إلی أحد قیل إنها ترجمت له (صلی اللّه علیه و آله) من أی لغه أخری إلی اللغه العربیه، أو بالعکس.

بل قد وجد عدد من الرسائل المنسوبه إلیه (صلی اللّه علیه و آله) فی

بعض المتاحف و المكتبات الخاصه؛ كان قد أرسلها إلى كسرى، و إلى النجاشى، و إلى المقوقس. و يميل العلماء و المحققون إلى الجزم بأنها هى بعينها، التى كان (صلى اللّه عليه و آله) قد أرسلها إليهم.

نعم، لقد وجدت هذه الرسائل و كانت كلها مكتوبه باللغه العربيه خاصه، و بالخط العربى، فراجع مجموعه الوثائق السياسيه للبروفيسور حميد اللّه لتطلع على صور هذه الرسائل، و راجع أيضا مكاتيب الرسول للعلامه البحاثه الشيخ على الأحمدى الميانجى. و غيرهما من الكتب و المصادر.

و مما يدل على ذلک: أن الروايه تنص على أن قيصر قد طلب ترجمانا ليقرأ له كتاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

نعم، هناک رساله واحده مكتوبه باللغه العبريه، حكم العلماء و الباحثون عليها بصوره قاطعه بالوضع و الإختلاق، فراجع الكتابين آنفى الذكر.

فأين ذهبت تلكم الرسائل التى كتبها زيد بن ثابت باللغه العبريه أو السريانيه، أو ترجمها منها إلى العربيه! و لماذا لم يشر التاريخ، و لو إلى واحده منها؟ إن ذلک لعجيب حقا؟! و أى عجيب!!!

د: و الأعجب من ذلک أن بعض المصادر تذكر: أن زيد بن ثابت كان من أكثر كتاب النبى (صلى اللّه عليه و آله) كتابه له (2).

و عباره إبن عبد االبرّ: (كان كاتبه المواظب له فى الرسائل و الأجوبه) (3) و يذكرون أيضا: أنه كان مختصا بالكتابه إلى الملوک (4)، و أنه

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 109.
2- تهذيب الأسماء ج 1 ص 29، و الرصف ج 1 ص 148.
3- بهجه المجالس ج 1 ص 356.
4- راجع: التنبيه و الإشراف ص 246، و الوزراء و الكتاب ص 12، و العقد الفريد ج 4 ص 161، و المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 134، و التراتيب الإداريه ج 1 ص 202.

كان يكتب له (صلى اللّه عليه و آله) إذا كتب إلى اليهود، و يقرأ له كتبهم.

فإذا كان كذلک فما بالنا نجد إسم كثير من الكتّاب فى أسفل الكتب التى كتبوها، فيقول فى آخر الكتاب: و كتب فلان، أو: و كتب فلان و شهد، أو نحو ذلک- و هى طائفه كثيره- و لا نجد إسما لزيد بن ثابت فى أى من الكتب التى وصلتنا، إلا على صفه الشاهد على بعض الكتب النادره جدا؟!

نعم، إننا لم نجد له إسما لا على الكتب إلى الملوک، و لا على الكتب إلى اليهود، مع وجود أسماء كثيرين من الكتاب الآخرين على طائفه كبيره منها. بل، لقد وجدنا أسماء آخرين كانوا قد كتبوا إلى الملوک، و إلى اليهود أيضا فليلاحظ: كتاب مفاداه سلمان من عثمان بن الأشهل اليهودى القرظى، فقد كتبه أمير المؤمنين على (عليه السلام).

و كتابه (صلى اللّه عليه و آله) إلى جيفر، و عبد، إبنى الجلندى، و هما من الملوک، و هو بخط أبى بن كعب.

و كتابه إلى المنذر بن ساوى، و هو من ملوک البحرين، بخط أبى.

و معاهده يهود مقنا، هى أيضا بخط أمير المؤمنين على عليه الصلاه و السلام.

و كتابه (صلى اللّه عليه و آله) ليهود بنى عاديا من تيماء، كتبه خالد بن سعيد.

و كذا كتابه ليهود بنى عريض، كتبه خالد بن سعيد أيضا.

و يقال: إن معاويه أيضا قد كتب إلى المهاجر بن أبى أميه، و ربيعه

بن ذى الرحب من حضر موت (1).

كما أن كتابه (صلى اللّه عليه و آله) الذى أجاب به النجاشى الأول، قد كتبه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه الصلاه السلام) (2).

و لعل المتتبع يجد أمثله كثيره سوى ما تقدم، فأين كان زيد بن ثابت عن ذلک، و عن سواه يا ترى؟!

ه: إننا نجد أن بعض الروايات المتقدمه تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد علل طلبه من زيد تعلم اللغه العبرانيه، أو السريانيه، بأنه تأتيه كتب، و لا يحب أن يطلع عليها كل أحد، فاحتاج إلى أن يأمر زيدا بذلک، مع أنه قد كان آخرون غير زيد بن ثابت يعرفون العبرانيه أو السريانيه، و فيهم من هو من فضلاء الصحابه و ثقاتهم، و من مثل سلمان الفارسى! الذى هو من أهل البيت، فإنه كان قد قرأ الكتابين (3)، فلماذا لا يعطيه النبى (صلى اللّه عليه و آله) كتبه التى لا يحب أن يطلع عليها كل أحد، ليقرأها له، فإنه لا ريب فى أمانته و دينه، و كونه عبدا لذلک القرظى لا يمنعه من ذلک، كما لم يمنعه من حضور حرب بدر و أحد. (كما سيأتى).

مع أن مراسلاته (صلى اللّه عليه و آله) للملوک قد بدأت بعد ذلک كما هو معلوم من التاريخ.

أضف إلى ذلک: أنه قد تحرر قبل غزوه الخندق، و هى فى الرابعه كما هو الظاهر أو فى الخامسه على أبعد تقدير كما تحدثنا عن ذلک فى

1- راجع فيما تقدم: مجموعه الوثائق السياسيه، و مكاتيب الرسول.
2- راجع مكاتيب الرسول ج 1 ص 31.
3- راجع ذكر أخبار أصبهان ج 1 ص 48، و تاريخ بغداد ج 1 ص 164، و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 4 قسم 1 ص 61، و حليه الأولياء ج 1 ص 187، و قاموس الرجال ج 4 ص 424 و 233 عن الجزرى.

کتابنا (حدیث الأفک). و ستأتی الإشاره إلی ذلک فی موضعه من هذا الکتاب إن شاء اللّه تعالی.

و قد تقدم أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد أمر زیدا بتعلم تلک اللغه فی السنه الرابعه.

أضف إلی ذلک: أنهم یقولون: إن الحبر الیهودی عبد اللّه بن سلام قد أسلم فی أول قدوم النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی المدینه، و قد ادّعوا نزول الآیات فی تقریضه و مدحه، فلماذا لا یقرء للنبی (صلی اللّه علیه و آله) ما سوف یأتیه من رسائل؟!

کما أنهم یقولون: إن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، کان یقرأ بالسریانیه (1).

و یقول الدکتور جواد علی: (و منهم مثل زید بن ثابت من کتب له بالعربیه، و بالعبرانیه، أو السریانیه، و ذکر أن بعضهم کان مثل زید بن ثابت یکتب بغیر العربیه أیضا) (2).

فلماذا ذکر إسم زید بن ثابت و لم تذکر أسماء أولئک؟.

و: قد ذکروا: أن حنظله بن الربیع کان یقوم مقام جمیع کتابه صلی الله علیه و آله وسلم بما فیهم زید بن ثابت، إذا غاب أحد منهم حتی سمّی حنظله الکاتب (3)، الأمر الذی یشعر بأنه کان أیضا یحسن الکتابه بغیر العربیه، کزید. کما أنه یدل علی أنه کان ینوب عن زید فی الکتابه إلی الیهود،

1- طبقات ابن سعد ج 4 قسم 2 ص 11. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 6 331 المناقشه: ..... ص : 326
2- المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 120.
3- راجع: التنبیه و الإشراف ص 245، و الوزراء و الکتاب ص 12- 13، و العقد الفرید ج 4 ص 161، و المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 126 و 309 و 131.

و إلى الملوک. (راجع الهامش) (1).

فإذا کان کذلک، فلماذا لم یعتمد النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی حنظله، أو علی غیره ممن أشار إلیهم الدکتور جواد علی، فإن الحاجه ترتفع بهم، و لا یبقی (صلی اللّه علیه و آله) بحاجه إلی الیهود (الذین کانوا غیر مأمونین) لا فی الترجمه، و لا فی الکتابه.

و یلاحظ هنا: أنهم لم یبخلوا علی زید فی هذا المجال، فقد أتخموه بالأوسمه، و أغرقوه بآیات الثناء، و یکفی أن نذکر: أنهم جعلوه عالما، لیس فقط بالعربیه قراءه و کتابه، و کذلک بالعبرانیه، أو السریانیه، و إنما أضافوا إلی ذلک: أنه کان یترجم للنبی (صلی اللّه علیه و آله) بالفارسیه و الرومیه و القبطیه و الحبشیه (2).

و أنه قد تعلم الفارسیه من رسول کسری، و الرومیه من حاجب النبی، و الحبشیه من خادم النبی (صلی اللّه علیه و آله) و القبطیه من خادم النبی أو خادمته (صلی اللّه علیه و آله) (3).

و لا ندری لماذا لم یتعلم الفارسیه من سلمان، و الرومیه من صهیب و الحبشیه من بلال، فإن کلا منهم کان یجید هذه اللغات بما لا مزید علیه؟!

1- و لکنّنا لم نعثر حتی علی رساله واحده، أو علی أی شی ء ذکر فیه إسم حنظله هذا علی أنه قد کتبه، و هذا أمر یثیر العجب حقا!! فلعلّ خصوم أهل البیت قد منحوه هذا الوسام لأنه اعتزل علیا (علیه السلام) و لم یشترک فی حروبه.
2- راجع التنبیه و الإشراف ص 246، و التراتیب الإداریه ج 1 ص 202 عن: (العمده) للتلمسانی، و عن ابن هشام فی (البهجه) و عن کتاب: (التعریف برجال مختصر ابن الحاجب) لإبن عبد السلام، و عن (الأعلام بسیره النبی (صلی الله علیه و آله)، و المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 133.
3- العقد الفرید ج 4 ص 161، و التراتیب الإداریه ج 1 ص 202.

كما لا ندرى لماذا لم نجد أيه إشاره لكتاب مترجم من هذه اللغات إلى العربيه أو من العربيه إليها، أو غير ذلک، مما يحتاج إلى الترجمه؟!

ز: لقد روى عن أبى جعفر (عليه السلام): قال: كان غلام من اليهود، يأتى النبى (صلى اللّه عليه و آله) كثيرا حتى استخفه (استحقه) و ربما أرسله فى حاجه، و ربما كتب له الكتاب إلى قوم؛ فافتقده أياما فسأل عنه، فقال له قائل: تركته فى آخر يوم من أيام الدنيا، فأتاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) الخ (1).

ح: و أخيرا، فلا ندرى ما حاجه النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى الترجمه، مع أن جمعا من المحققين قد أثبتوا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يعرف جميع اللغ الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 6 333 المناقشه: ..... ص : 326

ات، فلا يحتاج إلى مترجم و لا إلى غيره، و قد كلم سلمان بالفارسيه، و تكلم بغيرها من اللغات أيضا الخ .. (2)

ط: و أما قوله فى الروايه: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أمره بذلک حين قدومه المدينه، ثم روايتهم: أنه كان يكتب فى الجاهليه (3)، فينافيه قولهم: إنه تعلم الكتابه من أسرى بدر (4).

ملاحظتان:

الأولى: قال العلامه المحقق الشيخ على الأحمدى الميانجى، بعد أن تكلم حول معرفته (صلى اللّه عليه و آله) باللغات، عربيّها، و عجميّها،

1- الأمالى للصدوق ص 356 و البحار ج 78 ص 234 و ج 6 ص 26.
2- راجع التراتيب الإداريه ج 1 ص 209- 208، و لعل احسن من تكلم فى هذا الموضوع: العلامه المحقق الشيخ على الأحمدى فى كتابه، مكاتيب الرسول ج 1 ص 15- 16 فليراجع.
3- المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 120.
4- المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 133 و 292.

و أيّد ذلک بنقل المؤرخين و المحدثين أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان يتكلم مع كل قوم بلسانهم، قال حفظه اللّه: (و لكنه (صلى اللّه عليه و آله) كتب إلى ملوک العجم كقيصر، و كسرى، و النجاشى بلغه العرب، مع أنّ الجدير أن يكتب إلى كل قوم بلسانهم؛ إظهارا للمعجزه، و إستحداثا للألفه؛ فما الوجه فى ذلک؟! و أىّ فائده فى الكتابه بالعربيه؟ و أى وازع فى الترقيم بالعجميه؟!

و الذى يقضى به التدبر، و ينتهى إليه الفكر: أن الفائده فى ذلک هو حفظ شؤون المله الإسلاميه، و صونا لجانب الإستقلال و العظمه، ألا ترى أن الأمم الراقيه المتمدنه يسعون فى إنتشار لسانهم فى العالم، حتى تصير لغتهم لغه عالميه، إعمالا للسياده، و تثبيتا للعظمه.

فكأنه (صلى اللّه عليه و آله) يلاحظ جانب الإسلام، و أنه يعلو و لا يعلى عليه، و أن لغه القرآن لا بد و أن تنتشر، و تعم العالم، لأن القرآن كتاب للعالم؛ فعظمه القرآن، و عموم دعوته، و عظمه النبى الأقدس، و رسالته العالميه، تقضى أن يكتب إليهم بلغه القرآن.

فعلى ملوک العالم، و العالم البشرى أن يتعلموا لسانه المقدس.

و لغته الساميه، لغه القرآن المجيد، تثبيتا لهذا المرمى العظيم، و الغرض العالى) (1).

الثانيه: و بعد، فإننا لا ننكر أن يكون زيد بن ثابت قد تعلم شيئا من العبرانيه أو السريانيه، قليلا كان ذلک أو كثيرا، و لكننا نشک فى أن يكون النبى صلى الله عليه و آله وسلم هو الذى طلب منه ذلک، و نشک كذلک فى ان يكون قد كتب له (صلى اللّه عليه و آله) بهذه اللغات، أو ترجم له شيئا من الكتب التى أتته، فإن الروايات المتقدمه لا تكفى لإثبات ذلک على الإطلاق بل قدمنا ما يوجب ضعفها و وهنها و لا بد لإثبات ذلک من اعتماد أدله و شواهد

1- مكاتيب الرسول ج 1 ص 16- 17.

أخرى، لا نراها متوفره فيما بأيدينا، من نصوص و مصادر، بل إن ما بأيدينا يؤيد إن لم يكن يدل على خلاف ذلک، كما ألمحنا إليه.

و الظاهر: أن الهدف هو إثبات فضيله لزيد بن ثابت، و إن كانت كل الدلائل و الشواهد تشير إلى خلافها، ما دام لا يخطر ببال أحد: أن يبحث حول ثبوت ذلک و صحته بنظرهم.

و سنتكلم عن سر تكرمهم بالفضائل لهذا الرجل فى آخر هذا الفصل إن شاء اللّه تعالى.

و نذكر من الفضائل التى أضيفت إلى زيد بن ثابت أيضا ما يلى:

علم زيد بالفرائض:

سيأتى أن عمر و عثمان ما كانا يقدّمان على زيد فى الفرائض أحدا.

و قد خطب عمر الناس، فكان مما قال: (و من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت) (1).

و ادّعوا: أنه كان أعلم أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالفرائض (أى فرائض الإرث) (2).

و لكننا نقول: إننا نجد فى مقابل ذلک:

1- أن مسروقا- و إن كنا نعتقد أن ذلک لدوافع سياسيه- يقول عن عائشه: أنه رأى: (أكابر أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يسألونها

1- راجع: مستدرک الحاكم ج 3 ص 272- 273 و سنن البيهقى ج 6 ص 210، و طبقات ابن سعد ج 2 ص 115، و مجمع الزوائد ج 1 ص 135، و الغدير ج 6 ص 191- 192، و راجع ج 5 ص 361 و ج 8 ص 64 ففيه مصادر أخرى.
2- تهذيب الأسماء ج 1 ص 201 و راجع المصادر المتقدمه، و ترجمه زيد بن ثابت فى مختلف المصادر.

عن الفرائض) (1).

2- إن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) قد رفضوا دعوى أعلميه زيد بالفرائض، فقد روى عن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: الحكم حكمان: حكم اللّه، و حكم الجاهليه، و أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم فى الفرائض بحكم الجاهليه (2).

3- و قد ألف سعد بن عبد اللّه القمى كتاب: إحتجاج الشيعه على زيد بن ثابت فى الفرائض (3).

و قد ذكر إبن شاذان فى الإيضاح طائفه من مسائل الإرث لم يوفق زيد للصواب فيها، فليراجعه من أراده (4).

و قال: (... و أما فرائض زيد، فلم يبق أحد من الصحابه، إلا و قد اعترض عليه فيما فرض).

4- عن سعيد بن وهب، قال: قال عبد اللّه: أعلم أهل المدينه بالفرائض على بن أبى طالب (عليه السلام) (5).

و هذا هو الحق الذى لا محيص عنه، فإنه (عليه السلام) باب مدينه العلم، و لكن قاتل اللّه السياسه و ألاعيبها.

1- الزهد و الرقائق ص 382.
2- التهذيب للشيخ الطوسى ج 6 ص 218، و الكافى ج 7 ص 407، و الوسائل ج 18 ص 11، و قاموس الرجال ج 4 ص 239. و تنقيح المقال ج 1 ص 461 و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص 118.
3- رجال النجاشى ص 178 و قاموس الرجال ج 4 ص 240.
4- الإيضاح ص 315 فما بعدها.
5- أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج 2 ص 105، و فى هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل حديث رقم 11 من فضائل على، و عن أخبار القضاه ج 1 ص 89 بثلاثه طرق.

ملاحظه:

بالنسبه لشهاده الإمام الباقر (علیه السلام) بأن زید بن ثابت قد حکم فی الفرائض بحکم الجاهلیه. لعله لأن زید بن ثابت کان یفتی برأیه، حسب اعترافه فیما سیأتی، و لعل عامه ما کان یفتی به کان خطأ، علی حد قوله نفسه، و کذلک وجود بعض الرواسب فی نفسه و فی فکره و کون دین اللّه لا یصاب بالعقول- لعل کل ذلک- هو السبب فی أن زیدا قد حکم فی الفرائض بحکم الجاهلیه.

و قد جرت بین زید و بین أمیر المؤمنین (علیه السلام) بعض المساجلات فی مجال الفرائض لم یستطع زید أن یقدم الجواب الکافی فی مقابل ما بینه له أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی تلک المسأله، فإن مکاتبه زنت، و قد عتق منها ثلاثه أرباعها، فقال (علیه السلام): یجلد منه بحساب الحریه و یجلد منها بحساب الرق، و قال زید بن ثابت: تجلد بحساب الرق، فاعترض علیه أمیر المؤمنین (علیه السلام) بأنه هلّا جلدها بحساب الحریه، فإنها فیها أکثر، فقال زید: لو کان ذلک کذلک لوجب توریثها بحساب الحریه. فقال (علیه السلام): أجل ذلک واجب، فافحم زید (1).

و لکن عثمان خالف علیا، و صار إلی قول زید رغم ظهور الحجه علیه. و لعل هذه الإرهاصات فی علم زید بالفرائض قد أرید منها أن یعوض عن فشله ذاک بمنحه أوسمه الجداره مضاده لعلی (علیه السلام) و تنکرا له.

أبو عمر و الرایه لزید فی تبوک:

قال أبو عمر: (... و کانت رایه بنی مالک بن النجار فی تبوک مع

1- راجع قاموس الرجال ج 4 ص 240 عن إرشاد المفید.

عماره بن حزم، فأخذها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و دفعها إلى زيد بن ثابت.

فقال عماره: يا رسول اللّه، أبلغک عنى شى ء؟!

قال: لا و لكن القرآن مقدم، و زيد أكثر منک أخذا للقرآن.

و هذا عندى خبر لا يصح، و اللّه اعلم (1).

و نزيد نحن هنا: أنه لو كان الأمر كذلک للزم ان يعطى الرايه إلى أبى بن كعب، سيد القراء؛ فلماذا خص بها زيدا دونه. فإن كلا منهما من أبناء مالک بن النجار، فهل كان زيد أقرأ من أبى؟! الذي وصفه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كما فى بعض الروايات بأنه أقرأ الأمه (2)، أم أن أبيا تخلف عن غزوه تبوک، فلماذا لم يعامل معامله المتخلفين، مع أنهم يقولون: إنه شهد بدرا، و المشاهد كلها (3).

و لماذا لا يجرى النبى (صلى اللّه عليه و آله) هذه القاعده فى سائر الموارد، و ذلک بالنسبه لإبن مسعود فى المهاجرين، و كذا غيره ممن نص التاريخ على أنهم قد حفظوا القرآن، و جمعوه فى عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!.

زيد، و جمع القرآن:

و قد أشارت روايه أخذه الرايه فى تبوک، إلى كثره أخذ زيد للقرآن،

1- الإستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 552، و الخبر فى مستدرک الحاكم ج 3 ص 421 و مغازى الواقدى ج 3 ص 1003 و الإصابه ج 1 ص 561 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 201 و أسد الغابه ج 2 ص 222.
2- راجع كتابنا حقائق هامه حول القرآن فصل: ماذا عن جمع القرآن فى عهد الخلفاء.
3- الإصابه ج 1 ص 19.

كما أنهم يذكرون لزيد مقاما فريدا بالنسبه لجمع القرآن، فى عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؛ إذ يقال: (إن زيد بن ثابت شهد العرضه الأخيره، التى بين فيها ما نسخ، و ما بقى، و كتبها الرسول، و قرأها عليه، و كان يقرى ء الناس بها حتى مات، و لذلک اعتمده أبو بكر و عمر، و جمعه، و ولاه عثمان كتب المصاحف) (1).

و قال ابن قتيبه: (و كان آخر عرض رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) القرآن على مصحفه) (2).

و صحح أبو عمر حديث أنس: أن زيد بن ثابت أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (3).

و نقول: لقد تحدثنا عن دور زيد فى جمع القرآن على عهد الخلفاء بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كتابنا (حقائق هامه حول القرآن) و قلنا هناک.

إن جمع القرآن قد حصل فى زمن النبى (صلى اللّه عليه و آله) نفسه، و أثبتنا ذلک بالأدله الكثيره.

و قلنا أيضا: إن محمد بن كعب القرظى لم يذكر زيد بن ثابت فى عداد من جمع القرآن فى عهد النبى (صلى اللّه عليه و آله). و قلنا كذلک:

إن روايه جمع زيد للقرآن فى عهد أبى بكر تعانى من إشكالات أساسيه لا مجال لتجاهلها، و أن الصحيح: هو أنه قد جمع مصحفا

1- الإتقان ج 1 ص 50 عن البغوى فى شرح السنه و راجع تاريخ القرآن للزنجانى ص 39- 40.
2- المعارف ص 260 و عنه فى المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 134 و راجع البرهان للزركشى ج 1 ص 237.
3- الإستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 552.

شخصيا للخليفه، الذى لم يكن يملک مصحفا تاما.

و قال أبو عمر: عن حديث جمع زيد للقرآن فى عهد الرسول (صلى اللّه عليه و آله):

(... و قد عارضه قوم، بحديث ابن شهاب، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت: أن أبا بكر أمره فى حين مقتل القراء باليمامه، بجمع القرآن، قال: فجعلت أجمع القرآن من العسب، و الرقاع، و صدور الرجال، حتى وجدت آخر آيه من التوبه، مع رجل يقال له: خزيمه، أو أبو خزيمه.

قالوا: فلو كان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول اللّه لأملاه من صدره، و ما احتاج إلى ما ذكر.

قالوا: و أما خبر جمع عثمان للمصحف؛ فإنما جمعه من الصحف، التى كانت عند حفصه؛ من جمع أبى بكر ...) (1) إنتهى كلام أبى عمر.

و أما بالنسبه لشهود زيد للعرضه الأخيره؛ فإننا نجد فى المقابل مصادر كثيره تذكر: أن إبن مسعود هو الذى شهد العرضه الأخيره (2).

و على كل حال. فإن تفصيل الكلام فى هذا الأمر موجود فى كتابنا:

الذى المحنا إليه آنفا، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

1- الإستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 552.
2- راجع طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 104 و ص 4 و كنز العمال ج 2 ص 224- 225 عن ابن عساكر، و كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 251 و مجمع الزوائد ج 9 ص 288 عن أحمد، و البزار، و رجال أحمد رجال الصحيح، و فتح البارى ج 9 ص 40 و 41 و الإستيعاب بهامش الإصابه ج 2 ص 322، و مشكل الآثار ج 1 ص 115 و ج 4 ص 196.

الفضائل و السیاسه:

و بعد، فإننا قد تعودنا من المخالفین لأهل البیت علیهم السلام، إبتداء من الأمویین ثم العباسیین، محاولاتهم الدائبه للحطّ من علی (علیه السلام)، و أهل بیته صلوات اللّه و سلامه علیهم و التستر علی فضائله و مزایاه، و إظهار العیب له. و قد قال المغیره بن شعبه لصعصعه: (و إیاک أن یبلغنی عنک: أنک تظهر شیئا من فضل علی، فأنا أعلم بذلک منک، و لکن هذا السلطان قد ظهر و قد أخذنا بإظهار عیبه للناس) (1).

و النصوص الداله علی هذه السیاسه کثیره جدا، بل هی فوق حد الإحصاء.

و من جهه أخری فإنهم یعملون علی إظهار التعظیم الشدید، لکل من کان علی رأیهم، و یذهب مذهبهم، و یصنعون لهم الفضائل، و یختلقون لهم الکرامات، و ذلک أمر مشهود، و واضح و قد أشرنا إلیه غیر مره.

و المراجع لحیاه زید بن ثابت، و لمواقفه السیاسیه یجد: أنه کان منحرفا عن أمیر المؤمنین علیه الصلاه و السلام.

کما و یجد أنه ممن تهتم السلطه برفع شأنهم، و تأکید فضلهم و نسبه الکرامات إلیهم.

الخط السیاسی لزید بن ثابت:

و بعد، فإن الذی یراجع حیاه زید بن ثابت و مواقفه، یجد: أنه کان عثمانیا، و منحرفا عن أمیر المؤمنین علی (علیه السلام).

فعدا عن أنه کان له موقف فی السقیفه، یؤید فیه صرف الأمر عن

1- راجع الکامل لإبن الأثیر ج 3 ص 430 و تاریخ الأمم و الملوک طبع الإستقامه ج 4 ص 144.

الأنصار إلى المهاجرين، و قد أثنى عليه أبو بكر، و مدحه لأجله (1) فإنه:

كان أحد الذين لم يبايعوا عليا أمير المؤمنين عليه آلاف التحيه و السلام (2).

بل لقد كان زيد بن ثابت مع عمر حينما ذهب للإتيان بعلى (عليه السلام) من بيته لأجل البيعه (3).

و (كان زيد عثمانيا، و لم يشهد مع على شيئا من حروبه) (4).

و قد قطع أمير المؤمنين (عليه السلام) العطاء عمن لم يشهد معه، و أقامهم مقام أعراب المسلمين (5).

و كان زيد عثمانيا، يحرض الناس على سب أمير المؤمنين (عليه السلام) (6).

و (كان عثمان يحب زيد بن ثابت) (7).

(و الذين نصروا عثمان، كانوا أربعه، كان زيد بن ثابت أحدهم،

1- راجع سير أعلام النبلاء ج 2 ص 433 و مسند أحمد ج 5 ص 186 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449 و التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 244 عنه.
2- راجع تاريخ الأمم و الملوک طبع دار المعارف ج 4 ص 430 و 431 و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 191.
3- أنساب الأشراف ج 1 ص 585. (قسم حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله)).
4- أسد الغابه ج 2 ص 222 و الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 554 و قاموس الرجال ج 4 ص 239 و تنقيح المقال ج 1 ص 462 و راجع الكامل لإبن الأثير ج 3 ص 191.
5- دعائم الإسلام ج 1 ص 391- 392.
6- سفينه البحار ج 1 ص 575.
7- الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 554.

و لم ينصره أحد من الصحابه غيرهم) (1).

و كان على قضاء عثمان (2)، و على بيت المال و الديوان له (3).

و كان عثمان يستخلفه على المدينه (4).

و كان يذب عن عثمان حتى رجع لقوله جماعه من الأنصار (5).

و قد قال للأنصار: إنكم نصرتم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فكنتم أنصار اللّه، فانصروا خليفته تكونوا أنصارا للّه مرتين؛ فقال الحجاج بن غزيه: و اللّه إن تدرى هذه البقره الصيحاء ما تقول، إلى آخره.

و فى نص آخر: أن سهل بن حنيف أجابه؛ فقال: يا زيد، أشبعک عثمان من عضدان المدينه؟! و العضيده: نخله قصيره، ينال حملها (6).

و كان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على عثمان، و كان زيد يذب عنه، فقال له قائل منهم:

1- الكامل لإبن الأثير ج 3 ص 151 و راجع ص 161، و أنساب الأشراف ج 5: ص 60، و الغدير ج 9 ص 159 و 160 عن المصادر التاليه: تاريخ الطبرى ج 5 ص 97 و تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 391 و تاريخ أبى الفداء ج 1 ص 168.
2- الكامل لإبن الأثير ج 3 ص 187.
3- راجع الكامل لإبن الأثير ج 3 ص 191 و أسد الغابه ج 2 ص 222 و أنساب الأشراف ج 5 ص 58 و 88 و الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 553 و 554 و التراتيب الإداريه ج 1 ص 120 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 201 و تاريخ الأمم و الملوک ج 4 ص 430 طبع دار المعارف.
4- راجع المصادر المتقدمه بإستثناء الأول منها. و البدايه و النهايه ج 7 ص 347 و شذرات الذهب ج 1 ص 54 و أسد الغابه ج 2 ص 222.
5- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 451.
6- أنساب الأشراف ج 5 ص 90 و 78، و راجع الكامل لإبن الأثير ج 3 ص 191، و تاريخ الأمم و الملوک ج 4 ص 430 طبع دار المعارف.

و ما يمنعک؟! ما أقل و اللّه من الخزرج من له من عضدان العجوه مالک!

فقال زيد: إشتريت بمالی، و قطع لی إمامی عمر، و قطع لی إمامی عثمان.

فقال له ذلک الرجل: أعطاک عمر عشرين ألف دينار؟

قال: لا، و لكن كان عمر يستخلفنی على المدينه، فو اللّه، ما رجع من مغيب قط إلا قطع لی حديقه من نخل (1).

و إستخلاف عمر له فی أسفاره معروف و مشهور (2).

هذا و قد أعطاه عثمان يوما مائه ألف مره واحده (3).

و قد بلغ من ثراء زيد أن خلّف من الذهب و الفضه ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائه ألف دينار (4).

و كان محل العنايه التامه من قبل عمر، فعدا عن استخلافه له فی كل سفر يسافره و إقطاعه الحدائق، فإنه كان كاتب عمر (5)، و كان على قضائه

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 451 و راجع ص 550 و راجع الإصابه ج 1 ص 562، و راجع سير أعلام النبلاء ج 2 ص 434 و اخبار القضاه ج 1 ص 108.
2- راجع فی ذلک عدا عمّا تقدّم و سيأتی: تذكره الحفاظ ج 1 ص 31 و الإصابه ج 1 ص 562، و الاستيعاب بهامشها ج 1 ص 553 و 552 و البدايه و النهايه ج 7 ص 347 و شذرات الذهب ج 1 ص 54 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 427 و 434 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 450 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 201 و أسد الغابه ج 2 ص 222.
3- أنساب الأشراف ج 5 ص 38 و 52، و الغدير ج 8 ص 292 و 286.
4- الغدير ج 8 ص 284 عن مروج الذهب ج 1 ص 434.
5- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 448 و أشار الى كتابته فی المعارف ص 260.

و فرض له رزقا (1).

و يكفى أن نذكر هنا عباره ابن سعد، و ابن عساكر، و هى:

(كان عمر- يستخلف زيدا فى كل سفر، و قلّ سفر يسافره و لم يستخلفه، و كان يفرّق الناس فى البلدان و ينهاهم أن يفتوا برأيهم، و يحبس زيدا عنده- إلى أن قال: و كان عمر يقول: أهل البلد- يعنى المدينه- محتاجون إليه، فيما يجدون إليه، و فيما يحدث لهم مما لا يجدونه عند غيره) (2).

(و ما كان عمر و عثمان يقدمان على زيد أحدا، فى القضاء و الفتوى، و الفرائض و القراءه) (3).

ثم كان زيد فى زمن معاويه على ديوان المدينه، فقد قال ابن قتيبه، عن عبد الملک بن مروان، الذى ولد سنه أربع و عشرين هجريه: (كان معاويه جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينه، و هو إبن ست عشره سنه) (4).

ثم كان عبد الملک بن مروان من الذين يقولون بقول زيد (5).

1- طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 115- 116، و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 451، و تذكره الحفّاظ ج 1 ص 32 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 435.
2- راجع تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 450، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 116 و 117، و كنز العمال ج 16 ص 7، و حياه الصحابه ج 3 ص 218 و راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 434.
3- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 450، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 115، و راجع: تذكره الحفاظ ج 1 ص 32، و كنز العمال ج 16 ص 6 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 434.
4- المعارف ص 355.
5- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 452.

أما أبوه مروان، فكان قد بلغ من اهتمامه بزيد: أن دعاه، و أجلس له قوما خلف ستر، فأخذ يسأله، و هم يكتبون ففطن لهم زيد، فقال: يا مروان اعذر، إنما أقول برأيى (1).

و أتاه أناس يسألونه، و جعلوا يكتبون كل شى ء قاله، فلما أطلعوه على ذلک قال لهم: (لعل كل الذى قلته لكم خطأ، إنما قلت لكم بجهد رأى) (2).

و مع أنه يعترف بأنه إنما يفتى لهم برأيه، فقد بلغ من عمل الناس بفتواه المدعومه من قبل الحكام: أن سعيد بن المسيب يقول:

(لا أعلم له قولا لا يعمل به، فهو مجمع عليه فى المشرق و المغرب) (3).

فانظر ماذا ترى !؟

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 452، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 116 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 438 و فى هامشه عن الطبرانى.
2- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 452.
3- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 451، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 116.

الفهارس

اشاره

ص: 350

1- الدليل الاجمالى للكتاب

الفصل الرابع: غزوات و سرايا دفاعيه 5- 20

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحله الاغتيالات المنظمه 21- 54

الفصل السادس: حروب علنيه بين المسلمين و اليهود 55- 69

الباب الرابع: غزوه أحد 71- 315

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب 73- 134

الفصل الثانى: نصر و هزيمه 135- 198

الفصل الثالث: فى موقع الحسم 199- 248

الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح 249- 297

الفصل الخامس: غزوه حمراء الأسد، و إلى السنه الرابعه 299- 315

الباب الخامس: شخصيات و أحداث 317

الفصل الأول: أوسمه و هميه لزيد بن ثابت 319- 346

الفهارس 347

ص: 351

2- الدليل التفصيلى للكتاب

الفصل الرابع: غزوات و سرايا دفاعيه 5- 20

غزوات و سرايا 7

غزوات لبنى سليم و غطفان 7

غزوه السويق 8

غزوه ذى أمر 9

سريه القرده 10

وقفات مع ما تقدم: أ: الأعمى و القضاء 11

ب: من أهداف تلك السرايا و الغزوات 12

ج: العتق و الصلاه 13

د: التوريه بالغزوات 15

ه: قريش فى مواجهه الأخطار 16

و: مناقشه قضيه دعثور 16

الفصل الخامس: غدر اليهود و مرحله الاغتيالات المنظمه 21- 54

مع عقائد اليهود و آثارها 23

ملاحظه 26

من أسباب عداء اليهود للإسلام 27

اليهود فى مواجهه الإسلام 30

ص: 352

موقف النبى صلى الله عليه و آله وسلم من اليهود 34

العمليات العسكريه فى مرحلتين 34

الاغتيالات المنظمه: 35

1- قتل أبى عفک 35

2- قتل العصماء بنت مروان 36

3- قتل كعب بن الأشرف 37

4- قتل ابن سنينه 41

5- قتل أبى رافع 41

أ: الإسلام قيد الفتک 43

جريمه معاويه 46

ب: رعب اليهود 47

ج: مع موقف عمير فى أصالته و نبله 47

د: ابن الأشرف و أبو سفيان 49

ه: تساؤل حائر 50

و: التنافس القبلى 52

ز: جهل و غرور ابن الأشرف 52

ح: الإسلام و الإنسان 52

الفصل السادس: حروب علنيه بين المسليمن و اليهود 55- 69

قريش تحرض اليهود على نقض العهد 57

تصعيد التحدى 58

أ: نزول الآيه فى ابن أبى 60

حقيقه القضيه 61

ب: حول الرايه 62

ج: الخمس 63

د: بعض أهداف و نتائج حرب بنى قينقاع 64

ص: 353

ه: الحجاب 65

و: الغرور و الإيمان 66

ز: الاستجابه لابن أبى 67

ح. بنو قينقاع تحت الأضواء 67

الباب الرابع: غزوه أحد 71- 315

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب 73- 134

أجواء و مواقف 75

جيش المشركين إلى أحد 77

سؤال و جوابه 79

وصول الخبر إلى المدينه 79

سؤال يحتاج إلى جواب 80

المشركون و أزمه الثقه 81

عنصر السريه لتلاقى الأخطار المحتمله 84

المشركون فى طريق المدينه 85

الأول: معرفه النبى صلى الله عليه و آله وسلم بواقع أصحابه 85

الثانى: الافلاس على كل صعيد 86

النبى صلى الله عليه و آله وسلم يستشير أصحابه 86

أ: هل النبى صلى الله عليه و آله وسلم يحتاج إلى رأى أحد 89

الجواب عن السؤال الأول 90
ب: من أهداف استشارته صلى الله عليه و آله وسلم لأصحابه 93
و أما الجواب عن السؤال الثانى 94
ج: نظريه خلافه الإنسان و شهاده الأنبياء 96
مناقشه ما تقدم 99
د: ما هو رأى النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى أحد 105
ه: لبس لأمه الحرب يعنى القتال 112

ص: 354

و: من الأكاذيب 113

عقد الألويه 114

اللواء مع على (ع) فقط 115

لا فرق بين اللواء و الرايه 120

عده و عدد المسلمين 121

رجوع المنافقين 122

الخيانه و آثارها 123

سؤال و جوابه 125

إرجاع الصغار 128

الريب فيما ينقل عن سمره 129

الحراسه و قصه ذكوان 132

الشک فی قصه ذكوان 133

الفصل الثانی: نصر و هزيمه 135- 198

التعبئه للقتال 137

أ: المظاهره بين درعين 138

ب: المنطق القبلی لدى أبی سفيان 139

أبو دجانه و السيف 139

ملاحظات على هذه الروايه 140

نشوب الحرب و قتل أصحاب اللواء 143

أ: بنو مخزوم و أهل البيت 145

ب: الزبير و المقداد على الخيل 146

ج: إخلاص على (ع) و عطفه على كبش الكتيبه 146

د: من قتل أصحاب اللواء 147

لماذا التزوير 148

ه: مبارزه أبى بكر لولده 149

ص: 355

و لنا على ما ذكر ملاحظات 150

هزيمه المشركين 152

أ: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد 153

ب: مقارنه 155

الهزيمه بعد النصر 156

تصحيح و توضيح 158

الرسول يدعوهم فى أخراهم 158

على (ع) و كتائب المشركين 159

أ: استشهاد حمزه رضوان اللّه عليه 161

استطراد حول وحشى 162

ب: هل يدعو النبى صلى الله عليه و آله وسلم على قومه 166

استطراد هام 169

و لا تذهب نفسک عليهم حسرات 173

لم يثبت فى أحد غير على 174

إنه منى و أنا منه 175

لا سيف إلا ذو الفقار 177

الفارون فى أحد 180

فرار سعد 181

فرار طلحه 182

فرار أبى بكر 183

فرار عمر 186

فرار الزبير 190

فرار عثمان 191

لم يثبت من المهاجرين سوى على 192

سر الاختلاف فى من ثبت 193

ص: 356

ثبات أبى دجانه 193

نحن و شعر حسان المتقدم 194

تأويلات سقيمه للفرار 195

لماذا كانت الهزيمه 195

الفصل الثالث: فى موقع الحسم 199- 248

الرعب القاتل 201

عوده المسلمين إلى القتال 202

مواقف و بطولات 203

1- مع أنس بن النضر و ابن السكن و أصحابه 203

2- أبو دجانه 204

3- أم عماره و مقام فلان و فلان !! 205

جهاد المرأه 207

4- أم سليط 209

5- حنظله الغسيل 209

6- بين مواقف عبد اللّه بن جحش، و ابن أبى وقاص 212

مواقف و بطولات سعد الموهومه 213

إشاره هامه 217

كرامات طلحه 218

إشاره هامه 222

تجميع القوى و إعادتها إلى مراكزها 223

أ: فاطمه أم أبيها 229

ب: النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمون فى الجبل 230

ج: روايات لم تثبت 234

د: عمر فى قفص الاتهام 235

العباس فى أحد 237

ص: 357

من مشاهد الحرب 238

ملاحظات 242

الصبر فی الجهاد 244

الفصل الرابع: بعد ما هبت الریاح 249- 297

ما جری علی حمزه و الشهداء 251

أ: موقف الرسول صلی الله علیه و آله وسلم من المثله بحمزه 256

ما هو الصحیح فی القضیه 264

ب: هند و کبد حمزه 266

ج: المنع من البکاء علی المیت 266

السیاسه و ما أدراک ما السیاسه 269

التوراه و المنع من البکاء علی المیت 270

د: حزن النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی حمزه 271

ه: موقف أبی سفیان من قبر حمزه 273

و: مواساه الأنصار للنبی صلی الله علیه و آله وسلم 274

ز: صبر صفیه 274

التعصیب 275

الاختصام فی ابنه حمزه 276

الصلاه علی الشهداء و تغسیلهم و دفنهم 276

لماذا تقديم الأقرأ؟! 278
أنا شهيد على هؤلاء 279
عدد شهداء أحد 280
أكثر القتلى من الأنصار 281
زياره القبور 282
عدد قتلى المشركين 283
أكثر القتلى من على 284

ص: 358
أویس القرنی فی أحد 285
صفیه و الیهودی 287
بعض الحکم فی معرکه أحد 287
من مشاهد العوده إلی المدینه 288
علی یناول فاطمه سیفه 289
شماته المنافقین و سرورهم بنتائج أحد 291
أ: التمحیص 292
ب: أجواء النفاق و دوافعه 293
دعنی أقتله یا رسول اللّه 294
الفصل الخامس: غزوه حمراء الأسد و إلی السنه الرابعه 299- 315
قریش تفکر فی المدینه، ثم تعدل عنها 301
غزوه حمراء الأسد 302
المجروحون فقط 303
أسیران یقعان فی أیدی المسلمین 305
دوافع حمراء الأسد و نتائجها 307
و علی ضوء ما تقدم 308
قتل الأسیرین 311
وفاه أم کلثوم و ملابساتها 312

الباب الخامس: شخصيات و أحداث 317

الفصل الأول: أوسمه و هميه لزيد بن ثابت 319- 348

بدايه 321

الحدث المشكوک 322

روايات تعلم زيد العبرانيه أو السريانيه 223

المناقشه 226

ص: 359

ملاحظتان 233

علم زید بالفرائض 339

ملاحظه 341

ابو عمر و الرایه لزید فی تبوک 341

زید و جمع القرآن 342

الفضائل و السیاسه 345

الخط السیاسی لزید بن ثابت 345

الفهارس 349

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.